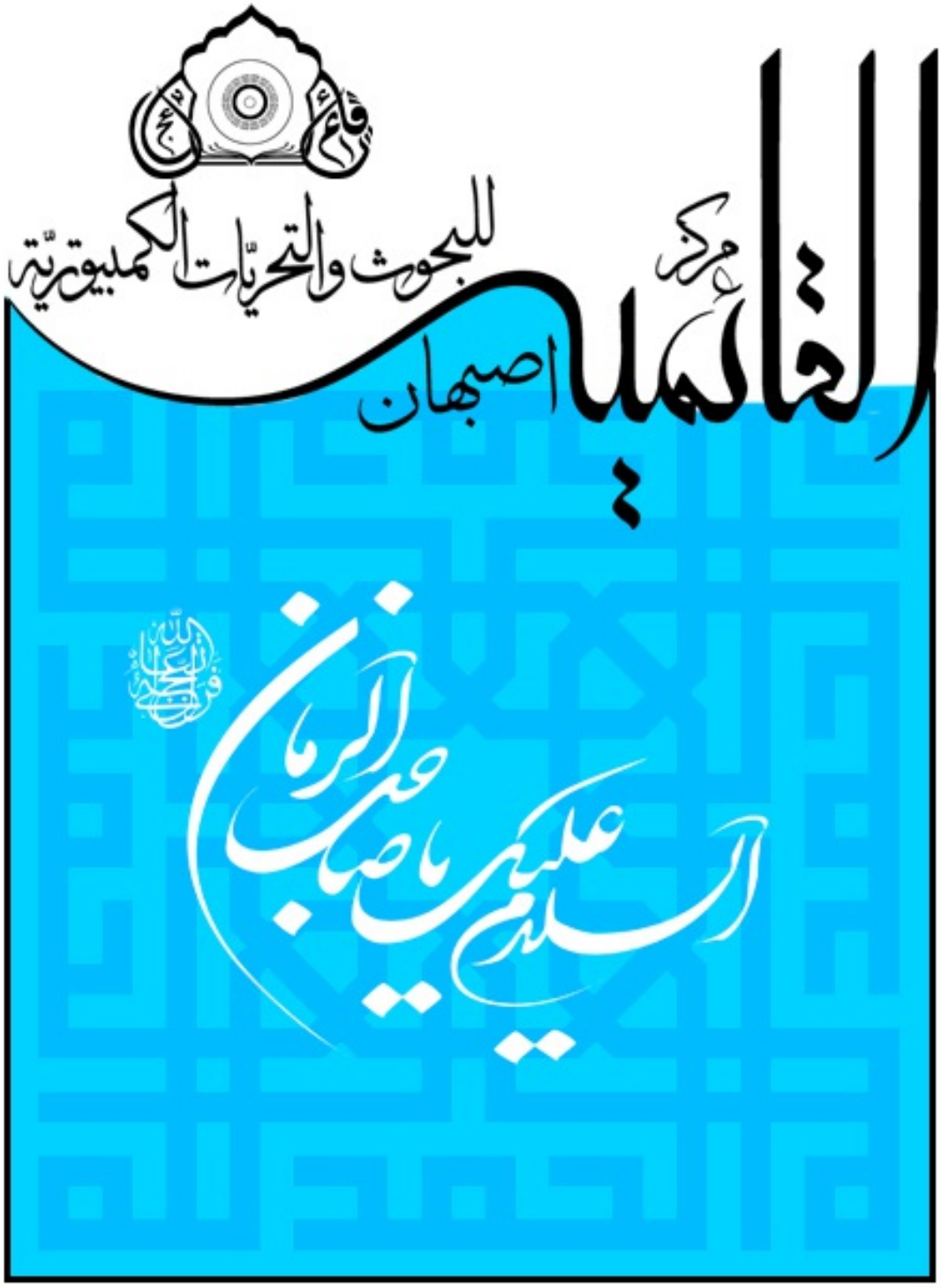

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

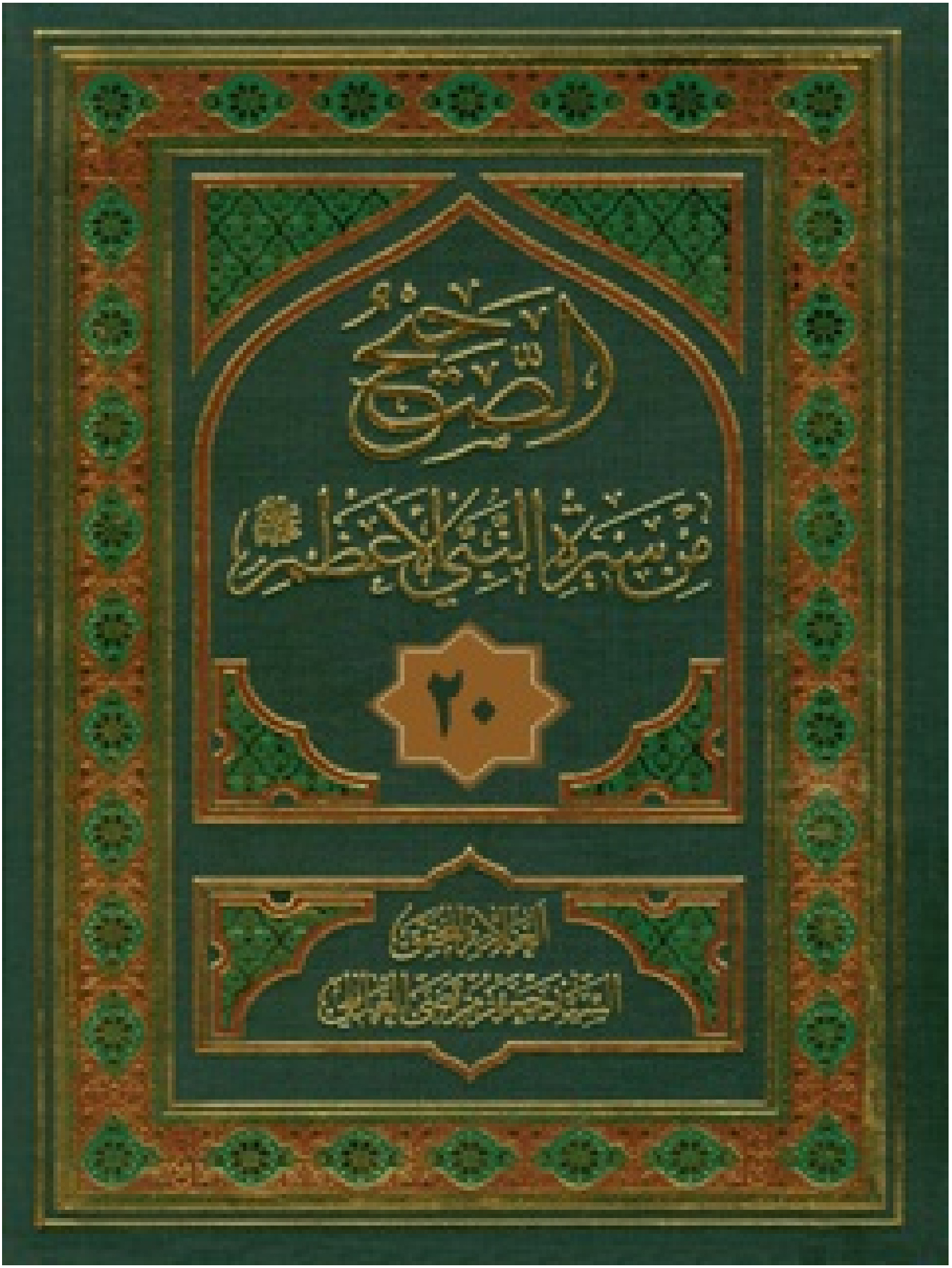
الصحيح
من سيرة النبي الأعظم ﷺ
٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الصحيح من سيره النبى الاعظم(ص)

كاتب:

سيد جعفرمرتضى حسينى عاملى

نشرت فى الطباعة:

سحرگاهان

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الصحیح من سیره النبی الاعظم(ص) المجلد۲۰ ----- ۱۵
اشارة ----- ۱۵
[تتمة القسم الثامن] ----- ۱۵
[تتمة الباب الحادی عشر] ----- ۱۵
الفصل الثانی: معرکة مؤتة ----- ۱۵
اشارة ----- ۱۵
المسلمون فی مؤتة: ----- ۱۵
المسلمون فی مواجهة هرقل: ----- ۱۶
فی المواجهة: ----- ۱۶
استشهاد القادة: ----- ۱۸
جراحات جعفر: ----- ۱۹
کیفیة الجمع بین الروایات: ----- ۲۱
طلیعة شرحبیل: ----- ۲۱
الأرقام عن عدد جیوش العدو: ----- ۲۲
فتجمعوا لهم: ----- ۲۳
إما النصر و إما الشهادة: ----- ۲۳
فخرج علی قومه فی زینته: ----- ۲۴
إیذاء الحیوان لا یجوز: ----- ۲۵
عقر الفرس أم عرقبها: ----- ۲۶
أول من عرقب فرسه: ----- ۲۸
آخر محاولة للشیطان!! ----- ۲۸
تسقط الید و یرتفع اللواء: ----- ۲۹

الطيار بعد قطع يديه: ۳۰
الطيار أسوة و قدوة: ۳۰
استشهاد جعفر و هو صائم: ۳۱
ذو الجناحين: ۳۱
نظرة فی الکرامات: ۳۲
استشهاد ابن رواحة: ۳۳
تردد ابن رواحة فی النزول: ۳۳
الحرب دامت أياما: ۳۴
هزيمة خالد: ۳۵
الآن حمی الوطيس: ۳۵
شهداء مؤتة: ۳۵
الفصل الثالث: خالد يضيع النصر الأعظم ۳۷
اشارة ۳۷
الإنحياز، أم النصر و الفتح؟! ۳۷
دلائل انتصار خالد: ۳۸
الغنائم دليل النصر: ۴۱
صمود و نصر، أو مجرد انحياز: ۴۳
تهافت بلا مبرر: ۴۳
طريق جمع فاشل: ۴۴
حديث جابر و خزيمة: ۴۶
حديث عوف بن مالک: ۴۷
خالد يتحدث عن نفسه!! ۴۸
حديث قتل ابن رافلة: ۴۹
إخبار النبی «صلی اللّه عليه و آله» عن الشهداء: ۴۹

حدیث عطاف بن خالد: ۵۰
حدیث برذع: ۵۱
حدیث أبی عامر: ۵۱
إیهام أم إبهام؟! ۵۳
هل اصطلح المسلمون علی خالد؟! ۵۳
ثبت خالد مقدارا مّا: ۵۴
النصر الموهوم: ۵۵
المضحک المبکی: ۵۵
دلالات فی تشویش النصوص و تناقضها: ۵۵
خالد سیف اللّه: ۵۶
علی علیه السّلام سیف اللّه المسلول: ۵۹
من الذی سمی خالدا بسیف اللّه؟! ۶۰
حدیث الهزیمة: ۶۱
رواة حدیث الهزیمة: ۶۳
شر ذمة لماذا؟! ۶۴
الفصل الرابع: نهایات و نتائج ۶۴
اشارة ۶۴
عدد الشهداء دلیل هزیمة خالد: ۶۴
المبارزات قللت عدد الشهداء: ۶۵
لو کان النصر للروم؟! ۶۶
أثر مؤتة فی فتح مکة: ۶۶
الإخلاص فی العمل أشد من العمل: ۶۷
التأکید علی عظمة جعفر: ۶۷
إمتیاز جعفر لقرابته!! ۶۹

حرب أخرى فی مؤتة: ۶۹
النبی صلّی اللّه علیه و آله یری ما جری فی مؤتة: ۷۰
یا فرّار!! ۷۳
الرسول صلّی اللّه علیه و آله: رؤوف رحیم: ۷۵
هل ظلم الفارون؟! ۷۶
التخفیف و التلطیف: ۷۷
لو دخلنا المدینة قتلنا!! ۷۷
الحر تکفیه الإشارة: ۷۸
النصر الضائع: ۷۸
النبی صلّی اللّه علیه و آله .. و عائلة جعفر: ۷۹
لا تقولی هجرا، و لا تضربی صدرا: ۸۲
علی مثل جعفر فلتبک البواکی: ۸۲
مدی حزن النبی صلّی اللّه علیه و آله علی جعفر: ۸۳
النبی صلّی اللّه علیه و آله بدون جعفر و علی علیهما السّلام: ۸۴
حدیث عائشة فی بکاء النساء: ۸۴
أسماء و تعریف الناس بفضل جعفر: ۸۵
إتخاذ الطعام فی أیام العزاء سنة: ۸۶
زیارة عوائل الشهداء: ۸۷
شهداء فی قبر واحد، و إخفاء القبر: ۸۷
الفصل الخامس: صورة موهومة لسریة ذات السلاسل ۸۸
اشارة ۸۸
غزوة ذات السلاسل: ۸۸
تاریخ غزوة ذات السلاسل: ۹۱
مقصد السریة: ۹۲

سراة المهاجرين و الأنصار مع عمرو: ۹۲
علم عمرو بن العاص بالحرب: ۹۳
ورطة تأمير عمرو على الشيخين: ۹۴
النبى صلّى اللّه عليه و آله يتألف الناس بعمرو، و يستنفر العرب: ۹۷
اللواء .. و الراية: ۹۸
سراة المهاجرين و الأنصار: ۹۸
الإختلاف على الصلاة؟ أم على الإمارة؟! ۹۹
المغيرة داعية فتنة و متزلف: ۱۰۰
أخلاق أبى عبيدة: ۱۰۱
صلاة الجماعة: ۱۰۱
المهاجرون يعترضون مرة أخرى: ۱۰۲
التناقض و الإختلاف: ۱۰۲
غنائم عمرو المكذوبة: ۱۰۳
لا تأمّرن على اثنين: ۱۰۴
نبايع ذا العباءة؟! ۱۰۵
أبو بكر مجبر على الخلافة: ۱۰۵
الأجرة على قسمة الجزور: ۱۰۶
جنابة، و صلاة: ۱۰۷
رواياتهم مزيفة: ۱۰۸
الصورة الأوضح و الأصرح: ۱۰۸
الفصل السادس: الصورة الحقيقية لغزوة ذات السلاسل ۱۰۸
اشارة ۱۰۸
تتمات أغفلوها عمدا: ۱۰۸
نصوص أوجزناها: ۱۰۹

إختلافات لها حل: ۱۱۲
اشارة ۱۱۲
۱- ما هو المقصد؟! ۱۱۲
۲- المقتولون من الأعداء: ۱۱۲
۳- المحرض على الاعتراض: ۱۱۳
۴- محور الاعتراض: ۱۱۳
۵- من المخبر للنبى صلّى اللّه عليه و آله بجمع الأعداء؟!: ۱۱۳
۶- وقت الإغارة: ۱۱۳
۷- ماذا جرى لأبى بكر و عمرو بن العاص؟! ۱۱۴
۸- كيف أوقع على عليه السّلام بالأعداء؟! ۱۱۴
۹- عدد قتلى المشركين: ۱۱۵
۱۰- الذين هاجموا المشركين: ۱۱۵
۱۱- كيف عرف المشركون بجيش على عليه السّلام: ۱۱۵
۱۲- وادى اليابس أم وادى الرمل: ۱۱۶
هذا هو الحل: ۱۱۶
إختلافات لا حل لها: ۱۱۷
اشارة ۱۱۷
۱- عدد أفراد السرية: ۱۱۸
۲- المقتولون مع أبى بكر: ۱۱۸
۳- اختلاف التاريخ: ۱۱۹
۴- بعدها عن المدينة: ۱۱۹
هل هناك اكثر من سرية؟!: ۱۲۰
الإغارة قبل الاحتجاج أم بعده؟! ۱۲۰
تحرزوا!! انهزموا!! ۱۲۱

القائد فقط هو السبب: ۱۲۲
حسد عمرو أشرّ من الهزيمة و أضرّ: ۱۲۲
استجابة الشيخين لابن العاص: ۱۲۲
أمير المؤمنين عليه السّلام يتهم: ۱۲۳
خطة على عليه السّلام: ۱۲۳
تبييت العدو ليس غدرا: ۱۲۳
تسمية الغزوة بذات السلاسل: ۱۲۴
محاباة لعمر؟! ۱۲۵
على عليه السّلام كرار غير فرار: ۱۲۵
ما جرى في خيبر لم يزل يتكرر: ۱۲۵
على عليه السّلام يقبّل قدمي النبي صلّى اللّه عليه و آله: ۱۲۵
اللّه و رسوله عنك راضيان: ۱۲۶
الفصل السابع: رواية القمي توضح .. بل تصرح ۱۲۶
اشارة ۱۲۶
ذات السلاسل برواية القمي: ۱۲۶
وادي اليابس: ۱۲۸
لماذا يعادون عليا عليه السّلام؟! ۱۲۹
أربعة آلاف: ۱۲۹
تخريب الضياع و الديار: ۱۲۹
لما ذا هذا السير الرفيق؟! ۱۳۰
الإحسان إلى دوابهم: ۱۳۰
على نفسها جنت براقش: ۱۳۰
السرعة .. و المفاجأة: ۱۳۰
أبو بكر يخوف أصحابه: ۱۳۱

لا نرید إلا محمدا و علیا!! ----- ۱۳۱
الشاهد یری ما لا یری الغائب: ----- ۱۳۱
فارجعوا نعلم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: ----- ۱۳۲
عمر أخو أبی بکر، و علی علیه السّلام أخو النبی صلّی اللّه علیه و آله: ----- ۱۳۲
ذنب عمر أعظم: ----- ۱۳۳
الفتح علی ید علی علیه السّلام: ----- ۱۳۳
الفتح لعلی علیه السّلام و أصحابه: ----- ۱۳۴
تطمینات علی علیه السّلام لأصحابه: ----- ۱۳۴
علی علیه السّلام أخو النبی و رسوله إلیکم: ----- ۱۳۵
علی علیه السّلام لا یحتکر النصر: ----- ۱۳۵
هل خرّب علی علیه السّلام دیارهم؟! ----- ۱۳۶
أصول الحرب فی سورة العادیات: ----- ۱۳۶
سریة علی علیه السّلام إلی بنی خثعم: ----- ۱۳۹
إعتراض ابن عباس: ----- ۱۴۲
عدد جموع الأعداء: ----- ۱۴۳
بکاء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: ----- ۱۴۴
الإحجام غیر المفهوم: ----- ۱۴۴
مئة و خمسون فقط: ----- ۱۴۴
الضلال عن الطریق و الاهتداء إلیها: ----- ۱۴۵
لا یقاتل حتی تطلع الشمس: ----- ۱۴۵
لماذا لا یقاتل إلا بعد الزوال؟! ----- ۱۴۶
إن الإنسان لربه لکنود فی من نزلت؟! ----- ۱۴۷
الفصل الثامن: سرایا حدثت .. إلی فتح مکة ----- ۱۴۸
اشارة ----- ۱۴۸

سریة أبی قتادة إلی بطن إضم: ۱۴۸
توضیح لا بد منه: ۱۵۰
هل کان أبو قتادة عالما بهدف النبی صلّی اللّه علیه و آله: ۱۵۰
نصرت بالرعب: ۱۵۱
ابن جثامة تلفظه الأرض: ۱۵۲
ملاحظة أخیرة: ۱۵۲
سریة واحدة أم سریتان؟! ۱۵۲
سریة أبی قتادة إلی خضرة: ۱۵۳
المهور الغالیة: ۱۵۶
تبییت العدو: ۱۵۷
الغنائم و الأسری: ۱۵۷
الإحاطة بالحاضر: ۱۵۷
یری وجه مهاجمه فی ظلام اللیل: ۱۵۸
افتراق الزمیلین: ۱۵۸
الغنائم تحل المشکلات: ۱۵۸
وعد آخر بسبیة متوقعة: ۱۵۸
سریة ابن أبی حدرد إلی الغابة: ۱۵۹
سریة أبی عبیدة إلی سیف البحر: ۱۶۲
رصد عیر قریش لا یصح: ۱۶۴
هدف السریة: ۱۶۵
عقلاء .. أم حساد؟! ۱۶۶
عدد الجزائر: ۱۶۷
مبالغات لا مبرر لها: ۱۶۷
هل للعنبر فلس؟! ۱۶۸

مقدار وقب عینها: ۱۶۸
الأعجوبة التی لم یهتم لها أحد!! ۱۶۸
لا نظیر لهذه الدابة فی المحیطات: ۱۶۸
هل هذا میتة؟! ۱۶۹
إن لم یکن أروح: ۱۶۹
الفصل التاسع: حنین الجذع .. و منبر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ۱۷۰
اشارة ۱۷۰
إتخاذ المنبر: ۱۷۰
حنین الجذع: ۱۷۲
دفن الجذع: ۱۷۳
عبرة .. و مناسبة: ۱۷۳
التبرک بمنبر رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: ۱۷۴
إنزل عن منبر أبی: ۱۷۵
و الإمام الحسین علیه السّلام أیضا: ۱۷۵
أول قود فی الإسلام: ۱۷۶
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ۱۷۷

الصحیح من سیره النبی الاعظم(ص) المجلد۲۰

اشارة

سرشناسه : عاملی، جعفر مرتضی، ۱۹۴۴- م.

عنوان و نام پدیدآور : الصحیح من سیره النبی الاعظم(ص)/ جعفرمرتضی العاملی

مشخصات نشر : سحرگاهان، ۱۴۱۹ق. = ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری : ج ۱۰

شابک : ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل)

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است.

یادداشت : افست از روی چاپ بیروت: دار السیره

یادداشت : جلد دهم: الفهارس

یادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد (ص)، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت -۱۱ق -- .سرگذشتنامه

موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا ۴۱ق.

رده بندی کنگره : BP۲۲/۹/ع۲ص۳ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۳

شماره کتابشناسی ملی : م۷۷-۱۵۹۲۹

[تتمة القسم الثامن]

[تتمة الباب الحادی عشر]

الفصل الثانی: معرکة مؤتة

اشارة

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج ۲۰،ص:۷

المسلمون فی مؤتة:

قالوا: و لما فصل المسلمون من المدينة سمع العدو بمسيرهم، فتجمعوا لهم، و قام فيهم شرحبيل بن عمرو، فجمع أكثر من مائة ألف، و قدم الطلائع أمامه «۱».

فلما نزل المسلمون وادى القرى، بعث أخاه سدوس بن عمرو فى خمسين من المشركين، فاقتتلوا. و انكشف أصحاب سدوس، و قد قتل، فشخص أخوه- و عند الواقدى: «و خاف شرحبيل بن عمرو، و دخل حصنا فتحصن، و بعث أخا له يقال له: وبر بن عمرو» «۲»- إلى هرقل يستمده، فبعث هرقل زهاء مائتى ألف «۳».

---

(۱) راجع: الروض الأنف ج ۴ ص ۱۳۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۴۸ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۶۶ و ۶۷ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۲ ص ۱۲۹ و عن تاريخ مدينة دمشق ج ۲ ص ۱۳.

(۲) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۰ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۱ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۴۸ و البحار ج ۲۱ ص ۶۱ و عن تاريخ مدينة دمشق ج ۲ ص ۱۳.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۴۸ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۸

المسلمون فى مواجهة هرقل:

و مضى المسلمون حتى نزلوا معان من أرض الشام. و بلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء فى مائة ألف من الروم، و انضم إليهم مائة ألف أخرى من لخم و جذام، و بكر و وائل، و قبائل قضاعة من بلقين، و بهراء، و بلىّ، عليهم رجل من بلىّ، ثم أحد بنى إراشة، يقال له: مالك بن رافلة.

و قيل: كانوا مائتى ألف من الروم و خمسين ألفا من قبائل العرب المتنصرة، و معهم من الخيول و السلاح ما ليس مع المسلمين.

فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون فى أمرهم، و قالوا: نكتب إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فنخبره بكثرة عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، و إما أن يأمرنا بأمر فنمضى له.

فشجع الناس عبد اللّه بن رواحة، فقال: «يا قوم، و اللّه، إن التى تكرهون، للتى خرجتم تطلبون: الشهادة. و ما نقاتل الناس بعدد، و لا قوة، و لا كثرة، و ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا اللّه به، فانطلقوا، فإنما هى إحدى الحسنيين، إما ظهور، و إما شهادة، و ليست بشرّ المنزلتين».

فقال الناس: صدق و اللّه ابن رواحة «۱».

---

(۱) أسد الغابة ج ۳ ص ۱۵۸ و عن إعلام الورى ج ۱ ص ۲۱۲ و ۲۱۳ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۱۹ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲ ص ۷ و ۸۳ و ج ۲۸ ص ۱۲۴ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۵۸ و عيون الأثر ج ۲ ص ۱۶۶ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۸۳۱ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۵۸ و سبل الهدى-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۹

فمضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل، من الروم و العرب، بقرية من قرى البلقاء، يقال لها: مشارف «۱».

فى المواجهة:

ثم دنا العدو، و انحاز المسلمون إلى قرية يقال لها: مؤتة. فالتقى الناس عندها، فتعبأ لهم المسلمون «۲».

و روى أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم، و محمد بن القرّاب فى تاريخه، عن برذع بن زيد، قال: قدم علينا وفد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إلى مؤتة، و عليهم زيد بن حارثة، و جعفر بن أبى طالب، و عبد اللّه بن رواحة، و خرج معهم

- و الرشاد ج ۶ ص ۱۴۸ و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ۲ ص ۷۸۷ و راجع:

النص و الإجتهاد ص ۳۰ و الدرر لابن عبد البر ص ۲۰۹ و تاريخ الإسلام للذهبى ج ۲ ص ۴۸۱ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۷۷ و الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج ۲ ص ۲۳۵ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ ق ۲ ص ۴۱.

(۱) تنسب إليها السيوف المشرفية، حيث يقال: إنها طبعت لسليمان «عليه السلام» بها.

راجع: مجمع البلدان ج ۵ ص ۱۳۱ و ۲۲۰ و عن تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۱ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۷۸ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۸۳۲ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۶۶ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۶۰ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۴۸ و البحار ج ۲۱ ص ۵۶ و إعلام الورى ج ۱ ص ۲۱۳.

(۲) راجع: مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۵۸ و عن تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۱ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۷۸ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۸۳۲ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۶۷ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۶۰ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۴۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص: ۱۰

منا عشرة إلى مؤتة، يقاتلون معهم. قد كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» نهاهم أن يأتوا، فركبت القوم ضبابة، فلم يبصروا حتى أصبحوا على مؤتة.

و روى محمد بن عمر، عن أبى هريرة قال: «شهدت مؤتة، فلما دنا العدو منا رأينا ما لا قبل لأحد به من العدد و العدد، و السلاح و الكراع، و الديباج و الحرير، و الذهب، فبرق بصرى، فقال لى ثابت بن أقرم: يا أبا هريرة، كأنك ترى جموعا كثيرة.

قلت: نعم.

قال: إنك لم تشهد معنا بدرا، إنّا لم ننصر بالكثرة «۱».

قال ابن إسحاق: و تعبأ المسلمون للمشركين، فجعلوا على ميمنتهم رجلا من عذرة، يقال له: قطبة بن قتادة، و على ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له: عباية بن مالك.

[قال ابن هشام]: و يقال له: عبادة بن مالك «۲».

---

(۱) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۶۷ و شجرة طوبى ج ۲ ص ۲۹۹ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲ ص ۱۴ و ج ۱۱ ص ۱۰۸ و تاريخ الإسلام للذهبى ج ۲ ص ۴۸۲ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۷۸ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۶۱ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۴۸ و البحار ج ۲۱ ص ۶۱ و إمتاع الأسماع ج ۱ ص ۳۴۰ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۶۷ و الإصابة ج ۱ ص ۵۰۰.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۴۸ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۵۹ و ۷۶۰ و راجع:

السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۶ و ۶۷ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۶۱ و البحار ج ۲۱ ص ۵۵ و ۵۶ و ۷۱ و مقاتل الطالبيين ص ۷ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۵۹ و المعجم الكبير ج ۵ ص ۸۵ و عن تاريخ مدينة دمشق ج ۲۶ ص ۴۶۲ و ج ۴۹ ص ۳۳۶ و عن أسد الغابة-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص: ۱۱

استشهاد القادة:

قال ابن عقبة، و ابن إسحاق، و محمد بن عمر: ثم التقى الناس، و اقتتلوا قتالا شديدا.

فقاتل زيد بن حارثة براية رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» حتى شاط فى رماح القوم.

ثم أخذها جعفر بن أبى طالب، فقاتل بها حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء، فعرقبها.

ثم قاتل القوم حتى قتل.

فكان جعفر أول رجل من المسلمين عرقب فرسا له فى سبيل اللّه «۱».

و روى ابن إسحاق، عن عباد بن عبد اللّه بن الزبير، قال: حدثنى أبى الذى أرضعنى، و كان أحد بنى مرة بن عوف، و كان فى غزوة مؤتة، قال: و اللّه، لكأنى أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء، ثم عقرها، ثم قاتل حتى قتل، و هو يقول:

- ج ۳ ص ۱۱۴ و عن الإصابة ج ۵ ص ۳۴۰ و عن تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۱ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۷۸ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۸۳۲ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۶۷ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۶۰.

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۴۸ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۱ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۷ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۱ و البحار ج ۲۱ ص ۵۰ و ۵۱ و ۵۴ و ۶۱ و ۶۲ و عن أمالى الطوسى ص ۸۷ و ۸۸ و عيون الأثر ج ۲ ص ۱۶۷ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۶۹ و مقاتل الطالبيين ص ۷ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۱ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۸۳۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۲ يا حبذا الجنة و اقترابهاطيبة و باردا شرابها

و الروم روم قد دنا عذابهاكافرة بعيدة أنسابها

على إذ لاقيتها ضرابها

و هذا الحديث رواه أبو داود من طريق ابن اسحاق، و لم يذكر الشعر «۱».

و فى حديث أبى عامر عند ابن سعد: أن جعفرا «رحمه اللّه» تعالى لبس السلاح، ثم حمل على القوم، حتى إذا همّ أن يخالطهم رجع فوحّش بالسلاح، ثم حمل على العدو، و طاعن حتى قتل.

قال ابن هشام: و حدثنى من أثق به من أهل العلم: أن جعفر بن أبى طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل «رحمه اللّه» تعالى، و هو ابن ثلاث و ثلاثين سنة. فأثابه اللّه بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث شاء.

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۴۹ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۱ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۵۹ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۸۳۳ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۷۸ و ۲۷۹ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۶۱ و سنن أبى داود ج ۱ ص ۵۸۰ و راجع: مقاتل الطالبيين ص ۷ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۹ ص ۸۷ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۱ و المنتخب من ذيل المذيل ص ۲ و ذخائر العقبى ص ۲۱۷ و المصنف لابن أبى شيبة ج ۴ ص ۵۷۷ و ج ۷ ص ۷۳۱ و المعجم الكبير ج ۲ ص ۱۰۶ و تاريخ مدينة دمشق ج ۶۸ ص ۸۸ و ج ۷۰ ص ۲۷۱ و تهذيب التهذيب ج ۲ ص ۸۴ و الإصابة ج ۱ ص ۵۹۳ و سير أعلام النبلاء ج ۱ ص ۲۰۹ و تهذيب الكمال ج ۵ ص ۵۸ و أسد الغابة ج ۱ ص ۲۸۸ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۴ ص ۳۷ و معرفة السنن و الآثار ج ۷ ص ۲۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۳

و يقال: إن رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه نصفين «۱».

و قيل: وقع أحد نصفيه فى كرم، فوجد فى نصفه ثلاثون أو بضعة و ثلاثون جراحا «۲».

جراحات جعفر:

روى الذهبى: عن أسامة بن زيد الليثى، عن نافع: أن ابن عمر قال:

جمعت جعفرا على صدرى يوم مؤتة، فوجدت فى مقدم جسده بضعا و أربعين من بين ضربة و طعنة «۳».

و عن نافع، عن ابن عمر أيضا: «أنه وقف على جعفر يومئذ، و هو قتيل، فعددت به خمسين بين طعنة و ضربة، ليس منها- أو قال فيها- شىء فى

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۴۹ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۱ و البحار ج ۲۱ ص ۶۱ عن المعتزلى، و راجع: الطبقات لابن سعد ج ۴ ص ۳۸ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۷۹ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۸۳۳ و المستدرك للحاكم ج ۳ ص ۲۰۸ و البحار ج ۲۱ ص ۶۱ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۶۲.

(۲) المنتخب من ذيل المذيل ص ۳ و المستدرك للحاكم ج ۳ ص ۲۰۸ و الطبقات الكبرى ج ۴ ص ۳۸ و البحار ج ۲۱ ص ۶۱ و راجع: سير أعلام النبلاء ج ۱ ص ۲۱۰ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۹۲.

(۳) سير أعلام النبلاء ج ۱ ص ۲۱۰ و قال فى هامشه: إسناده حسن. و أخرجه البخارى (۴۲۶۰) فى المغازى: باب غزوة مؤتة من طريق ابن وهب، عن عمرو، عن ابن أبى هلال قال: و أخبرنى نافع: أن ابن عمر أخبره: أنه وقف على جعفر يومئذ و هو قتيل. فعددت به خمسين بين طعنة و ضربة ليس منها شىء فى دبره- يعنى ظهره.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۴

دبره» «۱».

و عن أبى جعفر «عليه السلام»: «أصيب يومئذ جعفر، و به خمسون جراحا، خمس و عشرون منها فى وجهه» «۲».

و روى البخارى، و البيهقى، عن عبد اللّه بن عمر قال: «كنت فيهم فى تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبى طالب، فوجدناه فى القتلى، و وجدنا فى جسده بضعا و ستين من طعنة و رمية» «۳».

و عن نافع، عن ابن عمر: أنه كان يأتى عبد اللّه بن جعفر، فقال له الناس: إنك تكثر إتيان عبد اللّه بن جعفر.

فقال ابن عمر: لو رأيتم أباه، أحببتم هذا. وجد فيما بين قرنه إلى قدمه

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۷ و ۱۴۹ و عن صحيح البخارى ج ۵ ص ۸۶، و عن سنن سعيد بن منصور، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۹ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۱ و البحار ج ۲۱ ص ۵۸ عن جامع الأصول، و العمدة لابن البطريق ص ۴۰۸ و عن فتح البارى (المقدمة) ص ۲۱۸ و ج ۷ ص ۳۹۴ و المعجم الكبير ج ۲ ص ۱۰۷ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۸۰ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۶۴.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۵۶ عن إعلام الورى ص ۱۱۰ و ۱۱۱ و عن مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۷۷ و شجرة طوبى ج ۲ ص ۲۹۹ و إعلام الورى ج ۱ ص ۲۱۳.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۴۹ و ۱۵۸ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۱ و راجع: الطبقات الكبرى ج ۴ ص ۳۸ و شرح الأخبار ج ۳ ص ۵۴۸ و العمدة لابن البطريق ص ۴۰۸ و ذخائر العقبى ص ۲۱۸ و البحار ج ۲۱ ص ۵۸ و عن صحيح البخارى ج ۵ ص ۸۷ و تهذيب الكمال ج ۵ ص ۵۴ و معجم ما استعجم ج ۴ ص ۱۱۷۲ و راجع: الطبقات الكبرى ج ۴ ص ۳۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۵

سبعون بين ضربة سيف و طعنة برمح «۱».

و فى نص آخر عنه أيضا: وجد فيما أقبل من بدن جعفر ما بين منكبيه اثنان و سبعون ضربة بسيف، أو طعنة برمح «۲».

و قيل: وجدوا فى إحدى شقيه بضعة و ثمانين جرحا «۳»، و فيما أقبل من بدنه اثنين و سبعين ضربة بسيف، و طعنة برمح «۴».

و عن ابن عمر أيضا: وجدنا فيما بين صدر جعفر و منكبيه، و ما أقبل منه تسعين جراحة، ما بين ضربة بالسيف، و طعنة بالرمح «۵».

و عن ابن عمر قال: «التمسنا جعفر بن أبى طالب، فوجدناه فى القتلى، فى جسده (نيفا) بضعا و تسعين من طعنة و رمية» «۶».

---

(۱) تاريخ مدينة دمشق ج ۲۷ ص ۲۶۲ و عن تاريخ الإسلام للذهبى (حوادث سنة ۶۱- ۸۰) ص ۴۳۰ و سير أعلام النبلاء ج ۳ ص ۴۵۸ و ۴۵۹ و تهذيب الكمال ج ۱۴ ص ۳۷۱.

(۲) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۱ و راجع: البحار ج ۲۱ ص ۶۱ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۱۲۹ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۶۷ و شجرة طوبى ج ۲ ص ۲۹۹.

(۳) راجع: النص و الإجتهاد ص ۲۹ و عن الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۲۳۶ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۱ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۲ ص ۳۷۸.

(۴) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۹ و الطبقات الكبرى ج ۴ ص ۳۸.

(۵) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۹ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۱ و الطبقات الكبرى ج ۴ ص ۳۸ و عن الإحتجاج ج ۱ هامش ص ۱۷۲ و الدرجات الرفيعة ص ۷۵ و البحار ج ۲۲ ص ۲۷۶ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۶۸.

(۶) المعجم الكبير ج ۲ ص ۱۰۷ و كنز العمال ج ۱۰ ص ۵۶۱ و عن صحيح البخارى ج ۵ ص ۸۷ و البحار ج ۲۱ ص ۵۸ و تهذيب الكمال ج ۵ ص ۵۴ و قال فى هامشه:-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۶

و فى نص آخر: فقدنا جعفر بن أبى طالب. طلبناه فى القتلى، فوجدناه و به طعنة و رمية بضع و تسعون فوجدنا ذلك فيما أقبل من جسده «۱».

و قال ابن عمر: و كنت معهم فى تلك الغزوة، فالتمسنا جعفرا، فوجدنا فيما أقبل من جسمه بضعا و تسعين ما بين ضربة بسيف و طعنة برمح و رمية.

و روى ابن كثير: أنه لما قتل، وجدوا فيه بضعا و تسعين ما بين ضربة بسيف، و طعنة برمح، و رمية بسهم، و هو فى ذلك كله مقبل غير مدبر، و كانت قد طعنت يده اليمنى ثم اليسرى و هو ممسك للواء، فلما فقدهما احتضنه حتى قتل و هو كذلك «۲».

و عن الفيروز آبادى: فوجد فيما أقبل من جسده تسعون ضربة ما بين طعنة برمح و ضربة بسيف «۳».

- أخرجه البخارى ج ۵ ص ۱۸۲ فى المغازى، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، و أبو نعيم فى الحلية ج ۱ ص ۱۱۷ و الحاكم ج ۳ ص ۲۱۲ و ابن سعد ج ۴ ص ۳۸ و راجع: شرح الأخبار ج ۳ ص ۵۴۸ و العمدة لابن البطريق ص ۴۰۸ و ذخائر العقبى ص ۲۱۸ و عن فتح البارى ج ۷ ص ۳۹۴ و سير أعلام النبلاء ج ۱ ص ۲۱۰ و معجم ما استعجم ج ۱ ص ۱۱۷۲.

(۱) الطبقات الكبرى ج ۴ ص ۳۸ و ذكر عن الفضل بن دكين: تسعين ضربة بين طعنة برمح و ضربة بسيف، و عن المصنف لابن أبى شيبة ج ۸ ص ۵۵۰ و سير أعلام النبلاء ج ۱ ص ۲۱۰ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۸.

(۲) البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۹۲ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۸۳.

(۳) البحار ج ۶۹ ص ۱۲۴ و ۱۲۵ و مستدرك سفينة البحار ج ۲ ص ۶۸۵ و راجع:

مسند ابى حنيفة ص ۵۲۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۷

و ذكر ابن الأثير: أنه لما قتل جعفر وجد به بضع و سبعون جراحة ما بين ضربة بسيف و طعنة برمح كلها فيما أقبل من بدنه.

و قيل: بضع و خمسون، و الأول أصح «۱».

فظهر ذلك التخالف. أى أن التخالف بين الروايات أصبح ظاهرا و واضحا.

كيفية الجمع بين الروايات:

قال الحافظ: و يجمع بأن العدد قد لا يكون له مفهوم، أو بأن الزيادة باعتبار ما وجد فيه من رمى السهام، فإن ذلك لم يذكر فى الرواية الأولى، أو الخمسين مقيدة بكونها ليس فيها شىء فى دبره أى ظهره، فقد يكون الباقى فى بقية جسده، و لا يستلزم ذلك أنه ولى دبره، و إنما هو محمول على أن الرمى جاءه من جهة قفاه أو جانبيه، و لكن يريد الأول: أن فى رواية العمرى عن نافع:

فوجدنا ذلك فيما أقبل من جسده، بعد أن ذكر العدد بضعا و تسعين «۲».

و وقع فى رواية البيهقى فى الدلائل بضع و سبعون- بتقديم السين على الموحدة- و أشار أن بضعا و تسعين بتقديم الفوقية على السين أثبت «۳».

طليعة شرحبيل:

ذكرت الروايات المتقدمة: أن شرحبيل بن عمرو الغسانى قد جمع مائة ألف.

---

(۱) أسد الغابة ج ۱ ص ۲۸۸ و راجع: صحيح ابن حبان ج ۱۱ ص ۴۵.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۵۸ عن جامع الأصول.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۷ و ۱۵۸ عن صحيح البخارى، و راجع:

الطبقات الكبرى ج ۴ ص ۳۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۸

و لكنها تعود لتقول: إنه لما نزل المسلمون وادى القرى أرسل شرحبيل أخاه فى خمسين رجلا، فاقتتلوا، ثم انكشف المشركون و قد قتل أخوه سدوس ..

ثم تذكر: أن شرحبيل هذا قد خاف، فدخل حصنا فتحصن فيه.

و نقول:

إن هذه التصرفات لا تنسجم مع المنطق السليم، و العقل القويم، و ذلك لما يلى:

۱- إن من يجمع مائة ألف مقاتل لا تكون طليعته خمسين رجلا بحسب العادة، فإن المشركين الذين لا يجمعون ما يصل إلى عشر ما جمعه شرحبيل، تكون طليعتهم مائتى فارس فى الحديبية «۱»، لمواجهة أقل من ألف و خمس مائة مقاتل ..

۲- ما معنى أن يخاف شرحبيل من ثلاثة آلاف رجل حتى إنه ليدخل حصنا و يتحصن فيه، مع أن معه مائة ألف مقاتل؟! ..

---

(۱) راجع: نور الثقلين ج ۱ ص ۵۴۳ و كنز الدقائق ج ۲ ص ۶۰۶ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۳۶ و السيرة النبوية لدحلان ج ۲

ص ۳۵ و تفسير القمى ج ۱ ص ۱۵۰ و ج ۲ ص ۳۱۰ و البحار ج ۲۰ ص ۳۴۸ و ج ۸۳ ص ۱۱۰ و نيل الأوطار ج ۸ ص ۱۹۱ و الأم للشافعى ج ۷ ص ۱۴۹ و مستدرك الوسائل ج ۶ ص ۵۱۸ و النص و الإجتهاد ص ۱۶۵ و الميزان (تفسير) ج ۵ ص ۶۴ و ج ۱۸ ص ۲۶۴ و عن فتح البارى ج ۵ ص ۲۴۳ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۱۴ و عن ابن سعد فى الطبقات ج ۲ ص ۹۵ و نيل الأوطار ج ۸ ص ۱۹۱ و تفسير القمى ج ۱ ص ۱۵۰ و ج ۲ ص ۳۱۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۹

۳- و حين دخل شرحبيل الحصن، أين كان المائة ألف الذين جمعهم؟

هل دخلوا معه؟! أم تركهم فى خارجه؟

و إذا كانوا دخلوا معه، فهل اتسع ذلك الحصن لهذه الأعداد الهائلة؟!

و إن كانوا قد بقوا فى الخارج، كيف أقنعهم بصحة تصرفه هذا، و أن يبقوا عرضة للخطر فى العراء، و يبيت هو فى داخل الحصن؟!

و هل رضوا منه به أم لم يرضوا؟

۴- و عن أخيه سدوس نقول:

كيف تجرأ أخوه سدوس على الدخول فى حرب ضد ثلاثة آلاف مقاتل، مع أن الذين معه كانوا خمسين رجلا فقط؟!

و إذا كان شرحبيل- و هو فى مائة ألف مقاتل- لا يجرؤ على مواجهة ثلاثة آلاف مقاتل، بل يدخله خوفه منهم حصنا ليأمن على نفسه فيه، فكيف يقدم سدوس على الدخول فى حرب مع نفس هؤلاء الذين هرب منهم أخوه الذى أرسله؟!

و إذا كان باستطاعة الخمسين رجلا- بمن فيهم سدوس- أن يفلتوا، و ينكشفوا و يسلموا حتى إنه لم ينقل أحد أن أحدا منهم قد أصيب و لو بجراحة، فلما ذا لم يفلت سدوس نفسه أيضا؟!

۵- و لست أدرى كيف استطاع شرحبيل أن يجمع مائة ألف مقاتل بهذه السرعة الفائقة. أى من حين بدأ المسلمون مسيرهم نحوهم، و إلى حين وصولهم؟! هل كانوا مجتمعين فى منطقة واحدة، فدعاهم، فأجابوه؟! أم أنه قد جمعهم من مناطق متباعدة؟!

إننا لم نعهد فى منطقة مؤتة تجمعات كبيرة تستطيع أن تفرز مائة ألف

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۰

مقاتل بهذه السرعة ..

۶- على أن من يستطيع أن يجمع أكثر من مائة ألف بهذه السرعة، فلا بد أن يكون ذا نفوذ عظيم يضاهى نفوذ هرقل ملك الروم، و يستحق أن يجعله هرقل على بلاد الشام كلها، و لا يجعل سواه، لا الحارث بن أبى شمر الغسانى، و لا غيره.

بل هو يستطيع أن يستقل عن هرقل نفسه، فهو ليس بحاجة إليه، فلما ذا يأنف من أن يكون تابعا له؟!

الأرقام عن عدد جيوش العدو:

نحن و إن كنا لا نريد أن نعطى رقما مبالغا فيه عن عدد جيوش العدو، غير أننا نشير إلى أن مراجعة النصوص المتقدمة تعطى الإنطباع عن عدد جيوش العدو، و أنه كان أكثر من مائتى ألف، بل قد يصل إلى ضعف هذا العدد ..

فقد تقدم: أن شرحبيل جمع أكثر من مائة ألف، و أن هرقل بعث إليه زهاء مائتى ألف.

و كان هرقل نفسه قد نزل البلقاء فى مائة ألف من الروم، و مائة ألف أخرى من العرب.

و قيل: بل كان معه مائتا ألف من الروم، و خمسون ألفا من العرب المتنصرة ..

فإذا ضممنا هذه الأرقام إلى بعضها البعض، فإن العدد سوف يتضاعف ليصل إلى ما يقارب الخمس مائة و خمسين ألفا. و هو رقم لم يذكره أحد من

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۲۱

المؤرخين. فهل كان ذلك غفلة منهم عن حقيقة الحال؟! أم أن ارتباك الروايات جعلهم يقتصرون على ذكر المائتى ألف، أو ما يزيد على ذلك بما لا يصل إلى هذه الأرقام العالية؟!

أم أن كثرة الأعداد، أوجبت اختلاط الأمور عليهم؟!

إننا لا نستطيع أن نقدم أية إجابة حاسمة على هذا السؤال، لكننا نقول:

لا شك فى أن الجيوش المجتمعة كانت هائلة، حتى مع الإعتراف بغياب القدرة على تقديم إحصاءات دقيقة عنها ..

و قد يكون سبب عزوف المؤرخين عن التصريح بأرقامها العالية هو استبعادهم أن يكون ذلك قد حصل فعلا. فاكتفوا بذكر ما يسع الناس تصديقه، و لو بنحو من التكلف و ادّعاء التسامح، و تركوا ما عداه ..

و احتمال تكثير عدد الجيوش إلى هذا الحد الذى ربما يبدو خياليا هو إيجاد العذر لخالد عن هزيمته النكراء التى فوتت على الإسلام و المسلمين أعظم الإنجازات التى ربما لو تحققت لفتح الإسلام بلاد الروم بأسرها.

و لكن ذلك و إن كان فى محله إلا أن للمبررات حدودها المعقولة، فلو لم يكن العدد هائلا بالفعل لم تصح و لم تقبل هذه المبالغة من أحد.

غير أن مما لا شك فيه أن النصر كان أكيدا مهما قلنا فى عدد الجيوش، و أن خالدا هو الذى ضيعه، و يدل على ذلك هذا الموقف الصارم من المسلمين تجاه خالد و جميع من فر معه، و لم يتدخل النبى «صلى اللّه عليه و آله» للتخفيف عنهم، لأنه رآهم يستحقون أكثر من ذلك، و رأى أن للمسلمين الحق بأن يعاملوه بما هو أشد.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۲۲

فتجمعوا لهم:

ذكرت النصوص المتقدمة: أن المائة ألف الذين جمعهم شرحبيل قد تجمعوا لهم. أى استعدادا لمواجهة المسلمين.

غير أننا نقول:

إن المتوقع ممن يستعد لمواجهة عدو قادم هو أن يواجهه بكمائن و مفاجآت تربك أو تعيق حركته، و تنهك قوته، و ربما تنجح فى حسم الأمور معه بأدنى الخسائر .. غير أننا لم نجد شيئا من ذلك سوى طليعة سدوس التى انتهت بقتله، و فرار من معه.

مع ملاحظة: أنه ليس فيها أى عمل ذكى من الناحية العسكرية، بل هى مجرد عمل روتينى فاشل و ضعيف.

إما النصر و إما الشهادة:

و عن تشجيعات عبد اللّه بن رواحة للناس، و قوله: «هى إحدى الحسنيين، إما ظهور، أو شهادة، و ليست بشر المنزلتين»، نقول:

إن الحديث عن الظهور و الغلبة فى ظروف كهذه، و حيث يعدّ عدوهم بمئات الألوف، و بأحسن عدة، و أتم تجهيز، لهو أمر يبعث على الإعتزاز، و الفخر من جهة، و هو يدل على وجود مبررات لهذا الحديث، تجعل من توقع حصول النصر أمرا مقبولا و معقولا .. و على أن هذه الأعداد لم تفاجئهم، بل كانوا يتوقعون حشودا كبيرة جدا، تقترب من الأرقام التى صادفوها.

لكن ما لم يكن ذلك الجيش الإسلامى يتوقعه هو زيادة رقم الحشود إلى حد جعله يفكر بمراجعة النبى «صلى اللّه عليه و آله» لمعرفة ما إذا كانت

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۲۳

هذه الزيادة تستدعى توجيها آخر منه «صلى اللّه عليه و آله»، أم أن الأمور لم تصل إلى حد يدعو إلى ذلك ..

و لكن ما يبقى غامضا بالنسبة إلينا هو حقيقة تلك المبررات التى تدعو جيش المسلمين إلى توقع النصر، أو احتماله. فإن المادة التاريخية المتوفرة لدينا لا تخولنا معرفة شيء منها.

و لعل السبب فى ضآلة النصوص هنا هو الرغبة فى الحفاظ على ماء الوجه لبعض من تسبب بحدوث الهزيمة، فعمد الرواة و المؤرخون إلى إهمال التصريح بأمور كثيرة و خطيرة، كان التصريح بها مفيدا جدا و ضروريا ..

و ينبغى أن لا نهمل الإشارة إلى أن مما يوكد ذلك كله: هو التعبير عن الشهادة بأنها «ليست بشر المنزلتين»، حيث يستبطن هذا التعبير إلماحة إلى أن موضوع الشهادة، كان هو الأبعد احتمالا عن ذهن جيش المسلمين، باستثناء استشهاد القادة الثلاثة ..

و هناك ما هو أصرح و أوضح، و هو: قول ثابت بن أقرم لأبى هريرة، حين رأى جموع الروم، فبهرته كثرتهم و تجهيزاتهم:

«يا أبا هريرة، كأنك ترى جموعا كثيرة!!

قلت: نعم.

قال: إنك لم تشهد معنا بدرا، إنّا لم ننصر بالكثرة» «۱».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۴۸ و عن مغازى الواقدى ج ۲ ص ۷۶۰ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۶۷ و عن تاريخ مدينة دمشق ج ۲ ص ۱۴ و ج ۱۱-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۴

فالنصر كان متوقعا، و كانت الأمثولة لهم هى غزوة بدر، و النصر المؤزر الذى تحقق فيها ..

فخرج على قومه فى زينته:

و إن قصة أبى هريرة حين رأى كثرة القوم، و العدّة و السلاح، و الحرير، و الديباج، و الذهب، حيث برق بصره- لتذكرنا بقوله تعالى عن قارون:

فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ فِى زِينَتِهِ قالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِىَ قارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ، وَ قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً وَ لا يُلَقَّاها إِلَّا الصَّابِرُونَ «۱».

و يقول تعالى عن فرعون: وَ نادى فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِ قالَ يا قَوْمِ أَ لَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَ هذِهِ الْأَنْهارُ تَجْرِى مِنْ تَحْتِى أَ فَلا تُبْصِرُونَ، أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هذَا الَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَ لا يَكادُ يُبِينُ، فَلَوْ لا أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ، فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطاعُوهُ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ «۲».

فقد أظهرت هذه الآيات الخلل العميق فى النظرة و فى المعايير لدى قوم فرعون، و أمثالهم من طلاب الحياة الدنيا، و ذلك لأن رؤيتهم للزينة الحاضرة، و للأنهار تجرى من تحت فرعون، و كون أن ملك مصر بيده .. ثم

- ص ۱۰۸ و عن الإصابة ج ۱ ص ۵۰۰ و شجرة طوبى ج ۲ ص ۲۹۹ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۷۸ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۶۸ و عن دلائل النبوة للبيهقى ج ۴ ص ۲۷۸.

(۱) الآيتان ۷۹ و ۸۰ من سورة القصص.

(۲) الآيات ۵۱- ۵۴ من سورة الزخرف.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۵

التفاتهم إلى أن موسى «عليه السلام» لا تلقى عليه أسورة الذهب، و لا تأتى معه الملائكة، قد جعلهم يتخيلون أن السعادة، و اللذة و الحياة ستكون فى جانب فرعون، و أن البؤس و السغب و الحرمان سيكون فى الجانب الآخر، فيستثير ذلك غرائزهم، و يدفع أهواءهم، للإندماج و الانغماس، فى هذا الواقع الزاخر بالشهوات .. و يدفعهم ذلك إلى أن ينأوا بأنفسهم عن الاستجابة لدعوات الحق، و يزيد من نفورهم منه، و ابتعادهم عنه.

و أما عقولهم، فلا يكون لها دور، و لا يسمع لها رأى، لأنهم يشعرون أن عقولهم تدعوهم للتخلى على اللذة الحاضرة منهم، من دون عوض حاضر تقدمه إليهم.

و هذا بالذات هو ما جرى لأبى هريرة، فإنه حين رأى الديباج و الحرير، و الذهب، و العدة و العدد، و العتاد و السلاح، استيقظت غرائزه، و اشرأبت أعناق الشهوات و حب الدنيا فى نفسه، لتغرق فى هذا الذهب، و ذلك الحرير، و تعيش الركون إلى العدة و العدد، و السلاح .. و غاب العقل عن مسرح القرار، و خف ميزانه، و ضعفت قدرته على التأثير فى نفس هيمنت عليها الغرائز، و تملكها حب الدنيا، و ركنت و انشدت إليها ..

و ربما يذكّره ثابت بن أقرم بالمعادلة الصحيحة، و هى: أن النصر ليس للكثرة، و أن بدرا هى خير شاهد و دليل على ذلك ..

فسكت أبو هريرة، و لم يجرؤ على إظهار حقيقة ما يعتلج فى نفسه، و لم يكن لديه حيلة، و لا وسيلة، إلا هذا السكوت الساتر لما فى الضمائر ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۶

إيذاء الحيوان لا يجوز:

و ذكروا: أن جعفرا رضوان اللّه تعالى عليه قد عقر فرسه .. و هذا ما رواه أبو داود، من طريق محمد بن سلمة، عن ابن إسحاق، قال: عن يحيى بن عبّاد، عن أبيه عبّاد بن عبد اللّه بن الزبير، قال: حدثنى أبى الذى أرضعنى، فذكره، و قال: ليس هذا الحديث بالقوى.

قال الصالحى الشامى: و قد جاء نهى كثير من أصحاب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» [عن تعذيب البهائم، و قتلها عبثا] كذا قال أبو داود:

إنه ليس بقوى و ابن اسحاق حسن الحديث.

و قد صرح بالتحديث فى رواية زياد البكائى، فقال: حدثنى يحيى بن عباد، و يحيى و أبوه ثقتان، و جهالة اسم الصحابى لا تضرّ، و رواه أيضا عن ابن اسحاق عن عبد اللّه بن إدريس الأودى كما فى مستدرك الحاكم، فسند الحديث قوى «۱».

قال الخطابى عن عقر جعفر لفرسه: و هذا يفعله الناس فى الحرب إذا أرهق و أيقن أنه مغلوب، لئلا يظفر به العدوّ، فيتقوى به على قتال المسلمين «۲».

قال الحلبى: و من ثم لم ينكر عليه أحد من أصحابه. و به استدل من جوز قتل الحيوان خشية أن ينتفع به الكفار «۳».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۷.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۷ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۵۷ و عون المعبود ج ۷ ص ۱۷۲.

(۳) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۷ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۷۹ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۶۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۷

و اختلف العلماء فى الفرس يعقره صاحبه لئلا يظفر به العدو، فرخص فيه مالك، و كره ذلك الأوزاعى و الشافعى.

و احتج الشافعى بحديث النبى «صلى اللّه عليه و آله»: «من قتل عصفورا فما فوقه بغير حقه يسأله اللّه تعالى عن قتله».

و احتج بنهيه «صلى اللّه عليه و آله» عن قتل الحيوان إلا لمأكلة.

قال: و أما أن يعقر الفرس من المشركين، فله ذلك، لأن ذلك أمر يجد به السبيل إلى قتل من أمر بقتله «۱».

هذا ما قاله هؤلاء، أما نحن فنقول:

عقر الفرس أم عرقبها:

۱- مما تجدر الإشارة إليه، هو: أن ما يذكرونه عن جعفر بالنسبة لفرسه، قد ورد بصيغتين:

إحداهما: أنه عرقب فرسه «۲».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۷ و كتاب الأم ج ۷ ص ۳۷۵.

(۲) راجع: المحاسن للبرقى ص ۶۳۴ و الكافى ج ۵ ص ۴۹ و الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ۱۱ ص ۵۴۴ و منتهى المطلب (ط ق) ج ۲ ص ۹۱۳ و جواهر الكلام ج ۲۱ ص ۸۳ عن الوسائل، و التهذيب، و المحلى ج ۷ ص ۲۹۶ و تهذيب الأحكام ج ۶ ص ۱۷۰ و البحار ج ۴۵ ص ۱۴ و ج ۵۸ ص ۲۲۳ و ج ۹۴ ص ۲۵ و راجع: التنبيه و الإشراف ص ۱۳۱ و مجمع البحرين ج ۳ ص ۱۶۸ و عمدة القارى ج ۱۷ ص ۲۶۷ و الإستيعاب ج ۱ ص ۷۷ و تاريخ مدينة دمشق ج ۷۰ ص ۲۸۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۲۸

و الأخرى: أنه عقر فرسه «۱».

و لعل الثانية هى الأولى و الأقرب إلى الصحة، لأن عرقبة الفرس لا تتناسب مع ما ورد من النهى الشرعى عن إيذاء الحيوان، حسبما قدمناه فى غزوة الحديبية، و ذكرناه فى كتابنا: «حقوق الحيوان فى الإسلام»، و نحن نجل جعفرا عن الإقدام على عمل نهى عنه الشارع، و يأباه الخلق الإنسانى الرفيع.

بل هناك نص عن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يتعرض لنفس هذا المعنى، فقد روى عنه «صلى اللّه عليه و آله» قوله: «إذا حرنت على أحدكم

---

(۱) راجع: الأمالى للطوسى (المجلس الخامس) ص ۱۴۱ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۴ ص ۳۸ و المبسوط للسرخسى ج ۱۰ ص ۲۸ و عن مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۷۷ و البحار ج ۲۱ ص ۵۰ و ۶۲ و النص و الإجتهاد ص ۲۸ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۶۹ و الدرجات الرفيعة ص ۷۵ و السير الكبير ج ۲ ص ۷۹۶ و عن البداية و النهاية ج ۲ ص ۳۰ و بشارة المصطفى ص ۴۳۲ و قصص الأنبياء لابن كثير ج ۲ ص ۲۹۹ و مقاتل الطالبيين ص ۷ و عن سنن أبى داود ج ۱ ص ۵۸۰ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۹ ص ۷۸ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۵۹ و عن عون المعبود ج ۷ ص ۱۷۲ و الثقات ج ۳ ص ۴۹ و عن تاريخ مدينة دمشق ج ۶۸ ص ۸۸ و عن أسد الغابة ج ۱ ص ۲۸۸ و تهذيب الكمال ج ۵ ص ۵۸ و سير أعلام النبلاء ج ۱ ص ۲۰۹ و تهذيب التهذيب ج ۲ ص ۸۴ و عن الإصابة ج ۱ ص ۵۹۳ و عن تاريخ الأمم و الملوك ج ۵ ص ۵۸ و المنتخب من ذيل المذيل ص ۲ و ۳ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۲ ص ۸۳۳ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۶۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۲۹

دابة فى أرض العدو فليذبحها، و لا يعرقبها» «۱».

أما عقر الفرس فلا يأبى عن إفادة معنى الذبح، فهو الأقرب و الأنسب بسجايا جعفر، الذى أشبه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى خلقه و خلقه «۲».

(۱) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ۱۶ ص ۳۰۷ و ۳۰۸ و ج ۸ ص ۳۹۶ و ج ۵ ص ۵۲ و الكافى ج ۵ ص ۴۹ و تهذيب الأحكام ج ۶ ص ۱۷۳ و ج ۹ ص ۸۲، و البحار ج ۶۱ ص ۲۲۲ و ۲۳ و ج ۹۴ ص ۲۵ عن الكافى، و عون المعبود ج ۲ ص ۳۳۳ و سنن أبى داود ج ۳ ص ۲۹ و المحاسن للبرقى ج ۲ ص ۶۳۴ و مستدرك الوسائل ج ۸ ص ۳۰۱ و ج ۱۶ ص ۱۵۷.

(۲) البحار ج ۲۲ ص ۲۷۵ و ج ۳۸ ص ۳۰۷ و مستدرك سفينة البحار ج ۲ ص ۶۷ و ج ۵ ص ۳۴۵ و مكاتيب الرسول ج ۳ ص ۶۳۵ و شرح مسند أبى حنيفة ص ۵۳۹ و الدرجات الرفيعة ص ۷۱ و أسد الغابة ج ۱ ص ۲۸۷ و لسان الميزان ج ۴ ص ۲۶۹ و ذخائر العقبى ص ۲۱۵ و الغدير ج ۱۰ ص ۱۳۰ و غنية النزوع ص ۷۶ و تحرير الأحكام (ط ج) ج ۱ ص ۱۳۶ و أنساب الأشراف ص ۱۵۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۱ ص ۱۰۷ و ۱۰۸ و عن مسند أحمد ج ۵ ص ۲۰۴ و المستدرك للحاكم ج ۳ ص ۲۱۷ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۲۷۵ و عن فتح البارى ج ۷ ص ۳۹۰ و تحفة الأحوذى ج ۱۰ ص ۱۸۴ و المصنف للصنعانى ج ۱۱ ص ۲۲۷ و كنز العمال ج ۱۱ ص ۶۳۹ و ۶۶۲ و ۷۵۵ و ج ۱۲ ص ۲۵۵ و الطبقات الكبرى لابن سعد ص ۳۶ و تاريخ بغداد ج ۹ ص ۶۳ و عن تاريخ مدينة دمشق ج ۱۹ ص ۳۶۲ و تهذيب الكمال ج ۲۴ ص ۳۹۵ و سير أعلام النبلاء ج ۱ ص ۲۱۴ و المجدى فى أنساب الطالبيين ص ۳۲۰ و المناقب للخوارزمى ص ۶۶ و كشف الغمة ج ۱ ص ۹۷ و ينابيع المودة للقندوزى الحنفى ج ۲ ص ۲۱۹ و جامع الأحاديث و المراسيل ج ۱ ص ۹۹ و ۴۱۹ و ج ۱۸ ص ۲۵۳ و ۴۴۴ و ج ۲ ص ۱۴۰ و عن الفتح الكبير للسيوطى ج ۱۴ ص ۲۵۱ و عمدة القارى ج ۱۶ ص ۲۱۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص: ۳۰

و الذبح لغرض عقلائى، لا يأباه الخلق الإنسانى، و لا يمنع منه الشرع الشريف.

۲- زعموا: أنه يمكن توجيه مبادرته إلى عرقبة الفرس بأنه أراد أن يحرم العدو من الاستفادة منه «۱».

و نقول:

إن ذلك غير دقيق، فيما لو كان بإمكانه إيكال أمره إلى غيره من مقاتلى المسلمين، ليستفيد منه فى الحرب و النزال، أو فى غرض مشروع آخر ..

۳- أما أسباب المبادرة إلى ذبح الفرس، فيمكن أن نتلمسها فيما يلى:

ألف: إفهام العدو سرّ البطولة، و رمزها، و حقيقتها. و أنها إرادة و تصميم، و إيمان و جهاد، و تضحيات، و أن يملك الإنسان نفسه، و قرارها، و القدرة على التصرف فيها ..

و ليست الشجاعة هى مجرد امتلاك القدرة على التصرف فى قدرات الجسد، فى دائرة هوى النفس، و على خط تلبية متطلباتها.

بل الشجاعة هى امتلاك القدرة على التصرف فى الجسد نفسه، انسجاما مع مقتضيات الإيمان، و تطبيقا للمبادئ، و انسجاما مع القيم، و المثل الإلهية العليا.

إنه يريد: أن يوجه للروم و للعرب الذين معهم إنذارا، و أن يزرع الإعجاب و الرعب فى قلوبهم فى آن واحد، ثم أن يعطى المسلمين الذين

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۷۵ و عن عون المعبود ج ۷ ص ۱۷۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص: ۳۱

جاؤوا معه للجهاد درسا فى الشمم و الفداء، و معنى الشجاعة، و سر الإباء، و لكنه درس كلماته الأفعال، و حروفه التضحيات، و اللسان الناطق به هو إيمان شامخ، و رأى باذخ، و يقين راسخ.

أما جيوش الروم فوجدت نفسها أمام التحدى الكبير، فواجهت اندفاع جعفر للتضحية و الفداء، باندفاع غرائزى فيها، يهدف إلى

التنفيس عن حقد دفين، و عن لؤم مشين و خزى و ابتذال مهين، و لاذت بأسلحتها الفتاكة، و انهمرت على جعفر بطعناتها و ضرباتها .. فقطعت يده اليمنى، ثم اليسرى .. و ذلك حين وجدوا أنفسهم أمام حرب لا تخمد نارها إلا بإسقاط راية القائد، الذى لن يدعها تسقط ما دام حيا ..

لقد آثر جعفر التخلص من الفرس، لأنه يريد أن يفهم عدوه مدى تصميمه فى حربهم، و مدى تفانيه فى الأهداف التى يحارب من أجلها ..

و أن قادة الجيوش الإسلامية لا يريدون الإحتماء بالأبطال، و لا يريدون أن يموت الناس فى الدفاع عنهم، بل هم الذين يريدون أن يموتوا قبل الناس، من أجل حفظ دين الناس، و حفظ أرواحهم و راحتهم ..

و ليست القضية مجرد خطب حماسية، و شعارات رنانة، بل هى مبادرة، و استعداد، و بذل و تضحية و جهاد، يرونه رأى العين ..

بل إن هذا القائد لا يريد أن يهرب من الموت، و لا أن يحمى نفسه منه، فإنه يراه خيرا و صلاحا، و سعادة، و نجاحا، و فوزا و فلاحا.

إنه يريد أن لا تفصله عنه حتى عدوة فرس، فآثر التخلص منه، فعقره ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۳۲

أول من عرقب فرسه:

و زعموا: أن جعفرا كان أول من عرقب فرسه فى الإسلام «۱».

و لكننا قلنا: إن ذلك لم يثبت، بل الراجح: أنه قد عقر فرسه، «۲»، لا أنه

---

(۱) المحاسن للبرقى ص ۶۳۴ و جواهر الكلام ج ۲۱ ص ۸۳ و الكافى ج ۵ ص ۴۹ و الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ۱۱ ص ۵۴۴ و البحار ج ۲۱ ص ۵۴ و ج ۵۸ ص ۲۲۳ و ج ۹۴ ص ۲۵ و مستدرك سفينة البحار ج ۷ ص ۱۹۷ و ج ۱۰ ص ۲۳۱ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۶۷ و مجمع البحرين ج ۳ ص ۱۶۸ و عمدة القارى ج ۱۷ ص ۲۶۷ و عن الإستيعاب ج ۱ ص ۷۷.

(۲) راجع: البحار ج ۲۱ ص ۵۰ و ۶۲ و النص و الإجتهاد ص ۲۸ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۵۹ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۶۹ و الدرجات الرفيعة ص ۷۵ و سير أعلام النبلاء ج ۱ ص ۲۰۹ و عن تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۱ و عن المنتخب من ذيل المذيل ص ۲ و ۳ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۸۳۳ و الأمالى للطوسى ص ۱۴۱ (المجلس الخامس: حديث ۴۳) و المبسوط للسرخسى ج ۱۰ ص ۲۸ و مقاتل الطالبيين ص ۷ و عن مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۷۷ و السير الكبير ج ۲ ص ۷۹۶ و عن البداية و النهاية ج ۲ ص ۳۰ و قصص الأنبياء لابن كثير ج ۲ ص ۲۹۹ و عن سنن أبى داود ج ۱ ص ۵۸۰ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۹ ص ۷۸ و عن عون المعبود ج ۷ ص ۱۷۲ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۴ ص ۳۷ و الثقات ج ۳ ص ۴۹ و عن تاريخ مدينة دمشق ج ۶۸ ص ۸۸ و تهذيب الكمال ج ۵ ص ۵۸ و سير أعلام النبلاء ج ۱ ص ۲۰۹ و تهذيب التهذيب ج ۲ ص ۸۴ و عن الإصابة ج ۱ ص ۵۹۳ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۶۷ و عن أسد الغابة ج ۱ ص ۳۲۷ و عن زاد المعاد ج ۱ ص ۱۱۳ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ ق ۲ ص ۴۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۳۳

عرقبه. فرواية الأمالى هى الأصح، و هى الأوفق بالتزام جعفر لحدود الشرع فيما يرتبط بالتعامل مع الحيوان.

و قد نقل «رحمه اللّه» عن الزهرى قوله: و كان جعفر أول رجل من المسلمين عقر فرسه «۱».

آخر محاولة للشيطان!!

و رووا: أنه لما أخذ جعفر بن أبى طالب الراية جاءه الشيطان فمنّاه الحياة الدنيا، و كرّه له الموت، فقال:

الآن!! حين استحكم الإيمان فى قلوب المؤمنين تمنينى الدنيا؟!

ثم مضى قدما حتى استشهد. فصلى عليه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و دعا له، ثم قال: «استغفروا لأخيكم جعفر؛ فإنه شهيد، و قد دخل الجنة، و هو يطير فيها بجناحين من ياقوت حيث يشاء من الجنة» «۲».

و نقول:

لا شك فى أن الشيطان لا يدع فرصة إلا و يحاول اقتناصها، و هو يرى: أنه

---

(۱) الأمالى للطوسى ص ۱۴۱ (المجلس الخامس: حديث ۴۳) و البحار ج ۲۱ ص ۵۰ و بشارة المصطفى ص ۴۳۲.

(۲) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۴ ص ۳۸ و الثاقب فى المناقب ص ۱۰۲ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۶۸ و الدرجات الرفيعة ص ۷۶ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲ ص ۱۴ و ج ۱۹ ص ۳۶۸ و كنز العمال ج ۱۱ ص ۶۶۱ و البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۸۲ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۶۷ و جامع الأحاديث و المراسيل ج ۱ ص ۴۲۵ و الفتح الكبير ج ۱ ص ۸۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۴

حين تنقطع السبل بالإنسان، و يواجه الخطر الأعظم فى لحظة الموت الرهيب، تضعف عزيمته، و تتبلبل أفكاره، و يضطرب فى قراراته، و يضيع فى زحمة المشاعر و الأفكار التى تظهر عليها عوارض التناقض و الإختلاف.

و لكن هناك رجال مؤمنون، و أصفياء متقون، لا يفقدون السيطرة على أنفسهم، حتى فى هذه اللحظات، بل إن منهم من يجد فى هذه اللحظات ما يؤكد يقينه، و يزيد من وضوح الصورة لديه، فيزيده ذلك رضا، قد يصل به إلى حد البهجة و السرور، على قاعدة: «فزت و رب الكعبة»، حيث يأنس بالموت كما يأنس الطفل بثدى أمه، و يراه أحلى من العسل، لأنه يشاهد ما أعده اللّه تعالى له، انطلاقا من حقيقة: «لو كشف لى الغطاء ما ازددت يقينا»، و على هذا الأساس جاء قول جعفر:

يا حبذا الجنة و اقترابهاطيبة و باردا شرابها

و الروم روم قد دنا عذابهاكافرة بعيدة أنسابها

على إذ لا قيتها ضرابها «۱»

فقد عبر «سلام اللّه عليه» فى أبياته هذه عن تلهفه للجنة، و اشتياقه البالغ لها ..

---

(۱) راجع: النص و الإجتهاد ص ۲۸ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۸۳۳ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۷۸ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۱۳ ص ۵۲۰ و تهذيب الكمال ج ۳ ص ۱۲۴ و سير أعلام النبلاء ج ۱ ص ۱۵۰ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۲ ص ۴۶۱ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱ ص ۱۵۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۵

تسقط اليد و يرتفع اللواء:

و حين قطعت يد جعفر و سقطت، فإن ألم قطعها لم يشغل جعفرا، و لم يمنعه من المبادرة إلى رفع اللواء باليد الأخرى، و لم ير «عليه السلام» فى هذا الذى جرى له عذرا يبرر انكفاءه عن المواجهة.

بل وجد أن واجبه هو: أن يهزم العدو بالرعب من خلال ما يشاهده من إصراره الأكيد على رفع اللواء باليد الأخرى، و ليكون ذلك

سببا فى مضاعفة حدة اندفاع المسلمين فى مواجهة عدوهم.

و حتى حين قطعت اليد الأخرى، فإنه يواصل جهاده و يبذل قصارى جهده فى حفظ جذوة الحماس ملتهبة لدى كتائب الجيش الإسلامى، الذى لا بد أن يظهر- من أجل ذلك- من البسالة و الإقدام و الشجاعة، ما يحير العقول، و يذهل الألباب ..

و تصعد روح جعفر إلى بارئها، و يرتفع جعفر، و يحلق إلى مقامات القرب و الزلفى، و مواقع العز و الكرامة بنفس هاتين اليدين المقطوعتين، اللتين ألبستاه- بفقدهما- حلتين من البهاء و الجمال، و العظمة و الجلال.

الطيار بعد قطع يديه:

و قد صرحت بعض الروايات: بأن جعفرا قطعت يمينه، فأخذ الراية بيساره، فقطعت يساره، فاحتضن الراية، و قاتل حتى قتل «۱».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۷ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۱ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۲۶ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۶۷ و عن زاد المعاد ج ۱ ص ۱۱۳۴ و العبر-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۶

و نقول:

إننا نتعقل أن يأخذ مقطوع اليدين اللواء ببقايا يديه، و يضمه إلى صدره، و لكن لا يمكن أن نتصوره قادرا على قتال العدو بسيف أو برمح، سوى مبادرته إلى ركل من يهاجمه بإحدى رجليه، ليدفعه عن نفسه، و ليلحق به أكبر قدر ممكن من الأذى.

بل إن أخذه الراية بشماله، بعد قطع يده اليمنى يجعله غير قادر على حمل السيف بها أيضا، لأنها أصبحت مشغولة باللواء.

و هذا معناه: أنه «عليه السلام» قد بذل محاولة لإبقاء الراية مرفوعة ليراها المسلمون، و يواصلوا القتال أطول وقت ممكن، لأنه يعلم: أن وقوع الراية على الأرض، يوجب تضعضع الجيش، و ربما يؤدى ذلك إلى هزيمته، و هذا ما لا يريده و لا يرضاه ..

الطيار أسوة و قدوة:

و غنى عن البيان هنا: أن نفس هذا الذى جرى لجعفر بن أبى طالب «عليه السلام» قد جرى ما يشبهه للعباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» فى كربلاء، فإن يمينه قطعت، فأخذ السيف بيساره، فقطعت، فقاتل حتى ضعف، فضربه ملعون بعمود من حديد على رأسه فقتله «۱».

- و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ ق ۲ ص ۱۴۱ و الخرائج و الجرائح ج ۱ ص ۱۶۶.

(۱) البحار ج ۴۵ ص ۴۰ و ۴۱ و ينابيع المودة ج ۳ ص ۶۸ و العوالم ص ۲۸۳ و عن المناقب لابن شهر آشوب ج ۳ ص ۲۵۶ و نور العين فى مشهد الحسين ص ۴۱ و ۴۲ و إبصار العين فى أنصار الحسين ص ۶۲ و العوالم (الإمام الحسين «عليه-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۷

و قد روى: أن اللّه تعالى عوضه أيضا بجناحين يطير بهما مع الملائكة فى الجنة، فقد روى الصدوق «رحمه اللّه» بسنده عن ثابت بن أبى صفية، قال:

قال على بن الحسين «عليه السلام»: رحم اللّه العباس- يعنى ابن على- فلقد آثر و أبلى، و فدى أخاه حتى قطعت يداه، فأبدله اللّه بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة فى الجنة، كما جعل لجعفر بن أبى طالب «۱».

استشهاد جعفر و هو صائم:

و تقدم عن ابن عمر قال: أتيته (يعنى جعفرا) و هو مستلق آخر النهار، فعرضت عليه الماء، فقال: إنى صائم، فضعه فى ترسى عند رأسى، فإن عشت حتى تغرب الشمس أفطرت.

قال: فمات صائما قبل غروب الشمس شهيدا، و عمره إحدى و أربعون سنة، و قيل: ثلاث و ثلاثون ..

و نقول:

ألف: بالنسبة لعمره «عليه السلام» فإن صح ما يقولونه من كونه أسن من على «عليه السلام» بعشر سنين «۲». فإن عمر على «عليه السلام» كان

- السلام») ص ۲۸۳ و ۲۸۴ و عن ينابيع المودة ج ۳ ص ۶۷ و ۶۸.

(۱) الخصال ج ۱ ص ۶۸ (باب الإثنين حديث ۱۰۱) و تفسير نور الثقلين ج ۴ ص ۲۴۶ و الأمالى للطوسى ص ۵۴۸ و البحار ج ۴۴ ص ۲۹۸ و العوالم (الإمام الحسين) ص ۳۴۹ و درر الأخبار ص ۱۹۲ و مقتل الحسين لأبى مخنف ص ۱۷۶.

(۲) راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۹ و شرح أصول الكافى ج ۱۲ ص ۵۳۹ و البحار ج ۲۲ ص ۲۷۵ و ج ۴۲ ص ۱۱۵ و تحفة الأحوذى ج ۱۰ ص ۱۸۳ و عون المعبود-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۳۸

آنذاك حوالى ثلاثين سنة، فلا بد أن يكون عمر جعفر أكثر من ذلك بعشر سنين. فكيف يكون عمره ثلاثا و ثلاثين سنة- كما يقولون-؟!

ب: إن المعركة إذا كانت قائمة، فلا يكون هناك مجال لأن يستلقى جعفر آخر النهار، ليعرض ابن عمر الماء عليه. ثم يستشهد قبل غروب الشمس!!

ج: قال الحلبى: «كونه رضى اللّه عنه مات صائما لا يناسب كونه شق نصفين» «۱».

و هو كلام عجيب، فهل شقه نصفين يمنع من كونه مات صائما؟! فإن شقه هذا لا يوجب إفطاره، و لا إفساد صومه ..

ذو الجناحين:

و فى بعض المصادر: أنه «قد وردت أخبار فى أنه لما رفعوه على الرماح، منّ اللّه عليه بجناحين، فطار من رأس الرماح إلى السماء، و هو يطير فى الجنة

- ج ۶ ص ۲۶۷ و شرح النهج ج ۱۱ ص ۱۱۶ و ۲۵۰ و الطبقات الكبرى ج ۴ ص ۴۲ و عن تاريخ مدينة دمشق ج ۴۱ ص ۹ و ۲۴ و ج ۴۲ ص ۵۷۴ و عن أسد الغابة ج ۱ ص ۲۸۷ و ج ۳ ص ۴۲۲ و تهذيب الكمال ج ۲ ص ۲۳۶ و سير أعلام النبلاء ج ۱ ص ۲۰۶ و تهذيب التهذيب ج ۷ ص ۲۲۶ و عن الإصابة ج ۱ ص ۵۳۹ و الأعلام ج ۲ ص ۱۲۵ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۹۲ و ج ۸ ص ۵۲ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۸۴ و عن الإستيعاب ج ۳ ص ۷۳ و المدهش لابن قيم الجوزية ص ۶۴.

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۳۹

مع الملائكة» «۱».

و لا نـدرى مـدى صـحة هذا الحديث، و لو صح فربما يكون هذا قد جاء على سبيل المجاز، أو أنه قد طار فعلا إلى السـماء مقدارا ثم عادت جثته إلى الأرض، و بقيت روحه تطير مع الملائكة، و ربما، و ربما ..

نظرة فى الكرامات:

إنه تعالى حين يظهر الكرامـة لولى من أوليائه، فإنه لا يريـد بـذلك أن يقهر الناس على الإيمان، و لا أن يتهـددهم بهـذا الأمر، ليفرض عليهم سلوك طريق الحق، تحت طائلة التدخل الغيبى فى صورة مخالفتهم للأوامر و النواهى الإلهية ..

بـل يريـد تبارك و تعالى .. أن يثير فى نفس الإنسان المؤمن، الطموح، لنيل مقامات القرب و الزلفى عنـده، و ذلك من خلال تقـديم نموذج تطبيقى حى و ملموس، يسـهّل على المؤمنين اليقين بوعـد اللّه تعـالى، و السـكون و الركون إلى تحققه حتى كأنهم يرونه ماثلا أمامهم، من دون أى إخلال أو انتقاص.

و يريـد أن يقول لهم: إنه لا مجال لاحتمال المبالغـة فى البيانات الصادرة، فإنه إن كان هناك تجوّز فى التعبير عن حقيقة ذلك الوعد، و الموعود به، فإنما هو محاولـة لتقريب الصورة الحقيقيـة، التى تعجز التعابير المجازية أو الكنايات و الإسـتعارات، عن الإحاطة بها، بل تبقى مجرد إشارات و إلماحات لما هو أعظم و أتم، و أخطر و أهم ..

---

(۱) تنقيح المقال ج ۱ ص ۲۱۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص: ۴۰

كمـا أن هـذا الإنسان الـذى هو مسـتغرق فيما هو مادى و محسوس، إلى درجـة أنه إنما يطل على الغيب من خلال ذلك .. يحتاج إلى اختصار المسافـة بينه و بين الغيب .. فتأتى الكرامات و المعجزات، لتقوم بهـذه المهمة، و ليكون للغيب أيضا حضوره و شـهوده. ليعطى سلاما للروح، و حياة فى الوجدان، و يقظة فى الضـمير، و حركة فى العقل بالاتجاه الصـحيح، و على أساس من الوعى العميق، و الرؤية الواضحة، و الشمولية، و الواقعية ..

على أن هذه الكرامات تسـهل على الإنسان المؤمن أن يعى كيف أن لمسألة الغيب حضورها فى كل شـىء، بل هى جزء من حياة هذا الكائن، و هى مستوعبة لكل المساحات التى ينطلق فيها فى حركته نحو اللّه تعالى ..

فالغيب ليس غائبا عن أى من مواقع حركـة هـذا الإنسان، حتى فيما يتخيل أنه مادى صـرف، و لا موقع للغيب فيه، فإن الغيب كامن فى عمق ذاته، و فى كنه وجوده .. فعليه أن يشعر به فى كل المواقع و المواضع من دون استثناء.

و من جهـة أخرى: فقـد تمس الحاجة إلى إقامة الحجة على الناس فى أمر ظهر فيه تقصـيرهم، أو ظهرت فيهم بوادر هذا التقصـير، كما هو الحال فى قضية جعفر «عليه السلام» فى مؤتة، فإن ظهور هذه الكرامة له، بأن يطير جسده إلى السماء و لو مقدارا ما .. لا بد أن يقيم الحجة على الأعداء أولا ..

من حيث إنه يفتـح أمامهم باب الهدايـة، و يسـهل عليهم الحصول على القناعة من أقرب طريق .. ألا و هو طريق الوجدان، و الإحساس القلبى، و يختصر المراحل أمامهم ..

ثم هو تعميم للحجة على جيش المسلمين، الذين قد يخطر ببالهم: التماس

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص: ۴۱

العذر لأنفسـهم عن فرار و شـيك ربما يراود أذهانهم، فيزعمون: أن مواجهة مئات الألوف لا مبرر لها، لأن احتمالات النصر على تلك الأعداد الهائلة تكاد تكون معدومة، بل هى معدومة فعلا ..

و أما ما فعله جعفر «عليه السـلام» فإنما هو مبادرة شخصـية منه، و تضـحية يحمـد عليها، و لكنها هدر للطاقة، لا تجدى نفعا، و لا تحقق

نصرا.

فجاءت الكرامة الإلهية له لتقول لهم: إن اللّه تعالى إذا كان هو الراعى لهم، و المشرف على حالهم، و هو الذى ينزل النصر عليهم، أو يحجبه عنهم.

فعلى كل أنسان أن يقوم بواجبه، و يمتثل أمر اللّه و رسوله، و ليس له أن ينظر فى نتائج ذلك، و لا أن يحدد طبيعة النصر، و حجمه، و مواصفاته .. و لا أن يدّعى لنفسه المعرفة بالغيب الإلهى فيه.

فلعل المطلوب الإلهى أمر آخر غير النصر العسكرى- كما كان الحال فى كربلاء مثلا- و لعل المطلوب هو النصر العسكرى، و لكن بطريقة حجب اللّه تعالى عنهم بعض عناصرها. و لو بأن تحدث اختلافات و منازعات بين كتائب جيوش الأعداء، لأجل ما يرونه من استبسال لدى جنود أهل الإسلام .. و قد ينشأ عن ذلك الإستبسال، و الإستشهاد هداية لطائفة أو لطوائف من جيش الأعداء. و قد تحدث انقسامات بين العرب و بين غيرهم لأكثر من سبب فيما لو طالت الحرب .. إلى غير ذلك من أسباب.

استشهاد ابن رواحة:

روى ابن إسحاق، قال: قتل جعفر، فأخذ الراية عبد اللّه بن رواحة، ثم تقدم بها و هو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه و يتردد بعض التردد، ثم قال:

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۴۲ أقسمت يا نفس لتنزلنهطائعة أو لتكرهنه

إن أجلب الناس و شدوا الرنةما لى أراك تكرهين الجنة

قد طالما قد كنت مطمئنةهل أنت إلا نطفة فى شنة و قال أيضا:

يا نفس إلّا تقتلى تموتىهذا حمام الموت قد صليت

و ما تمنيت فقد أعطيتإن تفعلى فعلهما هديت «۱» يريد صاحبيه زيدا و جعفرا، ثم نزل.

فلما نزل أتاه ابن عمر بعرق من لحم، فقال: شد بهذا صلبك، فإنك لقيت فى أيامك هذه ما لقيت.

فأخذه من يده، ثم انتهس منه نهسة، ثم سمع الحطمة فى ناحية الناس، فقال: و أنت فى الدنيا؟

ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه، ثم تقدم فقاتل حتى قتل.

و وقع اللواء من يده، فاختلط المسلمون و المشركون، و انهزم بعض الناس، فجعل قطبة بن عامر يصيح: يا قوم يقتل الرجل مقبلا أحسن من أن يقتل مدبرا.

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۴۹ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۱ و ۷۲ و النص و الإجتهاد ص ۲۹ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۸۳۳ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۷۹ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۹ ص ۱۵۵ و عن تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۱ و عن تاريخ مدينة دمشق ج ۲۸ ص ۱۲۱ و شرح النهج ج ۱۵ ص ۶۹ و ۷۰ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۲ ص ۴۶۱ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۵۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۴۳

قال سعيد بن أبى هلال: و بلغنى أن زيدا، و جعفرا، و عبد اللّه بن رواحة دفنوا فى حفرة واحدة «۱».

تردد ابن رواحة فى النزول:

و فى بعض الروايات: «فأخـذها (يعنى: الرايـة) عبد اللّه رواحة، و تقدم بها و هو على فرسه، و جعل يتردد فى النزول عن فرسه، ثم نزل، و قاتل حتى قتل» «۲».

و نستطيع أن نفهم أن النزول عن الفرس إنما هو حين يراد إفهام العدو أن الفارس قد استقتل، و أن أى توهم فى حبه للنجاة من خلال بقائه على ظهر فرسه، ما هو إلا توهم باطل ..

الحرب دامت أياما:

من يلاحظ النصوص المتداولة لغزوة مؤتة يخرج بنتيجة مفادها: أن القادة الثلاثة قد قتلوا فى أول المعركة، ثم أخذ اللواء خالد، و ولى هاربا، و تبعه

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۰ و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۷ و عن فتح البارى ج ۷ ص ۳۹۳.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۷ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۶۹ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ ق ۲ ص ۴۱ و عن فتح البارى ج ۷ ص ۲۹۳ و حياة الصحابة (باب الجهاد) تحريض النبى و ترغيبه على القتال، و عن تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۱ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۷۹ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۸۳۳ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۶۷ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۶۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۴۹ و زاد المعاد ج ۱ ص ۱۱۳۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۴۴

المسلمون .. و لذلك اقتصر عدد قتلى المسلمين على ثمانية شهداء، و قيل: قتل اثنا عشر شهيدا، أو نحو ذلك. كما سيأتى إن شاء اللّه تعالى ..

و لكننا نقول:

إن ذلك موضع شك كبير. و من موجبات هذا الشك:

أن هذا الرقم للقتلى لا يتناسب مع قولهم أيضا: إن الحرب قد دامت سبعة أيام «۱».

و يؤيد ذلك قولهم المتقدم: إن ابن عمر جاء إلى ابن رواحة بعرق من لحم، و قال له: «شد بهذا صلبك، فإنك لقيت فى أيامك هذه ما لقيت».

حيث يشير إلى أن ابن رواحة قد لقى مصاعب كبيرة خلال أيام مرت عليه، و لعلها هى الأيام السبعة المشار إليها، و كان- فيما يبدو- يمارس القتال المجهد فيها.

و أما احتمال أن يكون المراد هو: مشقات قطع المسافات الطويلة من المدينة إلى مؤتة، فهو بعيد عن الذهن، و ليس له ما يؤيده.

و يؤيد ذلك: ما سيأتى من أن المسلمين اعتمدوا أسلوب مبارزة الفرسان، و هى طريقة ممتعة، يظهر فيها الفرسان شجاعتهم، و يقدمون فيها عروضا شيقة لفنون الحرب و القتال و توجب طول أمد الحرب ...

و لعل المسلمين أظهروا فيها براعة نادرة، و شجاعة فريدة .. فقل شهداؤهم، و كثرت القتلى من أعدائهم، و ربما كان لابن رواحة سهم وافر فى هذا المجال ..

---

(۱) راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۷ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۴۵

ثم اختار الأعداء أسلوب الهجوم الشامل .. فقتل القادة آنئذ .. و ربما تكون بوادر النصر قد بدأت بالظهور، فضيعها خالد.

هزيمة خالد:

و بعد أن استشهد عبد اللّه بن رواحة بادر خالد بن الوليد فأخذ الراية و انهزم بها و تبعه سائر الناس، و لكن هناك من سعى لتزوير الحقيقة و إيهام الناس بعكسها، و نحن نذكر ذلك، و نبين وجه الحق فيه فى الفصل التالى.

الآن حمى الوطيس:

و حول القول المنسوب لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و هو يصف للمسلمين ما يجرى فى مؤتة: «الآن حمى الوطيس»، قال ابن أبى الزناد ما يلى:

«بلغت الدماء بين الخيل موضع الأشاعر من الحافر. و الوطيس أيضا ذاك. و إذا حمى ذلك الموضع من الدابة كان أشد لعدوها» «۱».

و نحسب: أننا لسنا بحاجة إلى التعليق على هذه الروايات المغرقة فى غرابتها، و لكن الأغرب منها: أن يبادر المؤرخون و المحدثون إلى إيرادها فى كتبهم و فى مجاميعهم الحديثية و التاريخية، و غيرها، و يقدمونها للناس على أنها هى الحقائق الناصعة، و ذلك من أجل أن تبقى حقيقة فرار خالد عن الناس ضائعة ..

و لست أدرى كيف يمكن أن يخبر النبى «صلى اللّه عليه و آله» عن بلوغ الدماء موضع الأشاعر، و هو يرى ما يجرى عيانا، بعد أن رفع اللّه تعالى له

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۴ و راجع: البحار ج ۲۱ ص ۶۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۴۶

كل خفيض، و خفض كل رفيع، ثم يرى الناس يظلمون هؤلاء المجاهدين و يطردونهم .. ثم لا يدافع عنهم؟! بل إنهم حتى لو كانوا قد هربوا من ساحة المعركة فإنهم لم يرتكبوا بذلك حراما، بعد أن كان عدوهم يزيدهم بعشرات الأضعاف. كما أشرنا إليه أكثر من مرة ..

و ذلك يدل على عدم صحة ما زعموه، و أن الصحيح هو أن خالدا قد فرّبهم لحظة استشهاد القادة ..

و تتأكد الشكوك فى صحة هذه المزاعم حين نقارن بين عدد شهداء المسلمين و بين ما يزعم من أن الدماء قد بلغت الأشاعر من حوافر الخيل!!

شهداء مؤتة:

أما بالنسبة للذين استشهدوا من المسلمين فى سرية مؤتة فهم:

جعفر بن أبى طالب، و زيد بن حارثة، و عبد اللّه بن رواحة، و مسعود بن الأسود بن حارثة (بن نضلة)، و وهب بن سعد بن أبى سرح، و عباد بن قيس، و الحارث بن النعمان (بن إساف بن نضلة)، و سراقة بن عمرو بن عطية (بن خنساء) «۱».

و زاد ابن هشام نقلا عن ابن شهاب الزهرى:

أبا كليب، أو كلاب بن عمرو بن زيد، و أخاه جابر بن عمرو بن زيد،

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۴ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۸۴۰ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۹۵ و عن تاريخ

مدينة دمشق ج ۲۵ ص ۳۳۰ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۶۹ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۲ ص ۴۹۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۴۷

و عمرو، و عامر ابنا سعد بن الحارث «۱».

و زاد الكلبى و البلاذرى: هو بجة بن بجير الضبى. و لما قتل فقد جسده، و لا ذكر لهوبجة فيما و قفت عليه من نسخ الإصابة للحافظ، و لا القاموس.

مع ذكر الذهبى له فى التجريد، و أن له وفادة و هجرة «۲».

و زاد ابن سعد، و العدوى، و ابن جرير الطبرى: زيد بن عبيد بن المعلى الأنصارى «۳».

و زاد ابن إسحاق، كما فى الإصابة، و جزم به فى الزهر: عبد اللّه بن سعيد بن العاص بن أمية.

قال ابن الأثير: قتل باليمامة فى الأكثر.

و قال الذهبى: الأصح ببدر.

و قيل: باليمامة.

و قيل: بمؤتة «۴».

و زاد ابن الكلبى، و ابن سعد، و الزبير بن بكار: هبار بن سفيان بن عبد

---

(۱) عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۹۵ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۴ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۸۴۰ و عن و عن تاريخ مدينة دمشق ج ۲۵ ص ۳۳۰ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۶۹ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۲ ص ۴۹۸.

(۲) عن أسد الغابة ج ۵ ص ۷۴ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۴.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۵ و عن تاريخ مدينة دمشق ج ۱۹ ص ۴۵۰ و عن الإصابة ج ۲ ص ۵۰۷.

(۴) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۵ و عن تاريخ مدينة دمشق ج ۲۹ ص ۵۵ و ۷۵ و عن الإصابة ج ۲ ص ۸۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۴۸

الأسد المخزومى، و قال عروة، و ابن شهاب الزهرى، و ابن إسحاق، و ابن سعد: استشهد بأجنادين «۱».

و قال سيف بن عمر: استشهد باليرموك «۲».

و زاد ابن عقبة: عبد اللّه بن الربيع الأنصارى «۳»، و معاذ بن ماعص «۴».

و وقع فى نسخة من مغازى موسى بن عقبة: أن الذى استشهد بمؤتة أخوه عباد «۵».

و قال فى البداية، بعد أن ذكر جميع من قتل بمؤتة من المسلمين: (فالمجموع على القولين) اثنا عشر رجلا «۶».

و هذا عظيم جدا أن يتقاتل جيشان متعاديان فى الدين، أحدهما و هو الفئة التى تقاتل فى سبيل اللّه تعالى عدتها ثلاثة آلاف، و أخرى كافرة عدتها

---

(۱) الطبقات الكبرى ج ۴ ص ۱۳۵ و عن البداية و النهاية ج ۷ ص ۴۱ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۵ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۸۲۲ و عن تاريخ مدينة دمشق ج ۲۹ ص ۷۰ و ج ۳۷ ص ۴۶۷ و تاج العروس ج ۳ ص ۶۰۹ و عن الإصابة ج ۶ ص ۴۱۴.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۵ و عن الإصابة ج ۶ ص ۴۱۴.

(۳) عن تاريخ مدينة دمشق ج ۲۸ ص ۷۸ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۵.

(۴) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۵ و عن الإصابة ج ۶ ص ۴۱۴ و عن تاريخ مدينة دمشق ج ۲۶ ص ۲۳۷ و ج ۵۸ ص ۴۶۷، و

۴۷۰ و فى ج ۲ ص ۱۱ عباد بن ناعص.

(۵) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۵ و عن الإصابة ج ۶ ص ۱۱۴.

(۶) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۵ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۹۵ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۸۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۴۹

مائتا ألف مقاتل: من الروم مائة ألف، و من نصارى العرب مائة ألف، يتبارزون و يتصاولون، ثم مع هذا كله لا يقتل من المسلمين سوى اثنى عشر رجلا، و قتل من المشركين خلق كثير، هذا خالد و حده يقول:

«لقد اندقت فى يدى يومئذ تسعة أسياف و ما صبرت فى يدى إلا صفيحة يمانية».

فماذا ترى قد قتل بهذه الأسياف كلها؟

دع غيره من الأبطال و الشجعان «۱».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۴ و ۱۵۵ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۹۵ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۸۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۵۱

الفصل الثالث: خالد يضيع النصر الأعظم

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۵۳

الإنحياز، أم النصر و الفتح؟!

لقد وضع محبو خالد خطة تهدف إلى حفظ ماء وجهه، حتى لو كان ثمن ذلك هو تضييع الحق و تزوير التاريخ، و الخطة هى التالية:

أن يدّعوا: أن الذى حصل هو أحد أمرين: إما مجرد الانحياز و المحاشاة، ثم الانصراف. و إما النصر و الفتح على يد خالد.

ثم يتم تضعيف دعوى المحاشاة، و ادعاء أن الصحيح هو الفتح، و تحقيق النصر على يد خالد بن الوليد ..

فنحن نبدأ بذكر ما قالوه و ما استدلوا به، ثم نعقب ذلك بالنصوص المصرحة بالحقيقة، و بيان زيف دعواهم و بطلانها، و ذلك على النحو التالى:

قال ابن إسحاق: «فلما أخذ الراية خالد بن الوليد دافع القوم، و حاشى بهم، ثم انحاز، و انحيز عنه، و انصرف الناس» «۱».

و على حد تعبير الزهرى: «ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد، فناوش

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۳ ص ۴۶۳ و ج ۶ ص ۱۵۱ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۴ ص ۲۷ و راجع: ما عن المصادر التالية: تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۲ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۸۳۴ و عن فتح البارى ج ۷ ص ۳۹۵ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۷۹ و عيون الأثر ج ۲ ص ۱۶۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۵۴

القوم، و راوغهم حتى انحاز بالمسلمين منهزما، و نجا بهم من الروم» «۱».

قالوا: هكذا ذكر ابن إسحاق: أنه لم يكن إلا المحاشاة و التخلص من أيدى الروم الذين كانوا مع من انضم إليهم أكثر من مائتى ألف،

و المسلمون ثلاثة آلاف. و وافق ابن اسحاق على ذلك شرذمة.

و على هذا سمى هذا نصرا و فتحا، باعتبار ما كانوا فيه من إحاطة العدو، و تراكمهم، و تكاثرهم عليهم. و كان مقتضى العادة أن يقتلوا بالكلية «۲».

و هو محتمل، لكنه خلاف الظاهر من قوله «صلى اللّه عليه و آله»: «حتى فتح اللّه عليكم» «۳».

و قد لوحظ: أنهم حين يريدون الحديث عن الهزيمة يقتصرون على خصوص عبارة ابن إسحاق التى جاءت ملطفة و مخففة إلى حد كبير، ثم يصفون سائر الذين صرحوا بالهزيمة بأنهم شرذمة. نعم مجرد شرذمة بنظرهم .. ثم يواصلون توجيه الكلام بطريقة توحى بأن النصر أمر مسلّم، لكن الاختلاف إنما هو فى كيفيته و مداه.

فيزعمون: أن سبب تسمية ما جرى فى مؤتة نصرا هو تمكن المسلمين من الإفلات من يد تلك الكثرة الهائلة، و أن هذا هو ما يقصده ابن إسحاق، و أنه محتمل، و لكنه خلاف الظاهر.

---

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۵۰ و ۵۱ و عن أمالى الطوسى ص ۸۷ و ۸۸ و (ط دار الثقافة) ص ۱۴۱ و راجع: بشارة المصطفى ص ۴۳۲.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۸ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۰.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۰ و فى هامشه عن البخارى ج ۷ ص ۵۸۵.

و راجع: البخارى ج ۵ ص ۸۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۵۵

و مهما يكن من أمر، فإنهم استدلوا على النصر فى مؤتة بما يلى:

دلائل انتصار خالد:

و قالوا أيضا: و الأكثرون على أن خالدا و من معه قاتلوا المشركين حتى هزموهم.

ففى حديث أبى عامر عند ابن سعد و غيره: أن عبد اللّه بن رواحة لما قتل «انهزم المسلمون أسوأ هزيمة رأيتها قط. (فى كل وجه)، حتى لم أر اثنين جميعا. ثم أخذ اللواء رجل من الأنصار، (يقال له: ثابت بن أرقم، فجعل يصيح بالأنصار)، ثم سعى به حتى إذا كان أمام الناس، ركزه ثم قال: إلىّ أيها الناس.

فاجتمع إليه الناس، حتى إذا كثروا مشى باللواء إلى خالد بن الوليد.

فقال له خالد: لا آخذه منك، أنت أحق به.

فقال الأنصارى: و اللّه ما أخذته إلا لك.

فأخذ خالد اللواء من الأنصارى، و «حمل على القوم، فهزمهم اللّه أسوأ هزيمة رأيتها قط. حتى وضع المسلمون أسيافهم حيث شاءوا، (و أظهر اللّه المسلمين)» «۱».

فأتيت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فأخبرته، فشق ذلك عليه،

---

(۱) الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۱۳۰ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۰ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۷ عن ابن سعد، و راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۲ و البحار ج ۲۱ ص ۶۲ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۶۸ و تاريخ المدينة ج ۲ ص ۱۴ و ج ۱۱ ص ۱۰۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۵۶

فصلى الظهر ثم دخل الخ ..

و روى الطبرانى برجال ثقات، عن موسى بن عقبة، قال: ثم اصطلح المسلمون بعد أمراء رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على خالد بن الوليد المخزومى، فهزم اللّه تعالى العدو، و أظهر المسلمين «۱».

و روى محمد بن عمر الأسلمى، عن عطاف بن خالد: لما قتل ابن رواحة مساء، بات خالد بن الوليد، فلما أصبح غدا، و قد جعل مقدمته ساقته، و ساقته مقدمته، و ميمنته ميسرة، و ميسرته ميمنة، فأنكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم و هيأتهم، و قالوا: قد جاءهم مدد، فرعبوا و انكشفوا منهزمين.

قال: فقتلوا مقتلة لم يقتلها قوم.

و فى نص آخر: فتبعهم المسلمون يقتلونهم كيف شاءوا، فغنم المسلمون من أموالهم، فرجعوا إلى المدينة «۲».

و ذكر ابن عائذ فى مغازيه نحوه «۳».

و روى محمد بن عمر، عن الحارث بن الفضل: لما أخذ خالد بن الوليد

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۱ و عن فتح البارى ج ۷ ص ۳۹۵ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲ ص ۱۰ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۸۲ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۶۸.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۱ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۲ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲ ص ۱۵ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۸۲.

(۳) راجع ما تقدم فى: سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۱ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۴ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۷ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۵۷

الراية قال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «الآن حمى الوطيس» «۱».

و روى الحاكم فى المستدرك، عن أبى هريرة، و أبى سعيد الخدرى، و هذا الذى ذكره أبو عامر و الزهرى، و عروة، و ابن عقبة، و عطاف بن خالد، و ابن عائذ، و غيرهم، هو ظاهر قوله «صلى اللّه عليه و آله» فى حديث أنس:

«ثم أخذ الراية سيف من سيوف اللّه، ففتح اللّه على يديه» «۲».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۱ و فى هامشه قال: أخرجه مسلم ج ۳ ص ۱۳۹۸ كتاب الجهاد (۷۶- ۱۷۷۵) من حديث عباس، و أحمد فى المسند ج ۱ ص ۲۰۷ و عبد الرزاق (۹۷۴۱). و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۴ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۸ و كنز العمال ج ۴ ص ۲۵۳ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۱۲۹ و ج ۴ ص ۲۵۳ و تاريخ مدينة دمشق ج ۱۶ ص ۲۳۸ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۸۲ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۶۷.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۱ و ۱۵۳ و فى هامشه قال: أخرجه البخارى (۴۲۶۲)، و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۷ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۲ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۶۸ و ۴۸۲ و ۴۷۶ و ۴۶۹ و عن البداية و النهاية ج ۷ ص ۱۲۹ و ج ۴ ص ۲۸۳ و ۲۸۸ و ۲۹۱ و مسند أحمد ج ۱ ص ۲۰۴ و عن صحيح البخارى ج ۴ ص ۲۱۸ و ج ۵ ص ۸۷ و المستدرك للحاكم ج ۳ ص ۲۹۸ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۳۴۹ و عن فتح البارى ج ۷ ص ۳۹۴ و تحفة الأحوذى ج ۸ ص ۱۱۳ و ج ۱۰ ص ۲۳۳ و الآحاد و المثانى ج ۲ ص ۲۵ و عن السنن الكبرى للنسائى ج ۵ ص ۱۸۰ و المعجم الكبير ج ۲ ص ۱۰۶ و ج ۴ ص ۱۰۴ و كنز العمال ج ۱۰ ص ۳۸۶ و ۵۵۹ و راجع الدر المنثور ج ۲ ص ۲۴۵ و الطبقات الكبرى ج ۴ ص ۳۷ و التاريخ الصغير ج ۱ ص ۴۹ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۷ ص ۲۵۵ و عن أسد الغابة ج ۲ ص ۹۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۵۸

و فى حديث أبى قتادة مرفوعا كما سيأتى: ثم أخذ خالد بن الوليد اللواء، و لم يكن من الأمراء، هو أمّر نفسه. ثم رفع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إصبعه، ثم قال: «اللهم إنه سيف من سيوفك فانصره» «۱».

و عند الحلبى أنه «صلى اللّه عليه و آله» قال: «ثم أخذ الراية خالد بن الوليد، نعم عبد اللّه و أخو العشيرة، و سيف من سيوف اللّه سله اللّه على الكفار و المنافقين، من غير إمرة حتى فتح اللّه عليهم» «۲».

فمن يومئذ سمى خالد بن الوليد «سيف اللّه» «۳»، رواه الإمام أحمد برجال ثقات.

و يزيده قوة، و يشهد له بالصحة، ما رواه الإمام أحمد، و مسلم، و أبو داود، و البرقانى، عن عوف بن مالك الأشجعى، قال: «خرجت [مع من خرج] مع زيد بن حارثة فى غزوة مؤتة، و رافقنى مددى من المسلمين من اليمن، ليس معه غير سيفه. فنحر رجل من المسلمين جزورا، فسأله المددى

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۱ و قال فى هامشه: أخرجه البيهقى فى الدلائل ج ۴ ص ۳۶۸ و ابن أبى شيبة فى المصنف ج ۱۴ ص ۵۱۳ و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۷ و فضائل الصحابة ص ۴۴ و عن مسند احمد ج ۵ ص ۲۹۹ و ۳۰۱ و راجع: المصنف لابن أبى شيبة ج ۸ ص ۵۴۶ و سنن النسائى ج ۵ ص ۶۹ و صحيح ابن حيان ج ۱۵ ص ۵۲۳ و تاريخ مدينة دمشق ج ۱۶ ص ۱۶ و سير أعلام النبلاء ج ۱ ص ۲۰۹ و ج ۴ ص ۶۰ و عن تاريخ الطبرى ج ۳ ص ۳۲۲ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۸۱ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۶۶.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۸.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۱ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۵۹

طائفة من جلد، فأعطاه إياه، فاتخذه كهيئة الدرقة، و مضينا، و لقينا جموع الروم، فيهم رجل على فرس له أشقر، عليه سرج مذهب، و سلاح مذهب، فجعل الرومى يسل على المسلمين، و يغرى بهم، فقعد له المددى خلف صخرة، فمر به الرومى، فعرقب فرسه بسيفه، و خر الرومى، فعلاه بسيفه فقتله، و حاز سلاحه، و فرسه.

فلما فتح اللّه تعالى على المسلمين بعث إليه خالد بن الوليد، فأخذ منه بعض السلب.

قال عوف: فأتيت خالدا، و قلت له: أما علمت أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قضى بالسلب للقاتل؟

قال: بلى، و لكنى استكثرته.

فقلت: لتردنه، أو لأعرفنكها عند رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

فأبى أن يرد عليه.

قال عوف: فاجتمعنا عند رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فقصصت عليه قصة المددى و ما فعل خالد، فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «ما صنعت»؟

قال: استكثرته.

قال: «رد عليه ما أخذت منه».

قال عوف: دونكها يا خالد، ألم أف لك؟

[فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «و ما ذاك»؟

فأخبرته].

فغضب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و قال: «يا خالد، لا ترد عليه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۶۰

هل أنتم تاركون أمرائى؟ لكم صفوة أمرهم، و عليهم كدره» «۱».

الغنائم دليل النصر:

و قالوا أيضا: روى محمد بن عمر، و الحاكم فى الإكليل، عن جابر رضى اللّه تعالى عنه، قال: أصيب بمؤتة ناس من المسلمين، و غنم المسلمون بعض أمتعة المشركين، و كان فيما غنموا خاتم جاء به رجل الى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فقال: قتلت صاحبه يومئذ.

فنفله رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إياه «۲».

و تقدم فى حديث عوف بن مالك ما يشير إلى ذلك آنفا.

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۱ و ۱۵۲ و قال فى هامشه: أخرجه مسلم ۳ ص ۴۷۳ كتاب الجهاد و ذكر بعضه الواقدى فى المغازى ج ۲ ص ۷۶۸.

و راجع: نيل الأوطار ج ۸ ص ۹۶ و ۹۷ و عن صحيح مسلم ج ۵ ص ۱۴۹ و مسند أبى داود ج ۱ ص ۶۱۸ و عون المعبود ج ۷ ص ۲۷۸ و كنز العمال ج ۱۰ ص ۳۸۵ و ۳۸۶ و الجامع لأحكام القرآن ج ۸ ص ۸ و سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۴۸۸ و المغنى لابن قدامة ج ۱۰ ص ۴۳۰ و المحلى لابن حزم ج ۷ ص ۳۳۸ و عن مسند أحمد ج ۶ ص ۲۸ و سنن أبى داود ج ۱ ص ۶۱۸ و عن المعبود ج ۷ ص ۲۷۸ و شرح معانى الآثار ج ۳ ص ۲۳۱ و صحيح ابن حبان ج ۱۱ ص ۱۷۶ و مسند الشاميين ج ۱ ص ۲۷۵ و عن نصب الراية ج ۴ ص ۳۰۱ و راجع: كنز العمال ج ۱۰ ص ۳۸۶ و عن أحكام القرآن للجصاص ج ۳ ص ۷۱ و تاريخ مدينة دمشق ج ۶۸ ص ۹۰ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۸۵ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۷۲.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۲ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۸ و السنن الكبرى ج ۶ ص ۳۰۹ و تاريخ مدينة دمشق ج ۴۱ ص ۱۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۶۱

و روى محمد بن عمر، عن خزيمة بن ثابت قال: «حضرت مؤتة، فبارزنى رجل منهم يومئذ، فأصبته و عليه بيضة له فيها ياقوتة، فلم تكن همتى إلا الياقوتة، فأخذتها. فلما رجعنا إلى المدينة أتيت بها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فنفلنيها، فبعتها زمن عثمان بمائة دينار، فاشتريت بها حديقة نخل» «۱».

قال فى البداية: «و هذا يقتضى أنهم غنموا منهم، و سلبوا من أشرافهم، و قتلوا من أمرائهم» «۲».

و روى البخارى عن خالد، قال: «لقد اندقت فى يدى يوم مؤتة تسعة أسياف، و ما ثبت فى يدى إلا صفيحة يمانية» «۳».

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۹ و السنن الكبرى ج ۶ ص ۳۰۹ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۲ و ۱۵۶ و راجع: كنز العمال ج ۱۰ ص ۵۵۵ و عن فتح البارى ج ۷ ص ۳۹۵ و تاريخ مدينة دمشق ج ۱۶ ص ۳۵۹ و سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۴۶۸ (لكن بدل زمن عثمان زمن عمر).

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۲ و ۱۵۶ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۸۵ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۷۸.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۲ و فى هامشه قال: أخرجه البخارى ج ۷ ص ۵۸۸، و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۷ و تاريخ

الخميس ج ۲ ص ۷۳ و الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ۱ ص ۴۰۸ و الإصابة ج ۱ ص ۴۱۴ و ج ۲ ص ۲۱۸ و المصنف لابن أبى شيبة ج ۴ ص ۵۸۲ و ج ۷ ص ۵۷۹ و ج ۸ ص ۵۴۸ و المعجم الكبير ج ۴ ص ۱۰۴ و رياض الصالحين ليحيى بن شرف النورى ص ۷۱۷ و الطبقات الكبرى ج ۴ ص ۲۵۳ و ج ۷ ص ۳۹۵ و تاريخ مدينة دمشق ج ۱۶ ص ۲۴۸ و ۲۴۹ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۸۱ و ۲۸۵ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۶۵ و ۴۷۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۶۲

و هذا يقتضى أنهم أثخنوا فيهم قتلا، و لو لم يكن كذلك لما قدروا على التخلص منهم، إذ كان المسلمون ثلاثة آلاف، و المشركون أكثر من مائتى ألف، و هذا وحده دليل مستقل «۱».

و قال الحلبى: و فى رواية: أصاب خالد منهم مقتلة عظيمة، و أصاب غنيمة.

و هذا لا يخالف ما يأتى أن طائفة منهم فروا إلى المدينة لما عاينوا كثرة جموع الروم، فصار أهل المدينة يقولون لهم: أنتم الفرارون «۲».

و قد ذكر ابن إسحاق: أن قطبة بن قتادة العذرى، الذى كان على ميمنة المسلمين حمل على مالك بن زافلة، و يقال: ابن رافلة، و هو أمير أعراب النصارى، فقتله، و قال قطبة يفتخر بذلك:

طعنت ابن رافلة ابن الإراش‌برمح مضى فيه ثم انحطم

ضربت على جيده ضربةفمال كما مال غصن السلم

و سقنا نساء بنى عمه‌غداة رقوقين سوق النعم و هذا يؤيد ما نحن فيه، لأن من عادة أمير الجيش إذا قتل أن يفر أصحابه، ثم إنه صرح فى شعره بأنهم سبوا من نسائهم، و هذا واضح فيما

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۲ و ۱۵۶ و راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۷۲ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۸۵.

(۲) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۶۸ و راجع: البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۴۹ تاريخ مدينة دمشق ج ۱۶ ص ۲۳۰ و راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۶ و عن السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۷۱ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۸۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۶۳

ذكرناه «۱».

و عن أنس قال: نعى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و هو على المنبر زيدا، و جعفرا، و ابن رواحة للناس يوم أصيبوا قبل أن يأتيه خبرهم، فقال:

«أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب، و عيناه تذرفان، حتى أخذ الراية سيف من سيوف اللّه، ففتح اللّه عليهم» «۲».

و روى النسائى، و البيهقى، عن أبى قتادة قال: «بعث رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» جيش الأمراء، فانطلقوا فلبثوا ما شاء اللّه، فصعد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» المنبر، فنودى: الصلاة جامعة. فاجتمع الناس إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فقال:

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۲ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۷۲ و ۴۷۳ و تاريخ مدينة دمشق ج ۴۹ ص ۳۳۷ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۸۵ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۸۳۵.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۳ عن البخارى و البيهقى، و فى هامشه: عن البخارى ج ۷ ص ۹۲ و راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۲ و مسند أحمد ج ۳ ص ۱۱۳ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۸ ص ۱۵۴ و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۴۲ و طبقات ابن سعد ج ۴

ق ۱ ص ۲۵ و نيل الأوطار ج ۴ ص ۹۶ و راجع: المناقب لابن شهر آشوب ج ۱ ص ۹۴ و أحكام الجنائز ص ۱۶۶ و عن صحيح البخارى ج ۵ ص ۸۷ و تحفة الأحوذى ج ۸ ص ۱۱۳ و ج ۱۰ ص ۲۳۳ و الكامل لابن عدى ج ۲ ص ۲۷۶ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۸۰ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۶۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۶۴

«أخبركم عن جيشكم هذا. إنهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد شهيدا، فاستغفر له. ثم أخذ اللواء جعفر فشدّ على القوم حتى قتل شهيدا، فاستغفر له، ثم أخذه خالد بن الوليد، و لم يكن من الأمراء، هو أمر نفسه».

ثم قال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «اللهم إنه سيف من سيوفك فأنت تنصره». فمن يومئذ سمى خالد: «سيف اللّه» «۱».

صمود و نصر، أو مجرد انحياز:

فاتضح مما تقدم: أن سياق حديث هؤلاء يسير باتجاه الإيحاء بأن الذى كان فى مؤتة هو إما الانحياز و المحاشاة، أو النصر و الفتح .. ثم يصرحون بعدم صحة الأول، و يؤكدون على صحة الثانى، كما رأينا ..

غير أننا نقول:

إن هؤلاء الناس أنفسهم قد ساقوا لنا طائفة من الدلائل و الشواهد على أن الأمر لم يكن كما زعموا، و إن كان ربما يلاحظ فى بعضه سعى لحفظ

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۳ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۷ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص و أحكام الجنائز ص ۳۳ و فضائل الصحابة ص ۱۸ و ۵۳ و عن مسند أحمد ج ۵ ص ۲۹۹ و ۳۰۱ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۵۶ و عن فتح البارى ج ۷ ص ۳۹۴ و المصنف ج ۸ ص ۵۴۶ و السنن الكبرى ج ۵ ص ۴۸ و ۶۹ و ۷۷ و صحيح ابن حبان ج ۱۵ ص ۵۲۳ و كنز العمال ج ۱۰ ص ۳۸۷ و ۵۵۶ و الطبقات الكبرى ج ۷ ص ۳۹۵ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲ ص ۱۷ و ج ۱۶ ص ۲۳۸ و سير أعلام النبلاء ج ۱ ص ۲۰۹ و ج ۴ ص ۶۰ و عن تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۲ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۸۱ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۶۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۶۵

ماء الوجه بطريقة أو بأخرى ..

كما أن نفس تلك النصوص التى أرادوا منها أن تدلل على صحة ما قالوه و تؤيده قد جاء أكثرها عاجزا عن ذلك، كما سيتضح إن شاء اللّه تعالى.

تهافت بلا مبرر:

إن هناك العديد من الموارد قد تخالف ما سبق و قد ظهر فيها أيضا التهافت حتى فى الرواية الواحدة، فلاحظ ما يلى:

۱- حدث رجل من بنى مرة، كان فى الجيش. قيل له: إن الناس يقولون: إن خالدا انهزم من المشركين.

فقال: لا و اللّه، ما كان ذلك. لما قتل ابن رواحة، نظرت إلى اللواء قد سقط، و اختلط المسلمون و المشركون، فنظرت إلى اللواء فى يد خالد منهزما، و اتبعناه فكانت الهزيمة «۱».

۲- و يروى الواقدى عن محمد بن صالح، عن رجل من العرب عن أبيه: أنه لما قتل ابن رواحة انهزم المسلمون أسوأ هزيمة رأيتها قط، فى كل وجه، ثم تراجعوا، و كان ثابت بن أقرم قد أخذ اللواء .. ثم أعطاه لخالد «فأخذه خالد، فحمله ساعة، و جعل المشركون

يحملون عليه، فثبت حتى تكركر المشركون، و حمل بأصحابه، ففض جمعا من جمعهم، ثم دهمه منهم بشر كثير، فانحاش المسلمون، فانكشفوا راجعين» «۲».

---

(۱) المغازى ج ۲ ص ۷۶۲ و ۷۶۳ و تاريخ مدينة دمشق ج ۶۸ ص ۸۷.

(۲) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۰ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۲ و البحار ج ۲۱ ص ۶۲ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲ ص ۱۵ و ج ۱۱ ص ۱۰۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۶۶

قال ابن إسحاق: ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بنى العجلان، فقال: يا معشر المسلمين، اصطلحوا على رجل منكم.

فقالوا: أنت.

قال: ما أنا بفاعل.

فاصطلح الناس على خالد بن الوليد «۱».

و روى الطبرانى عن أبى اليسر الأنصارى، قال: أنا دفعت الراية إلى ثابت بن أقرم لما أصيب عبد اللّه بن رواحة، فدفعت إلى خالد.

و قال [له ثابت بن أقرم]: أنت أعلم بالقتال منى «۲».

و عند الواقدى: أنت رجل سن، و قد شهدت بدرا.

زاد الحلبى: «فقال له خالد: أنت أحق به منى، لأنك ممن شهد بدرا، ثم أخذه خالد و مانع القوم، و ثبت، ثم انحاز كل من الفريقين عن الآخر من غير هزيمة على أحدهما» «۳».

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۳ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۲ و السيرة النبوية ج ۴ ص ۲۷ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۵۹ و الثقات ج ۲ ص ۳۳ و عن تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۱ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۷۹ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۸۳۴ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۶۷ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۶۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۰.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۰ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۷ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۵۷ و عن فتح البارى ج ۷ ص ۳۹۴ و المعجم الأوسط ج ۲ ص ۱۷۹ و تاريخ مدينة دمشق ج ۱۱ ص ۱۰۶ و عن أسد الغابة ج ۱ ص ۲۲۰.

(۳) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۶۷

۳- و عن ابن كعب بن مالك قال: حدثنى نفر من قومى حضروا يومئذ، قالوا: لما أخذ خالد اللواء انكشف بالناس، فكانت الهزيمة، و قتل المسلمون، و اتبعهم المشركون، فجعل قطبة بن عامر يصيح: يا قوم، يقتل الرجل مقبلا أحسن من أن يقتل مدبرا، يصيح بأصحابه، فما يثوب إليه أحد، هى الهزيمة.

و يتبعون صاحب الراية منهزما «۱».

۴- و عن أبى هريرة: لما قتل ابن رواحة، انهزم المسلمون، فجعل خالد يدعوهم فى أخراهم، و يمنعهم عن الفرار، و هم لا يسمعون، حتى نادى قطبة بن عامر: أيها الناس، لأن يقتل الرجل فى حرب الكفار، خير من ان يقتل حال الفرار، فلما سمعوا كلام قطبة تراجعوا «۲».

طريق جمع فاشل:

و قد حاول بعضهم: أن يجمع بين هذه الروايات المختلفة و المتخالفة، فقال:

«هذا لا يخالف ما يأتى من أن طائفة منهم فروا إلى المدينة لما عاينوا كثرة جموع الروم، فصار أهل المدينة يقولون لهم: أنتم الفرارون» «۳».

قال فى البداية: لعل طائفة منهم فروا لما عاينوا كثرة جموع العدو، على ما ذكروه مائتى ألف، و كان المسلمون ثلاثة آلاف، و مثل هذا يسوغ الفرار.

فلما فر هؤلاء ثبت باقيهم، و فتح اللّه عليهم، و تخلصوا من أيدى

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۳ و تاريخ مدينة دمشق ج ۴۹ ص ۳۳۷.

(۲) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۲.

(۳) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۸ و راجع: البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۴۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۶۸

أولئك، و قتلوا منهم مقتلة عظيمة، كما ذكره الزهرى، و موسى بن عقبة، و العطاف بن خالد، و ابن عائذ. الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۲۰ ۶۸ طريق جمع فاشل: ..... ص : ۶۷

و حديث عوف بن مالك السابق يقتضى أنهم غنموا منهم، و سلبوا من أشرافهم، و قتلوا من أمرائهم.

و قد تقدم فيما رواه البخارى: أن خالدا قال: «اندقت فى يدى تسعة أسياف الخ ..»، يقتضى أنهم أثخنوا فيهم قتلا، و لو لم يكن كذلك لما قدروا على التخلص منهم، و هذا وحده دليل مستقل «۱».

و قال الصالحى الشامى: أكثر الآثار تدل: على أن المسلمين هزموا المشركين، و فى بعضها أن خالدا انحاز بالمسلمين، و قد تقدم بيان ذلك.

قال الحافظ: و يمكن الجمع بأن يكون المسلمون هزموا جانبا من المشركين، و خشى خالد أن يتكاثر الكفار عليهم. فقد مر أنهم كانوا أكثر من مائتى ألف، فانحاز عنهم حتى رجع بالمسلمين إلى المدينة «۲».

و قال الحافظ ابن كثير فى البداية: يمكن الجمع بأن خالدا لما انحاز بالمسلمين بات، ثم أصبح و قد غير بقية العسكر كما تقدم، و توهم العدو أنهم قد جاءهم مدد، حمل عليهم خالد حينئذ فولوا فلم يتبعهم، و رأى الرجوع بالمسلمين مع الغنيمة الكبرى «۳».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۶ و راجع: البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۴۹ و عن فتح البارى ج ۷ ص ۲۹۵ (و فيه أنهم أكثر من مائة ألف بدل مائتى ألف).

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۶ و عن فتح البارى ج ۷ ص ۳۹۵ (و فيه أنهم أكثر من مائة ألف بدل مائتى ألف).

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۸ و ۱۵۹ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۶۹

و قال الواقدى: «فانكشفوا منهزمين، فقتلوا مقتلة عظيمة، لم يقتلها قوم» «۱».

غير أنه سيتضح: أن هذه التمحلات بعيدة جدا عن الواقع، و أن من نسب إليهم القول بحصول النصر و الفتح على يد خالد و من معه، لا تصح النسبة إلى معظمهم، أو لا يصح الاستدلال بقولهم .. فنسبة ذلك إليهم ما هو إلا تدليس ظاهر، من ماكر ماهر.

و الذين نسب إليهم ذلك هم- كما زعموا- أبو عامر، و أبو هريرة، و الزهرى، و عوف بن مالك، و أنس، و ابن عائذ، و عروة، و أبو سعيد الخدرى، و عطاف بن خالد، و ابن عقبة ..

و سيتضح فيما يلى مطالب عدم صحة ذلك، إلا بالنسبة لبضعة أفراد لا يصل عددهم إلى عدد أصابع اليد الواحدة. بل إن بعضهم قد روى العكس، كما سنوضحه فيما يلى:

حديث جابر و خزيمة:

ورد فى حديث جابر كلام عن اغتنام بعض أمتعة المشركين، و أن أحدهم غنم خاتما، فجاء به إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» فنفله إياه «۲».

بالإضافة إلى حديث الياقوتة التى غنمها خزيمة بن ثابت، فنفله إياها

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۴ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲ ص ۱۵ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۸۲ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۶۷ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۱.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۲ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۷۰

رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» «۱» أيضا ..

و كلا الحديثين غير مفيد، و ذلك لما يلى:

۱- إنه لو كان هناك نصر و فتح، و غنائم فى مؤتة، فلا بد أن يقسّم فى ساحة المعركة، بعد انتهاء الحرب، فما معنى أن يبقى ذلك الخاتم مع ذلك الرجل إلى المدينة، حتى يعرضه على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فينفله إياه؟!

و لماذا لم يعترض رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على ذلك الرجل، لأنه احتفظ بذلك الخاتم إلى هذا الوقت؟

و لماذا لم يسأله عن السبب فى أنه لم يعلم به أمير الجيش حين اقتسام الغنائم؟!

۲- إن رواية خزيمة تصرح بأن خزيمة قد قتل صاحب الياقوتة، و سلبه إياها، فهو من السلب الذى حكم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بأنه للقاتل، و قد كان هذا الأمر معروفا لدى الناس، كما ظهر من قصة عوف بن مالك مع خالد. فما معنى مراجعة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى الياقوتة، لينفله إياها.

۳- إن الحرب فى مؤتة لم تكن عابرة، و بلا جهد و جهاد، من قبل جيش المسلمين، حتى لو كان هذا الجيش قد انهزم فى نهاية الأمر متابعة منه لخالد بن الوليد حامل لوائه.

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۲ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۹ و كنز العمال ج ۱۰ ص ۵۵۵ و تاريخ مدينة دمشق ج ۱۶ ص ۳۵۹ و سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۴۸۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۷۱

و قد ذكروا: أن ذلك الجيش بقى سبعة أيام يقاتل أعداءه إلى أن استشهد قادته الثلاثة. و من الطبيعى أن يحصل بعضهم على بعض السلب ممن كانوا يقتلونهم من أفراد جيش العدو .. ثم كانت الهزيمة بعد ذلك على يد خالد، و لم يكن هناك اقتسام لغنائم، فجاء أولئك الأفراد ببعض ما حصلوا عليه إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و لعل قصة جابر، و خزيمة قد جاءت على هذا السياق.

۴- إن رواية خزيمة نفسها تصرح بالهزيمة، فقد جاء فيها- حسب رواية البيهقى- قوله: «فأخذتها، فلما انكشفنا رجعنا إلى المدينة الخ ..» «۱».

فما معنى الاستدلال بهذه الرواية على صمودهم، و على حصول النصر و الفتح لهم؟!

حديث عوف بن مالک:

و جاء فى حديث عوف بن مالك الأشجعى: أن أحدهم قد غنم فرس و سلاح أحد المشركين.

و نقول:

۱- إن هذا أيضا لا يدل على أنه قد غنم ذلك بعد استشهاد القادة، بل ظاهر الرواية: أن ذلك قد حصل بمجرد نشوب الحرب، و بمجرد التقاء المسلمين بجموع الروم.

---

(۱) راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۶ و راجع: شرح النهج ج ۱۴ ص ۲۷۵ و كنز العمال ج ۱۰ ص ۵۵۵ و تاريخ مدينة دمشق ج ۱۶ ص ۳۵۹ و ج ۲۴ ص ۳۹۷ و سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۴۸۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۷۲

۲- إن هذا الحديث مرفوض جملة و تفصيلا، فإنه يكاد يكون صريحا فى ادّعاء: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد تناقض فى تصرفاته، إذ إنه إذا كان- كما يزعمون- قد خطّأ خالدا فى رأيه الأول، فكيف صح أن يعود إلى تصويبه أخيرا. فهل يصح تصويب الخطأ؟!

قال الصالحى الشامى: إنما رد «صلى اللّه عليه و آله» السلب إلى خالد بعد الأمر الأول بإعطائه للقاتل نوعا من النكير، و دعا له، لئلا يتجرأ الناس على الأئمة.

و كان خالد مجتهدا فى صنيعه ذلك، فأمضى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» اجتهاده لما رأى فى ذلك من المصلحة العامة، بعد أن خطّأه فى رأيه الأول.

و يشبه أن يكون النبى «صلى اللّه عليه و آله» عوّض المددى من الخمس الذى هو له، و أرضى خالدا بالصفح عنه، و تسليم الحكم له فى السلب «۱».

و نقول:

و يلاحظ عليه: أنه يعترف بخطأ خالد فى أخذه السلب من صاحبه، فردّه النبى «صلى اللّه عليه و آله» عليه، ثم رأى أن من المصلحة أن يتراجع عن حكمه هذا. و يسترجع السلب من صاحبه مرة أخرى ..

ثم لما رأى شناعة هذا الفعل ادّعى من عند نفسه: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد عوّض ذلك المددى من الخمس!!

و لا ندرى من أين جاء بهذا الادعاء التاريخى الخيالى و الموهوم، الذى

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۷۳

يلزم منه نسبة السفه إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»؟! فإنه إذا كان «صلى اللّه عليه و آله» قد عوضه من الخمس، فلماذا يأخذ منه مالا هو له، و حتى يجب عليه أن يعوض صاحبه عنه؟!

فإن قيل: إن السبب هو التأديب.

أجيب: بأن التأديب لا يحصل بهذا النحو من التصرف العبثى.

۳- إنه إذا كان خالد بن الوليد هو الذى أمّر نفسه، كما هو مجمع عليه عند المؤرخين؛ و كما صرحت به بعض الروايات.

فما معنى أن يغضب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و يقول لعوف:

«هل أنتم تاركون أمرائى لكم صفوة الخ ..» فإن خالدا لم يكن أميرا من قبله «صلى اللّه عليه و آله»، و إذا كان الناس قد رضوا به أميرا، فعليه (أى على خالد) أن يلتزم بالحدود التى فوضوه التصرف فيها ..

۴- ما معنى أن ينسب إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أنه قال عن أمرائه «لكم صفوة أمرهم، و عليهم كدره»؟! فهل ذلك يعنى أنه لا يحق لأحد أن يعترض على الأمير إذ حكم بغير ما أنزل اللّه؟! و تصرف على خلاف ما يريده اللّه؟ و ما جاء فى سنة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»؟!

كما هو الحال فى هذا المورد بالذات؟!

۵- و أى صفو ظهر من خالد هنا، و هو يظلم شخصا حقه الذى قرره له الشرع الشريف و سنه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»؟! .. بل هو يصر على سلبه حقه هذا حتى بعد أن أخبره بأن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» هو الذى سن و قرر، و قضى بأن السلب للقاتل .. فهل هذا من صفو الأمر الذى يعود نفعه للناس؟!

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۷۴

و هل يصح توجيه اللوم و التأنيب إليهم، إذا لم يرضوا بهذا التعدى؟!

۶- هل يمكن أن يتخيل أحد أن السلب إذا كان كثيرا فليس للقاتل أن يأخذه، و أن السلب القليل فقط هو الذى يكون له؟!

۷- هل وعد عوف لخالد: بأنه سيعرّفه الحكم الصحيح عند رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، ثم تذكيره إياه بهذا الوعد، يستدعى هذا الغضب من النبى «صلى اللّه عليه و آله»؟! و يوجب إنزال هذه العقوبة به؟!

۸- حتى لو كان عوف قد تجاوز الحد مع خالد، فهل هذا يبطل حقه بالسلب؟! و هل عقوبة من يتجاوز الحد بهذا النحو هى دفع هذه الغرامة المالية؟! أم أن العقوبة هى الحبس أو التعزير، أو ما إلى ذلك؟!

خالد يتحدث عن نفسه!!

و حديث خالد عن بطولاته أيضا، حتى إن سبعة أسياف قد اندقت بيده، و لم تثبت بيده إلا صفيحة يمانية- إن ذلك- كله لا مجال لقبوله، و ذلك لما يلى:

۱- جاءت الأخبار الكثيرة لتؤكد أن خالدا قد فر، بل كان أول الفارّين.

۲- إنه إنما يجرّ بذلك النار إلى قرصه، و يسعى إلى تبرئة نفسه. و لا تقبل شهادة الإنسان لنفسه فى القضاء، إلا إذا كان نبيا أو وصى نبى، أو ممن جاء الوحى الإلهى بقبول أقوالهم، و أخبر اللّه عن صدقهم ..

و أما فى غير القضاء، فلا بد أن تثبت وثاقة من يتحدث عن نفسه، و تقوم الشواهد على صدقه، و ليس خالد من هؤلاء، فإنه قاتل مالك بن نويرة،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۷۵

و الزانى بامرأته، و المتحامل على أهل البيت «عليهم السلام»، و المشارك فى مهاجمة بيت الزهراء «عليها السلام» إلى غير ذلك من موبقات ..

۳- إنه لم يصرح بالوقت الذى ظهرت فيه بطولاته هذه، فهل كانت بعد استشهاد القادة الثلاثة؟! أو كانت قبل ذلك؟!

فإن كانت فى الأيام السبعة التى سبقت استشهادهم، فلا تفيد فى دفع التهمة الواردة فى النصوص، و الدالة على أنه حين استشهد القادة آثر الفرار على الثبات ..

۴- لعل البطولات التى تحدث عنها خالد قد كانت فى تلك القرية التى هاجموها حين عودتهم من مؤتة، و كان بها حصن أيضا، فافتتحوه، و قتل خالد من كان فيه من المقاتلين، كما سنرى ..

حديث قتل ابن رافلة:

و الحديث القائل: إن قطبة بن قتادة العذرى قد قتل مالك بن رافلة، لا يدل أيضا على مطلوبهم، و ذلك لما يلى:

۱- من الذى قال: إن قتل ابن رافلة قد كان بعد استشهاد القادة الثلاثة، فإن القتال قد دام سبعة ايام قبل استشهادهم حسبما استظهرناه. فلعله قتله فى تلك الأيام السابقة.

۲- إنهم قد ذكروا: أن الجيش قد هاجم- و هو عائد- قرية لها: حصن، فحاصروهم حتى فتحوا ذلك الحصن. و قتل خالد مقاتلتهم «۱».

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۱ و ۱۵۵ و عن فتح البارى ج ۷ ص ۳۹۵ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲ ص ۱۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۷۶

فلعل ابن رافلة قد قتل فى هذه المعركة.

۳- أما حديث السبى الوارد فى هذه الرواية، فأمره أكثر إشكالا، و حديثه أكثر اعتلالا، و اختلالا، فإنهم إذا كانوا قد سبوا أحدا فلماذا اختص ذلك ببنات عم أمير أعراب النصارى؟! و لماذا لم تسب آلاف النسوة اللواتى كن مع ذلك الجيش العظيم، الذى يدّعون أنه قد هزم على يد خالد و جيشه؟! حيث لا بد أن تغص المدينة بهذا السبى الهائل!!

على أن الأهم من ذلك هو كيف يترك ذلك الجيش بنات عم أعظم أمراء نصارى الأعراب تسبين، ثم لا يلحق بالمسلمين لتخليصهن؟

۴- إن الشعر المذكور فى الرواية يدّعى: أن سبى بنات عم ابن رافلة إنما حصل فى الغارة على موضع سماه ب «رقوقين» و قد بحثت عن هذا الاسم، فلم أجد فيما توفر لدى من مصادر شيئا يفيد فى تحديد معناه سوى أنه اسم موضع.

و قال الصالحى الشامى: «لم أجد له ذكرا فيما وقفت عليه من أسماء الأماكن» «۱».

و من الذى قال: إن هذا الموضع كان فى مؤتة؟!

۵- إن ما ذكره من أن ابن رافلة كان أمير أعراب النصارى، لا يتناسب مع ما يذكرونه من أن الحارث ابن أبى شمر الغسانى كان هو الأمير الأكبر فى تلك المنطقة، و كان عاملا لقيصر ملك الروم ..

إلا أن يقال: إنه كان أميرهم فى القتال فى تلك المعركة ..

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۶۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۷۷

إخبار النبى «صلى اللّه عليه و آله» عن الشهداء:

أما ما ذكروه: من أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد وصف المعركة للمسلمين، و نعى «صلى اللّه عليه و آله» زيدا، ثم جعفرا، ثم ابن رواحة، ثم أخبر عن أخذ خالد للراية، و وصفه بأنه: سيف من سيوف اللّه، ففتح اللّه عليهم.

نقول فيه:

۱- قد تقدم: أن جعفرا كان هو الأمير الأول فى مؤتة، و هذه الروايات تذكر تقدم زيد عليه، و هذا يشير إلى وجود تلاعب و تصرف فى هذا الأمر، فلا يؤمن أن يكون التلاعب قد نال مواضع أخرى فى الرواية أيضا.

۲- إذا كان خالد سيفا من سيوف اللّه، و له هذه الشجاعة الفريدة، و الهمة العتيدة، و هذا الأثر العظيم، فلماذا لم يوله القيادة معهم «صلى اللّه عليه و آله» قيادة الجيش من أول الأمر؟! بل هو لم يوله أصلا؟! ..

فهل يعقل أن يكون «صلى اللّه عليه و آله» قد فرط فى أمر المسلمين، فولى من ليس أهلا، و ترك هذا الرجل العظيم؟!! مع علمه بموقعه، و بأثره، كما ظهر من وصفه له بأنه سيف من سيوف اللّه؟!!

أم أنه- و العياذ باللّه- قد أراد التخلص من القادة الثلاثة بصورة غادرة و ماكرة، لأسباب عجز التاريخ عن الإفصاح عنها؟! و هل يصح هذا المكر و الغدر من أفضل الأنبياء و أشرف الخلق؟! و هل يكون مسلما أو مؤمنا من يعتقد بالنبى أنه- و العياذ باللّه- يغدر و يمكر؟!

و من الذى قال: إن هذا الموضع قد كان فى مؤتة؟!

۳- و إذا كان «صلى اللّه عليه و آله» لا يميز بين من هو أهل للقيادة، و بين من ليس أهلا لها، فالأمر يصبح أعظم و أدهى، لما يتضمنه من الطعن

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۷۸

فى عقل و إدراك النبى الكريم «صلى اللّه عليه و آله»، نعوذ باللّه من الخطأ و الزلل، فى الفكر و القول، و العمل.

۴- و أما الحديث عن أن خالدا هو سيف اللّه، فستأتى الإشارة إلى أنه غير صحيح إن شاء اللّه تعالى.

۵- و أى فتح كان على يد خالد سوى الفرار القبيح و المرزى، الذى استحق به هو و من معه أن يحثو أهل المدينة التراب فى وجوههم، و أن يقاطعوهم، و لا يكلمهم منهم أحدا؟!

حديث عطاف بن خالد:

و قد ذكر فى حديث عطاف بن خالد: أن ابن رواحة قتل مساء، ثم لما أصبحوا غير خالد الميمنة إلى الميسرة و العكس، و جعل الساقة مقدمة، فأوهم ذلك جيش الأعداء بأن مددا قد أتى للمسلمين، فهربوا رعبا من ذلك ..

و نقول:

۱- هل طبعت صورة الأشخاص فى الجيش الإسلامى فى ذاكرة جيش العدو حتى أصبح يتحرك و يتعامل مع خصوص تلك الصور؟!

و حتى لو كان الأمر كذلك، فهل كان من الواجب أن لا تتبدل مواقع الأفراد فى كل يوم عما كانت عليه فى اليوم السابق؟!

و لماذا لا يفسرون هذا التبدل: بأن القائد الميدانى قد وزع الأشخاص بطريقة مخالفة للتوزيع الذى كان فى اليوم السابق؟!

و لماذا يظنون بوصول مدد للجيش المقابل. ألا يرون حجمه، و عدده؟

و أنه لم يزد عما كان عليه فى اليوم السابق؟!

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۷۹

۲- هل صحيح: أن الناس تمكنوا من المبيت فى ساحة المعركة، حتى بعد استشهاد ابن رواحة؟! أم أن الهزيمة قد حلت بهم، و غادروا إلى جهة المدينة يتقدمهم خالد فور استشهاد ابن رواحة؟!

إن النصوص التى أوردناها تؤكد هذا الأمر الثانى!!

۳- إذا كان المسلمون قد قتلوا المشركين كيف شاؤا، أو قتلوهم مقتلة لم يقتلها قوم، فلماذا اختص نقل ذلك بعطاف بن خالد، و بابن عائذ؟!

و لماذا لم ينقله حتى ابن إسحاق، و هو المعتمد فى المغازى، بل الناس عيال عليه فيها؟! بل لماذا جاءت الروايات الأخرى من الذين حضروا المعركة لتؤكد على حصول الهزيمة النكراء؟!

۴- و لماذا لم يحتف أهل المدينة بهؤلاء الفاتحين حين عودتهم، و لم يكرموهم، و لم يقيموا لهم الإحتفالات، و لم يتغن أحد من الشعراء بهذا النصر العظيم؟!

بل هم قد و اجهوهم بما يسؤهم، حتى اضطروهم بالاختباء فى بيوتهم؟!

بل لماذا لم يعتذروا هم للناس و لم يقولوا لهم: إن القضية كانت على عكس ما يظنون، فقد انتصروا على أعدائهم، و قتلوهم قتلة لم يقتلها قوم، و هزموهم أسوأ هزيمة؟!

و لماذا لم تشفع لهم الغنائم و السبايا التى جاؤا بها إلى المدينة؟ و التى لا بد أن تعد بعشرات الألوف، و لماذا لم يخمد غضب الناس الغاضبين و لم ينظر إليها أحد من أهلهم و محبيهم الذين طردوهم و أهانوهم؟!

و لماذا لم يدافع عنهم الرسول الكريم «عليه السلام» إذا كانوا مظلومين فيما يجرى لهم؟ و لماذا؟! و لماذا؟!

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص: ۸۰

حديث برذع:

و قد لوحظ: أن ما روى عن برذع بن زيد، من أن المسلمين اقتتلوا مع المشركين سبعة أيام «۱» قد أورد فى سياق الإستدلال على عدم هزيمة خالد، مع أنه لا يدل على ذلك، لأن الظاهر: هو أنه يتحدث عن الفترة التى استمرت فيها المبارزات و المناوشات قبل استشهاد القادة.

بل الأولى جعله من أدلة هزيمته، و الشاهد على ما نقول: أن الظاهر:

هو أن ابن رواحة قد حارب المشركين أياما قبل استشهاده، حتى إن ابن عم له قد جاءه بعرق من لحم ليقيم به صلبه، بعد أن لقى ما لقيه فى أيامه التى سبقت استشهاده «۲».

حديث أبى عامر:

۱- و قد ظهر من رواية أبى عامر المتقدمة: أنهم يريدون أن يدّعوا: أن الهزيمة التى حلت بالمسلمين قد حلت بهم قبل أن يأخذ خالد اللواء ..

و قد فصلنا الكلام حول هذه المقولة، و أظهرنا أنها لا يمكن قبولها، لأن النصوص المختلفة تكذبها .. و يكفى دليلا على ذلك ما جرى فى المدينة من أن الناس قد حثوا التراب فى وجه الجيش العائد بقيادة خالد، و عيروهم بهذا الأمر، حتى انزووا فى بيوتهم.

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۱ عن القراب فى تاريخه، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۷.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۰ و راجع: و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۶۲ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۷۹ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۸۳۴ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۶۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص: ۸۱

۲- إن رواية أبى عامر تذكر: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد علم بما جرى فى مؤتة من أبى عامر نفسه، مع أن النصوص الأخرى تؤكد على أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد أخبر الناس و هو على المنبر بما جرى لحظة فلحظة، حيث خفض اللّه له كل رفيع، و رفع له

كل خفيض، حتى رأى ما يجرى هناك.

۳- إن الحديث المتقدم عن الرجل المرّى يصرح: بأن خالدا كان فى طليعة المنهزمين، و تبعه الناس فى الهزيمة، و حديث أبى عامر أيضا ذكر أن الناس انهزموا أسوأ هزيمة رآها قط. حتى لم ير اثنين جميعا.

و لكن أبا عامر يدّعى: أن الناس قد تجمعوا بعد تلك الهزيمة، و هاجموا جيش العدو، و هزموه.

و هو كلام غير مقبول، فإنه إذا وقعت الهزيمة، فسيبقى الجيش المتفوق يلاحق المنهزمين، و يمعن فيهم قتلا، و أسرا، و يطلب الحصول على ما يتركونه من غنائم ..

و لم نر جيشا منتصرا يترك عدوه يفلت من يده، و يقف ليتفرج عليه و هو ينسحب من الساحة بأمان، و يمهله حتى تتجمع فلوله، ثم يعود لمهاجمته من جديد، خصوصا مع علمه بأن ملاحقة فلول الجيش المنهزم لا تضره، ما دام أن مصدر الإمداد لهم بعيد عنهم مسيرة أيام كثيرة، بل لعل عبارات أبى عامر الذى لم ير اثنين جميعا، تشير إلى حدوث هذا الإمعان فى ملاحقتهم لتفريق جمعهم، و تشتيت شملهم ..

۴- على أن حديث أبى عامر هذا لا يتلاءم مع ما زعموه من أن ابن رواحة قد قتل عند المساء، فباتوا. و فى اليوم التالى خالف خالد فى ترتيب أجنحة الجيش فخاف جيش العدو، فانهزم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۸۲

۵- إن الهزيمة معناها سعى المنهزمين للخروج من المعركة بأقصى سرعة يقدرون عليها. و لذلك يسعى الفرسان إلى اقتناء السابق من الخيل، ليتمكن صاحبها من الحركة السريعة فى ميدان الحرب، و من اللحاق بالمطلوب إذا كان طالبا و من النجاة عليه إن حز به أمر، يخاف فيه الهلاك، فأصبح هاربا ..

فما معنى أن يتمكن أبو عامر من أخذ اللواء فى لحظات الهزيمة، ثم أن يسعى حتى يسبق المقاتلين، و يصير أمامهم؟! إلا أن يكون أسرع من الطير فى الهواء، و من السهم فى حنايا البيداء؟!

۶- إن حديث أبى عامر يصرح: بأن ثابت بن أقرم الأنصارى أعطى اللواء إلى خالد، فرفض خالد قبوله: فقال الأنصارى: و اللّه ما أخذته إلا لك ..

مع أن ابن اسحاق يقول: إن ثابتا أخذ اللواء و قال: يا معشر المسلمين، اصطلحوا على رجل منكم، فقالوا: أنت.

فقال: ما أنا بفاعل.

فاصطلح الناس على خالد ..

و فى نص ثالث عن أبى اليسر: أنه هو الذى دفع الراية إلى ثابت بن أقرم، فدفعت (بالبناء للمجهول) إلى خالد، فهل ذلك يدل على أن الذى دفع الراية إلى خالد هو غير ثابت هذا؟!

و فى جميع الأحوال نقول: أى ذلك هو الصحيح؟!

۷- ما معنى أن يقول ثابت بن أقرم لخالد: ما أخذته إلا لك؟!

فلما ذا أخذه لخصوص خالد؟! ألم يكن فى ذلك الجيش من يليق بمقام القيادة غير خالد؟! أم أن لخالد خصوصية لدى ثابت بن أقرم .. أو أنه هو وحده المقبول من قبل المقاتلين؟!

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۸۳

و الإحتمال الأخير بعيد، فإن رواية ابن اسحاق قد صرحت: بأنه حين قال ثابت بن أقرم للناس: إصطلحوا على رجل منكم.

قالوا: أنت. و لم يذكروا خالدا و لا غيره.

و هذا معناه: أنه لم تكن لخالد عندهم خصوصية تميزه عن غيره و ترجحه على من عداه لقيادة الجيش.

۸- على أن روايـة ثابت بن أقرم تصـرح: بأن خالـدا هو الـذى بادر إلى أخذ اللواء بنفسه، و لم يأخذه له ابن أقرم، و تصـرح أيضا: بأنه أخذه و انهزم به، فتبعه الناس ..

۹- ثم إن رواية أبى عامر تدّعى: أن ثابتا هو الذى دعا الناس إليه، فاستجابوا له، و اجتمعوا عنده، فأعطى اللواء لخالد ..

مع أن أبا هريرة يقول: إن الناس إنما تراجعوا عن الهزيمـة اسـتجابة لكلام قطبـة بن عامر. و إن كانت رواية ابن كعب بن مالك تذكر: أنهم لم يستجيبوا لقطبة أيضا بل اتبعوا صاحب الراية فى هزيمته. و صاحب الراية هو خالد نفسه .. و قديما قيل: لا حافظة لكذوب.

و أغرب من ذلك، ما زعمه أبو هريرة أيضا: من أن خالـدا جعل يصـيح بالناس حين انهزموا، و يدعوهم فى أخراهم، فلم يسـتجيبوا له، فلما دعاهم قطبة اسـتجابوا، مع أن رواية الرجل المرّى تقول: إن خالدا كان أول من انهزم، ثم تبعه الناس. و مع أن السؤال المحير يبقى ماثلا أمامنا عن السبب فى استجابة الناس لقطبة بن عامر، و عدم استجابتهم لخالد!!

ألا يجعلنا هذا التهافت نظن: أن المهم عند أبى هريرة هو حفظ ماء وجه خالد، و التصريح بأنه لم ينهزم، بل المنهزم هم الآخرون؟!.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۸۴

إيهام أم إبهام؟!

و ذكرت بعض الروايات المتقدمة: أن ثابت بن أقرم الأنصارى أخذ اللواء، و جعل يصيح بالأنصار، ثم سعى به إلى خالد.

و نقول:

لماذا خص صياح ثابت بن أقرم بالأنصار؟ هل يريد الإيحاء بأن الهزيمة إنما وقعت على الأنصار دون المهاجرين؟!

و ربما لأجل ذلك أعطى اللواء لخالد، الذى يعد فى جملة المهاجرين دون الأنصار؟!

أم أنه يريد أن يفهمنا: أن المهاجرين لم يحضروا غزوة مؤتة لتقع الهزيمة عليهم. (رغم أن الروايات قد صرحت بأسماء عدد منهم كان قد حضر مؤتة) أم أن ثابت بن أقرم لم يكن يرى أن من حقه أن ينادى المهاجرين، لأنه كان أنصاريا، و لم يكن مهاجريا؟!

مع أن هـذا باطل أيضا، و لو صـح، فقد كان بامكانه أن يقول كما ذكرته رواية أبى عامر و غيرها: إلىّ أيها الناس .. و لكنها قد غيرت، لأن هؤلاء الناس يريـدون حياكـة الأمور بطريقة ذكية، تجعلها تصب فى الاتجاه الذى رسـموه، و تخدم الأهداف التى حددوها .. حتى إذا مـا رأوا: أن فى تلـك الصـياغة مـا يضـر أيضـا بمصـالحهم، عادوا إلى التقليم و التطعيم، و التغيير و التبـديل، وفق ما يحبون، و على حسب ما يشتهون، فإنا للّه و إنا إليه راجعون.

هل اصطلح المسلمون على خالد؟!

و قد تقدم: أن الروايات قد اختلفت فى كيفية وصول اللواء إلى خالد،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۸۵

فهل خصه به ثابت بن أقرم، و هو إنما اخذ اللواء له؟! أم أن المسلمين اصطلحوا على خالد؟!

و نضيف هنا التساؤلات التالية:

هل كانت هناك فرصة للحوار حول موضوع اللواء، بعد قتل القادة، مع أن المسلمين قد اختلطوا بالمشركين؟!

أم ان المقصود هو تشـريف خالد، و إظهار عظمته، و بخوع الناس لشـجاعته، و تنزهه عن السـعى لأخذ اللواء، و إظهار أنه أعلم بالقتال من غيره، و أن المسلمين هم الذين حمّلوه هذه المسؤولية؟! و أنه .. و أنه؟!

أم أن المطلوب هو التعتيم على الحقيقـة و التشـكيك بالنصوص التى صـرحت: بأن خالـدا بمجرد أن أخـذ اللواء، الذى كان قد سـقط

على الأرض انهزم به، فلما رآه المسلمون منهزما تبعوه و وقع المحذور- كما صرحت به روايات عديدة، و منها رواية ذلك الرجل المرّى، و غيرها؟!

ثبت خالد مقدارا مّا:

و يريدون إيهام الناس أيضا برواية مصطنعة تقول: إن خالدا نفسه لم ينهزم، بل انهزم الناس، فلما أخذ اللواء حمله ساعة .. فثبت للحملات عليه حتى تكركر المشركون، ثم حمل بأصحابه ففض جمعا من جمعهم. «ثم دهمه منهم بشر كثير، فانحاش المسلمون، فانكشفوا راجعين» «۱».

---

(۱) راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۰ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۲ و البحار ج ۲۱ ص ۶۲ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۴ ص ۲۵۳ و تاريخ مدينة دمشق ج ۱۱ ص ۱۰۷ و ۱۰۸ و ج ۲ ص ۱۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۸۶

و نقول:

إن هذه الرواية تريد ان تقول: إن خالدا لم ينهزم، لا- فى البداية و لا- فى النهاية، بل ثبت، و الذين انهزموا قبل أخذه للواء هم المسلمون، فلما أخذه ثبت بهم أولا، ثم ألحق هزيمة بجمع من جمع العدو .. ثم إن المسلمين انحاشوا، ثم انكشفوا راجعين، فهم أيضا لم ينهزموا، بل ما حصل هو مجرد الانحياش، ثم الانكشاف .. و ترك الحرب و الرجوع، مع أننا قد ذكرنا:

۱- أن الرواية المتقدمة عن الرجل المرّى الذى كان حاضرا تقول: إن أول منهزم كان فى المرة الأولى هو خالد بن الوليد، ثم تبعه فى الهزيمة سائر الناس .. و صرحت روايات عديدة أخرى بهزيمة خالد أيضا.

و فى رواية ابن كعب بن مالك عن رجال من قومه: أن قطبة بن عامر جعل يصيح: يا قوم .. فما يثوب إليه أحد، هى الهزيمة. و يتبعون صاحب الراية منهزما.

و قد ذكر المرّى: أن صاحب الراية هو خالد ..

۲- و سيأتى: أن أهل المدينة قد و اجهوا ذلك الجيش العائد بالطرد، و الإدانة، و الإهانة حتى حثوا فى وجوههم التراب، و عيروهم بالفرار ..

و عاشوا حالة من الإحساس بالذلة و الذنب، بلغت بهم حد الاختفاء عن أعين الناس فى بيوتهم، و انقطعوا عن المسجد، و عن الصلاة مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ..

۳- إنه إذا انحاش المسلمون و انحازوا إلى جهة بعينها، و تجمعوا فيها حين دهمهم الكفار، فلماذا انكشفوا راجعين فى هذه اللحظة بالذات .. مع أنهم كانوا- حسب زعم هؤلاء- قادرين على مواصلة الحرب و القتال ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۸۷

خصوصا إذا أخذنا بقول الحلبى: «ثم أخذه خالد، و مانع القوم و ثبت، ثم انحاز كل من الفريقين عن الآخر، من غير هزيمة على أحدهما» «۱». فإن ذلك يتطلب منهم معاودة الهجوم، لا ترك ساحة الحرب و الانكشاف و العودة!!

۴- و الغريب فى الأمر: أن رواية كعب بن مالك عن نفر من قومه تقول: «فكانت الهزيمة، و قتل المسلمون، و اتبعهم المشركون».

و هذا معناه: أن الهزيمة كانت هى السبب فى استشهاد هذا العدد من المسلمين .. ثمانية أو اثنا عشر أو نحو ذلك ..

و هو يعنى أيضا: أن المشركين لم يتركوا المسلمين حين انهزم بهم خالد، بل لا حقوهم، و قتلوا عددا منهم.

و هو يدل أيضا: أن أحدا لم يستشهد قبل استشهاد القادة، رغم استمرار الحرب سبعة ايام، كما تقدم.

النصر الموهوم:

و عن زعمهم: أن خالدا قد سجل نصرا مؤزرا و عظيما على جيوش الروم .. بل فى بعضها: أن الروم قتلوا قتلة لم يقتلها قوم، و أن المسلمين قد وضعوا اسيافهم حيث شاؤوا، نقول:

قد نسى الأفاكون: أن أهل المدينة قد طرد ذلك الجيش العائد، بقيادة خالد. و حثوا التراب فى وجوههم، و هجروهم، و عاقبوهم أسوأ عقوبة كما سيأتى .. فلو صح انهم قد انتصروا لكان ينبغى أن يلاقوهم بالورود

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۸۸

و الأناشيد، و بالأفراح و الزغاريد، و أن يرفعوهم على الراحات، و يدوروا بهم فى النوادى و الساحات.

و لكان يجب على خالد و جيشه أن يعترضوا على استقبال أهل المدينة بالتعنيف و الطرد، و أن يشتكوهم إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و يجهروا بمظلوميتهم و بأنهم معتدى عليهم. فلماذا اختبأوا فى بيوتهم، حتى إن منهم من ترك الحضور للصلاة من شدة الخجل مما حدث و حصل؟!

بل إن المتوقع فى مثل هذه الحالة هو أن يبادر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لمنع هذا التجنى، و لجم الظلم الذى حاق بهؤلاء الأبرياء المجاهدين!! و لو بأن يخطب الناس فى المدينة، و يؤنبهم على ظلمهم هذا، إن لم يتمكن من أن يعاقبهم عليه.

على أن هذا الذى ذكرناه لا يعنى أننا نريد أن ننفى أن يكون المسلمون قد أظهروا درجة من الجدية فى قتال أعدائهم، و أنهم قد سجلوا عليهم انتصارات قوية ..

و لكننا نقول: إن ذلك إن كان قد حصل، فإنما حصل فى الأيام أو فى الساعات التى سبقت استشهاد القادة، و لعل جذوته قد اتقدت بعد استشهادهم بصورة أكبر. و لكن خالدا ضيع ذلك ..

على أن من الواضح: أن صياغة الأحداث بهذه الطريقة التى نشاهدها فى كتب التاريخ تعطى: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد ألقى بالمسلمين إلى تهلكة عظيمة، و أن خالد بن الوليد هو الذى نجاهم منها.

و هذه جرأة على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و خروج عن حدود الاعتقاد الصحيح، و لا نريد أن نقول أكثر من ذلك.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۸۹

المضحك المبكى:

و من المضحك المبكى حديث الرجل من بنى مرة، الذى أنكر فيه أن يكون خالد قد انهزم .. ثم شرح ذلك، بأن اللواء سقط بعد قتل ابن رواحة .. و استمرت الحرب قال: «فنظرت إلى اللواء فى يد خالد منهزما، و اتبعناه، فكانت الهزيمة» «۱».

فما معنى نفيه هزيمة خالد أولا، ثم إثباته لها أخيرا. حتى لقد جعل خالدا أول منهزم باللواء فيهم، ثم تبعه الناس.

و هذه القضية التى جاءت بعفوية تامة، تظهر إلى أى حد كان هذا الرجل سليم الذات، فهو ينقاد لمشاعره تجاه خالد أولا، فلا يرضى بنسبة الهزيمة إليه، ثم لما أراد بيان ما جرى ساقته عفويته، و سلامة ذاته، و صدق لهجته إلى بيان حقيقة ما جرى بدقة، فظهر التناقض بين ما تدعوه إليه مشاعره من جهة، و بين ما أظهرته عفويته، و سلامة نفسه، و صدق لهجته من جهة أخرى ..

دلالات فى تشويش النصوص و تناقضها:

إن من يقرأ تلك النصوص، و سواها مما سيأتى يخرج منـدهشا من شدة اضـطرابها، و اختلافها، حيث إن بعضـها حريص على الإيحاء بأن قيادة خالد قد جلبت النصر للمسلمين. مع ظهور أو صراحة قسم وافر منها، و مؤيد بالشواهد و الأدلة على أن هذه القيادة قد جلبت على ذلك الجيش الهزيمة

---

(۱) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۲ ص ۱۲۹ و تاريخ مدينة دمشق ج ۴۹ ص ۳۷ و ج ۶۸ ص ۸۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۹۰

و العار، حتى من أهلهم و ذويهم ..

و لا شك فى أن هذا السعى الحثيث، و هذا الإصرار العجيب على تصوير الهزيمة بأنها فتح و نصر، بل هى أعظم من النصر فى خيبر، و الخندق، و بدر- يدل على أن ثمة استهتارا بالحق و الحقيقة، و قلة حياء، و انعدام ضمير لدى من يتصدى لهذا الأمر، و يحرص عليه ..

و لئن ظهر هـذا الأمر فى هـذا المورد بصورة جليـة، فمن السذاجـة أن نعتبره المورد الوحيد الذى تعرض لمثل هذا التزوير الفاضح، بل إن هـذه الخيانـة قـد مورست فى سائر مفاصل السيرة و غيرها، بل هى قـد نالت سائر الموارد التى تشـبه فى دلالاتها و فى إيحاءاتها ما يحرصون على التخلص منه و طمسه فى سرية مؤتة ..

و هذه خيانة عظيمة، بل جناية كبرى على أمة الإسـلام، و على البشرية كلها، حين تصور الأكاذيب و الأباطيل على أنها هى الحقائق. و تصبح الحقائق فى عداد الأباطيل و الترهات، فإنا للّه و إنا إليه راجعون و لا حول و لا قوة إلا باللّه.

خالد سيف اللّه:

و قد زعموا: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد وصف خالدا فى سرية مؤتة بأنه سيف من سيوف اللّه «۱» ..

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۸ و ۶۷ و سـبل الهـدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۱ و ۱۵۳ و نقله فى هوامشه عن المصادر التاليـة: صـحيح البخارى (۴۲۶۲) و عن ج ۷ ص ۶۲ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۴ ص ۳۶۸ و عن المصنف لابن أبى شيبة ج ۱۴-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۹۱

فسمى بسيف اللّه منذئذ «۱».

فهو غير صحيح، و ذلك لأن خالدا كان حديث عهد بالإسلام، فإنه أسلم فى شهر صفر سنة ثمان، و ذكره بعضهم «۲»، كما تقدم بيانه فى موضعه من هذا الكتاب. و سرية مؤتة كانت بعد ذلك بحوالى ثلاثة أشهر. أى فى جمادى الأولى فى سنة ثمان «۳».

و قيل: أنه أسلم قبل غزوة مؤتة بشهرين «۴».

و قيل: أنه أسلم سنة سبع «۵».

و قد أفنى عمره فى محاربة هذا الدين و أهله، كما أنه لم يكن مهتما بالالتزام بأحكامه، و التقيد بشرائعه .. كما ظهر من سيرته فى حياة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و بعده.

و قد شكى خالد عمارا إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» لكلام جرى

- ص ۵۱۳ و عن مسند أحمد ج ۳ ص ۱۱۳ و السنن الكبرى ج ۸ ص ۱۵۴ و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۴۲ و الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج ۴ ق ۱ ص ۲۵ و عن الكامل فى التاريخ ج ۲ ص و تاريخ الأمم و الملوك ج ۳ ص ۴۱.

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۱ و تاريخ تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۲ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۶ ص ۲۸۲.

(۲) راجع: البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۴۰ و راجع مكاتيب الرسول ج ۲ ص ۶۲۷ و فيض القدير ج ۱ ص ۱۹۱.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۴۴ و مسند أبى داود ص ۱۵۸.

(۴) فيض القدير ج ۱ ص ۱۹۱.

(۵) الإصابة ج ۶ ص ۴۱۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۹۲

بينهما، فقال «صلى اللّه عليه و آله»: إنه من يعادى عمارا يعاديه اللّه، و من يبغض عمارا يبغضه اللّه، و من سبه سبه اللّه «۱».

ثم إن من يكون سيفا للّه، فلا يبطش بالناس بغير حق كما صنع خالد ببنى جذيمة، حيث قتلهم صبرا، بعد أن أمنهم، مع أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» أرسله إليهم داعيا لا مقاتلا.

و لما بلغ النبى «صلى اللّه عليه و آله» ما فعل بهم، رفع يديه و قال: «اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد» ..

ثم أرسل «صلى اللّه عليه و آله» الإمام عليا «عليه السلام»، فودى لهم الدماء، و ما أصيب من الأموال، حتى إنه ليدى ميلغة الكلب، و بقيت بقية من المال، أعطاهم إياها احتياطا لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» «۲».

---

(۱) رجال الكشى ص ۳۵ و الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ۲۰ ص ۲۷۷ و عوالى اللآلى ج ۱ ص ۱۱۳ و أجوبة مسائل جار اللّه ص ۲۶ و الغدير ج ۱ ص ۳۳۱ و ۳۳۲ و ج ۹ ص ۲۷ و فضائل الصحابة ص ۵۰ و المستدرك للحاكم ج ۳ ص ۳۹۰ و السنن الكبرى للنسائى ج ۵ ص ۷۴ و المعجم الكبير ج ۴ ص ۱۱۲ و كنز العمال ج ۱۱ ص ۷۲۶ و ج ۱۳ ص ۵۳۴ و علوم القرآن للسيد محمد باقر الحكيم ص ۳۰۵ و أسباب نزول الآيات ص ۱۰۶ و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ۱ ص ۵۳۰ و تاريخ مدينة دمشق ج ۴۳ ص ۳۹۹ و ۴۰۰ و تهذيب الكمال ج ۲۵ ص ۳۶۶ و سير أعلام النبلاء ج ۱ ص ۴۱۵ و ج ۹ ص ۳۶۷ و خلاصة عبقات الأنوار ج ۳ ص ۲۳ و إختيار معرفة الرجال ج ۱ ص ۱۵۰ و جامع الرواة ج ۱ ص ۲۹۳ و معجم رجال الحديث ج ۸ ص ۴۱ و ج ۱۳ ص ۲۸۸.

(۲) تاريخ الأمم و الملوك ج ۳ ص ۶۶- ۶۸ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۷۳ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۵۳ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۲-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۹۳

و قال النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى فتح مكة لخالد و للزبير: لا تقاتلا إلا من قاتلكما «۱»، و لكن خالدا بسط يده، و قتل نيفا و عشرين رجلا من قريش، و أربعة نفر من هذيل، فأرسل إليه من يردعه عن ذلك «۲».

و قد تابع خالد مسيرته الدموية هذه إلى ما بعد وفاة النبى «صلى اللّه عليه و آله».

فأغار على قوم الصحابى المعروف مالك بن نويرة، فأمنهم أيضا، وصلوا و إياهم، ثم أخذهم فقتلهم، و قتل مالك بن نويرة، و نزا على امرأته فى نفس تلك الليلة، و جعل رأسه أثفية تحت القدر التى كان يطبخ فيها الطعام.

و تكلم عمر بن الخطاب فى ذلك عند أبى بكر، فلم يسمع منه، و عذر أبو بكر خالدا «۳».

- ص ۱۴۷ و تاريخ أبى الفداء ج ۱ ص ۱۴۵ و أسد الغابة ج ۳ ص ۱۰۲ و عن صحيح البخارى ج ۳ ص ۴۸ و الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ۱ ص ۴۰۷ وضوء النبى «صلى اللّه عليه و آله» ج ۲ ص ۱۷ و المحلى ج ۸ ص ۱۶۶ و الخصال ص ۵۶۳ و المسترشد ص ۴۹۲ و الغدير ج ۷ ص ۱۶۹ و الإمام على «عليه السلام» للرحمانى ص ۶۸۸ و كتاب المنمق ص ۲۱۷ و (ط مؤسسة الأعلمى) ج ۲ ص ۳۴۲ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۵۸ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۹۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۲۰۱.

(۱) تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۳۳ و النص و الإجتهاد للسيد عبد الحسين شرف الدين ص ۴۹۵ عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۱۴ ص ۱۰۰.

(۲) راجع عبقرية عمر للعقاد ص ۲۶۶.

(۳) تاريخ الأمم و الملوك ج ۳ ص ۲۷۸- ۲۷۹ و فى (ط ليدن) ج ۴ ص ۱۴۱، و راجع:

وفيات الأعيان ج ۶ ص ۱۵ و المختصر فى أخبار البشر ج ۱ ص ۱۵۸ و روضة-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۹۴

و قال: تأول فأخطأ .. أو اجتهد فأخطأ ..

و أما بالنسبة لسبب تسمية خالد بسيف اللّه:

فالظاهر: أن منشأها أبو بكر بن أبى قحافة. فإنه حين ألح عليه عمر بن الخطاب بعزل خالد بن الوليد، بسبب قتله مالك بن نويرة، محتجا بأن فى سيفه رهقا ..

قال أبو بكر: لا يا عمر، ما كنت لأشيم سيفا سله اللّه على الكافرين «۱».

و عن سبب هذه التسمية ذكر صاحب البحار: أنه بعد أن قلد أبو بكر الصدقات بقرى المدينة و ضياع فدك رجلا من ثقيف يقال له: الأشجع بن مزاحم الثقفى، و كان له أخ قتله على بن أبى طالب فى وقعة هوازن و ثقيف ..

- المناظر (بهامش الكامل فى التاريخ) ج ۷ ص ۱۶۷ و الكامل فى التاريخ (ط دار صادر) ج ۳ ص ۴۹ و شرح نهج البلاغة للمعتزلى ج ۱ ص ۱۷۹ و الخصال ص ۵۶۳ الإمام على «عليه السلام» لأحمد الرحمانى الهمدانى ص ۶۸۸ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۵۸ و كشف الغمة ج ۱ ص ۲۲۰.

و راجع: المبسوط للسرخسى ص ۹۲ و ج ۲۰ ص ۲۱۴۵ و المحلى لابن حزم ج ۸ ص ۱۶۶ و الخصال ص ۵۶۳ و المسترشد ص ۴۹۲ و ۴۹۳ و شرح الأخبار ج ۱ ص ۳۱۰ و الإحتجاج ج ۱ ص ۱۲۴ و البحار ج ۲۱ ص ۱۴۲ و ج ۳۱ ص ۳۳۰ و النص و الإجتهاد ص ۴۶۱ و الفايق فى غريب الحديث ج ۳ ص ۳۷۹ و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ۱ ص ۵۴۸ و أسد الغابة ج ۲ ص ۹۴ و كتاب المحبر ص ۱۲۴ و السيرة النبوية لابن هشام الحميرى ج ۴ ص ۸۸۴ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۲۰۱ و غريب الحديث لابن قتيبة ج ۱ ص ۳۷۲ و ۳۷۳ و النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ج ۲ ص ۲۷۷ و ج ۵ ص ۲۲۶.

(۱) راجع نفس المصادر السابقة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۹۵

فباغت ضيعة من ضياع أهل البيت «عليهم السلام» يقال لها «بانقيا»، و احتواها، و احتوى صدقات لعلى «عليه السلام»، و تغطرس على أهلها، يريد الثأر لأخيه يوم هوازن، فشكوه لعلى «عليه السلام» ..

ثم ذكر: أن الفضل بن العباس قتله بعد أن قال لعلى «عليه السلام»:

قبحك اللّه و بتر عمرك ...

و لما أراد أصحابه قتل الفضل سل على «عليه السلام» سيفه، فرمى القوم أسلحتهم.

ثم أتوا أبا بكر برأس صاحبهم، فجمع المهاجرين و الأنصار و حرضهم للخروج على على «عليه السلام»، فدارت أعينهم فى وجوههم و أخذتهم سكرة الموت حسب تعبيره ..

قال: فالتفت إليه عمر بن الخطاب، فقال: ليس له إلا خالد بن الوليد.

فالتفت إليه أبو بكر، فقال: يا أبا سليمان، أنت اليوم سيف من سيوف اللّه، و ركن من أركانه، و حتف اللّه على أعدائه، و قد شق على

بن أبى طالب عصا هذه الأمة، و خرج فى نفر من أصحابه إلى ضياع الحجاز، و قد قتل من شيعتنا ليثا صؤولا و كهفا منيعا، فصر إليه فى كثيف من قومك و سله أن يخدل الحضرة، فقد عفونا عنه، فإن نابذك الحرب فجئنا به أسيرا «۱».

و أما الرواية التى تقول: إن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» هو الذى أطلق هذه التسمية عليه، و فى مناسبة حرب مؤتة فهى غير صحيحة، لأن

---

(۱) راجع: البحار ج ۲۹ ص ۴۶- ۵۲ عن إرشاد القلوب للديلمى، و الأنوار العلوية ۳۱۴- ۳۱۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۹۶

خالدا انهزم بالناس فى مؤتة .. فكيف يعطى النبى «صلى اللّه عليه و آله» الأوسمة للمهزوم؟!

و حينما عاد الجيش إلى المدينة جعل الناس يحثون التراب فى وجه ذلك الجيش، و يقولون: يا فرار فى سبيل اللّه ..

و دخل أفراد ذلك الجيش إلى بيوتهم، و لم يعد يمكنهم الخروج منها، لأنهم كلما خرجوا صاح بهم الناس: أفررتم فى سبيل اللّه؟! .. كما تقدم.

على عليه السّلام سيف اللّه المسلول:

غير أن الحقيقة هى: أن هذا اللقب: «سيف اللّه المسلول» هو من مختصات على عليه السلام، و لكنه سرق فى جملة كثيرة من فضائله، و مناقبه عليه السلام، فى غارات شعواء من الشانئين، و الحاقدين، و المبطلين، و المزورين للحقائق ..

و قد روى عن النبى «صلى اللّه عليه و آله»، أنه قال: «على سيف اللّه يسله على الكفار و المنافقين» «۱».

و فى الحديث القدسى، المروى عن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»:

«و أيّدتك بعلى، و هو سيف اللّه على أعدائى» «۲».

و حول تسمية التمر بالصيحانى روى عن جابر: أن سببها هو أنه صاح:

---

(۱) البحار ج ۲۲ ص ۱۹۷ و ج ۴۰ ص ۳۳ عن أمالى الشيخ الطوسى ص ۳۲۲ و (ط دار الثقافة) ص ۵۰۶ و مستدرك سفينة البحار ج ۵ ص ۳۳۴.

(۲) البحار ج ۴۰ ص ۴۳ و الكافى ج ۸ ص ۱۱ و إحقاق الحق ج ۶ ص ۱۵۳ عن در بحر المناقب (مخطوط) ص ۴۳، و راجع ذخائر العقبى ص ۹۲ و المناقب المرتضوية ص ۹۳ و الروضة فى المعجزات و الفضائل ص ۱۲۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۹۷

«هذا محمد رسول اللّه، و هذا على سيف اللّه» «۱».

و قال خالد بن سعيد بن العاص لعمر، فى أحداث غصب الخلافة:

«و فينا ذو الفقار، و سيف اللّه و سيف رسوله» «۲».

و فى زيارة أمير المؤمنين، المروية عن الصادق «عليه السلام»: «و سيف اللّه المسلول» «۳».

و عن النبى «صلى اللّه عليه و آله»: «هذا على بن أبى طالب، هذا سيف

---

(۱) فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب، لسلمان العجيلى المعروف بالجمل (ط القاهرة) ص ۶۲ و فرائد السمطين (ط دار النعمان، النجف) ص ۱۲۰ و نظم درر السمطين ص ۱۲۴ و عن المناوى فى شرح الجامع الصغير، و إحقاق الحق (الملحقات) ج ۱۵

ص ۴۲ و ۵۹ و ج ۲۰ ص ۵۱۸ و ۲۸۳ عن آل محمد للمردى الحنفى، و عن غيره ممن تقدم. و عن فيض القدير ج ۵ ص ۲۹۳ و الأنوار العلوية ص ۱۵۳ و البحار ج ۶۰ ص ۱۴۶ و مستدرك سفينة البحار ج ۶ ص ۳۴ و ج ۱۰ ص ۱۴.

(۲) راجع المصادر التالية: الإحتجاج (ط سنة ۱۳۱۳ ه. ق) ج ۱ ص ۱۹۰ و ۱۹۱ و ۳۰۰ و الصراط المستقيم ج ۲ ص ۸۰ و ۸۲ و قاموس الرجال ج ۳ ص ۴۷۶ و ۴۷۸ و ۴۷۹ و الخصال ج ۲ ص ۴۶۲ و ۴۶۳ و اليقين فى إمرة أمير المؤمنين ص ۱۰۸- ۱۱۰ عن أحمد بن محمد الطبرى، المعروف بالخليلى، و عن محمد بن جرير الطبرى، صاحب التاريخ فى كتابه: مناقب أهل البيت «عليهم السلام» و البحار ج ۲۸ ص ۲۱۰ و ۲۱۱ و ۲۱۴ و ۲۱۹ و رجال البرقى ص ۶۳ و ۶۴.

(۳) مستدرك سفينة البحار ج ۵ ص ۳۲۱ و راجع: المناقب لابن شهر آشوب ج ۳ ص ۷۴ و الفضائل لابن شاذان ص ۷۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۹۸

اللّه المسلول على أعدائه» «۱».

و عن جابر: «على سيف اللّه» «۲».

و عن سلمان عن النبى «صلى اللّه عليه و آله»: «فأنا رسول اللّه، و على سيف اللّه» «۳».

و عنه «صلى اللّه عليه و آله» فى حديث له فى حق على: «و سيف اللّه و سيفى» «۴».

و عن أنس عن النبى «صلى اللّه عليه و آله»: يا معاشر المسلمين، هذا أسد اللّه، و سيفه فى أرضه على أعدائه «۵».

و نجد فى فصل: الحصار و القتال فى غزوة بنى قريظة المزيد من المصادر.

من الذى سمى خالدا بسيف اللّه؟!

فتبين مما تقدم: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» الذى لا ينطق عن الهوى

---

(۱) أرجح المطالب (ط لاهور) ص ۳۸ و مناقب على «عليه السلام» للعينى الحيدر آبادى (ط أعلم بريش، جهار منار) ص ۵۷ و ۳۷.

(۲) نظم درر السمطين للزرندى الحنفى ص ۱۲۴ و فيض القدير فى شرح الجامع الصغير ج ۵ ص ۲۹۳ و ينابيع المودة للقندوزى ج ۱ ص ۴۰۹.

(۳) فرائد السمطين (مطبعة النعمان، النجف) ص ۲۹.

(۴) إحقاق الحق ج ۴ ص ۲۹۷ عن مناقب على بن أبى طالب لابن المغازلى.

(۵) ينابيع المودة (ط إسلامبول) ص ۲۱۳ و راجع: أرجح المطالب (ط لاهور) ص ۱۴ و ۲۹ و إحقاق الحق (الملحقات) ج ۲۰ ص ۲۵۰ عن: آل محمد للمردى الحنفى و ج ۴ ص ۲۲۵ عن عدد من المصادر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۹۹

لا يسمى خالدا بسيف اللّه، ما دام أن سيرته ستكون حافلة بمعاصى اللّه، و التعدى على عباده ..

و إن أبا بكر- فيما يبدو لنا- هو الذى منح خالدا هذا اللقب، و ذلك حين طلب منه عمر أن يجازى خالدا على ما فعله بمالك بن نويرة، فقال له أبو بكر: ما كنت لأشيم سيفا سله اللّه على أعدائه «۱».

ثم جاء عمر بعد ذلك، و أكد على هذا اللقب لخالد، مدّعيا: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» هو الذى منحه إياه، حيث يقول: «و لو أدركت خالدا ثم وليته، ثم قدمت على ربى، فقال لى: من استخلفت على أمة محمد لقلت: سمعت عبدك و خليلك يقول لخالد: سيف من سيوف اللّه، سله اللّه على المشركين» «۲».

ثم عملوا على نسبة هذا الكلام إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» كما قلنا «۳»، مع أن الصحيح هو: أن عليا «عليه السلام» هو

صاحب هذا اللقب.

---

(۱) راجع: الغدير ج ۷ ص ۱۵۸- ۱۶۳ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۵۰۳ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۳۵۹ و أسد الغابة ج ۴ ص ۲۹۵ و تهذيب تاريخ دمشق ج ۵ ص ۱۰۵ و الإصابة ج ۳ ص ۳۵۷ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۲۰۹ و ۲۳۳ و تاريخ أبى الفداء ج ۱ ص ۱۵۸.

(۲) الغدير ج ۱۰ ص ۱۰ و ج ۵ ص ۳۶۲ و ۳۶۳ و عن تاريخ ابن عساكر ج ۵ ص ۱۰۲ و الإمامة و السياسة ج ۱ ص ۲۲ و أعلام النساء ج ۲ ص ۸۷۶.

(۳) تهذيب تاريخ دمشق ج ۵ ص ۱۰۲ و الإمامة و السياسة ج ۱ ص ۲۴ و الإصابة ج ۱ ص ۴۱۴ و الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ۱ ص ۴۰۸ و ۴۰۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۱۰۰

حديث الهزيمة:

و قد صرحت الروايات: بهزيمة جيش مؤتة، و صرح عدد منها بأن خالدا كان هو المنهزم الأول، فلاحظ ما يلى:

۱- قال ابن إسحاق عن خالد: إنه لما أخذ الراية: «دافع القوم، و حاشى بهم، ثم انحاز، و انحيز عنه، و انصرف الناس» «۱».

و هو تعبير خجول عن هزيمة الجيش بقيادة خالد، كما لا يخفى.

۲- و قال الزهرى: «فناوش القوم، و راوغهم، حتى انحاز بالمسلمين منهزما، و نجا بهم من الروم» «۲».

۳- و يقول الواقدى فى بعض كلامه: «ثم دهمه بشر كثير، فانحاش المسلمون، فانكشفوا راجعين» «۳».

۴- و روى ابن كعب بن مالك، عن نفر من قومه: أنه «لما أخذ خالد اللواء انكشف بالناس، فكانت الهزيمة، و قتل المسلمون، و اتبعهم

---

(۱) السيرة النبوية ج ۴ ص ۲۷ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۱ و راجع ص ۱۵۰ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۹ و راجع ص ۶۷ و راجع: ما عن تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۲ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۷۹ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۸۳۴ و ج ۲ ص ۱۶۷ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۶۲.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۵۰ و ۵۱ عن الأمالى للطوسى ص ۸۷ و ۸۸ و بشارة المصطفى ص ۴۳۲.

(۳) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۳ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۲ و البحار ج ۲۱ ص ۶۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۰ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۶۸ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۴ ص ۲۵۳ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲ ص ۱۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۱۰۱

المشركون» «۱».

ثم تذكر الرواية صياح قطبة بن عامر: «فما يثوب إليه أحد، هى الهزيمة، و يتبعون صاحب الراية» «۲».

۵- و قال الحلبى: «ثم أخذه خالد، و مانع القوم، و ثبت، ثم انحاز كل من الفريقين عن الآخر، من غير هزيمة على أحدهما» «۳».

۶- و فى حديث رجل من بنى مرة قال: إنه لما قتل ابن رواحة ..

«فنظرت إلى اللواء فى يد خالد منهزما، و اتبعناه، فكانت الهزيمة» «۴».

۷- و عن عروة بن الزبير: «لما أقبل أهل مؤتة إلى المدينة تلقاهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و المسلمون، و جعل الناس يحثون

على الجيش التراب، و يقولون: يا فرار فررتم فى سبيل اللّه الخ ..» «۵».

۸- و روى نحوه عن أبى سعيد الخدرى «۶».

---

(۱) تاريخ مدينة دمشق ج ۴۹ ص ۳۳۷ و راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۲ ص ۱۲۹.

(۲) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۳ و تاريخ مدينة دمشق ج ۴۹ ص ۳۳۷.

(۳) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۷.

(۴) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۲ و ۷۶۳.

(۵) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۵ و ۱۵۶ و راجع: الطبقات لابن سعد ج ۲ ق ۱ ص ۹۳ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۹ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۲ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۴ و ۷۶۵ و البحار ج ۲۱ ص ۵۷ عن إعلام الورى ص ۱۱۱ و ۱۱۲ و عن تاريخ الأمم و الملوك ج ۳ ص ۴۲.

(۶) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۴ و ۷۶۵ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۷۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۱۰۲

۹- و هذا هو الذى أشار إليه ابن عمر فى حديثه عن فرار الناس فى سرية لم يصرح باسمها، قال: «فحاص الناس فكنت فى من حاص».

ثم ذكر عودتهم إلى المدينة، و قولهم لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: نحن الفرارون «۱».

و قد ذكر الصالحى الشامى و الحلبى و الشافعى هذا الحديث فى سياق سرية مؤتة، فراجع.

۱۰- و قال الواقدى: قال أبو عبد اللّه: «و الأول أثبت عندنا: أن خالدا انهزم بالناس» «۲».

۱۱- و عن داود بن سنان قال: «سمعت ثعلبة بن أبى مالك يقول:

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۷ ص ۱۵۱ و ج ۶ ص ۱۵۶ و فى هامشه: عن أبى داود ج ۲ ص ۵۲ و عن الترمذى ج ۴ ص ۱۸۶ و عن مسند أحمد ج ۲ ص ۱۱۱ و حلية الأولياء ج ۹ ص ۵۷ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۹ ص ۷۸ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۹.

(۲) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۲ و ۷۶۵ و البحار ج ۲۱ ص ۶۲ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۶۸ و راجع: الأحكام ليحيى بن الحسين ج ۲ ص ۵۰۲ و كتاب الأم ج ۴ ص ۱۸۰ و المجموع للنووى ج ۱۹ ص ۲۹۱ و نيل الأوطار ج ۸ ص ۷۹ و المسند للشافعى ج ۱ ص ۲۰۷ و عن مسند أحمد ج ۲ ص ۷۰ و سنن أبى داود ج ۱ ص ۵۹۶ و سنن الترمذى ج ۳ ص ۱۳۰ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۹ ص ۷۷ و ۲۷۶ و مسند أبى يعلى ج ۹ ص ۴۴۷ و المنتقى فى السنن المسندة ص ۲۶۳ و الفايق فى غريب الحديث ج ۱ ص ۲۱۷ و تفسير مجمع البيان ج ۴ ص ۴۴۵ و تفسير الميزان ج ۹ ص ۵۵۸ و الجامع لأحكام القرآن ج ۷ ص ۳۸۳ و تفسير القرآن العظيم ج ۲ ص ۳۰۶ و عن الدر المنثور ج ۳ ص ۱۷۴ و تاريخ مدينة دمشق ج ۵۱ ص ۲۶۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۱۰۳

انكشف خالد بن الوليد يومئذ حتى عيروا بالفرار، و تشاءم الناس به» «۱».

۱۲- و عن خالد بن إلياس، عن أبى بكر بن عبد اللّه بن عتبة، قال: «ما لقى جيش بعثوا معنا ما لقى أصحاب مؤتة من أهل المدينة، لقيهم اهل المدينة بالشر، حتى إن الرجل لينصرف إلى بيته و أهله، فيدق عليهم الباب فيأبون أن يفتحوا له، يقولون: ألا تقدمت مع أصحابك؟!

فأما من كان كبيرا من أصحاب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فجلس فى بيته استحياء، حتى جعل النبى «صلى اللّه عليه و آله» يرسل إليهم رجلا رجلا، يقول: أنتم الكرّار فى سبيل اللّه، فخرجوا» «۲».

۱۳- و عن إسماعيل بن مصعب، عن إبراهيم بن يحيى بن يزيد، قال:

لما أخذ اللواء ثابت بن أرقم، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد.

قال ثابت: اصطلحتم على خالد؟!

قالوا: نعم.

فأخذ خالد فانكشف بالناس «۳».

۱۴- زاد فى نص آخر قوله: و كانت الهزيمة «۴».

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۴ و البحار ج ۲۱ ص ۶۲ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۷۰.

(۲) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۴ و ۷۶۵ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۳ و راجع: البحار ج ۲۱ ص ۶۲ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۷۰.

(۳) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۴ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۷ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۲ و راجع: تاريخ مدينة دمشق ج ۱۱ ص ۱۰۷ و الطبقات الكبرى ج ۴ ص ۲۵۳.

(۴) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۱۰۴

۱۵- يضاف إلى ذلك: ما روى عن أبى هريرة عما لقوه من أهل المدينة، قال: كنا نخرج و نسمع ما نكره من الناس. لقد كان بينى و بين ابن عم لى كلام، فقال: إلا فراركم يوم مؤتة!! فما دريت أى شىء أقوله له «۱».

۱۶- و عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، قال: كان فى ذلك البعث سلمة بن هشام بن المغيرة، فدخلت امرأته على أم سلمة، فسألتها عن سلمة، فأخبرتها: أنه لا يستطيع الخروج، إذا خرج صاحوا به و بأصحابه: يا فرار، أفررتم فى سبيل اللّه؟ حتى قعد فى البيت.

فذكرت أم سلمة ذلك لرسوله اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فقال: بل هم الكرار، فليخرج، فخرج «۲».

۱۷- عن خزيمة بن ثابت: حضرت مؤتة، و برز لى رجل منهم .. (ثم ذكر أنه قتله و سلب منه ياقوتة) إلى أن قال: «فلما انكشفنا رجعنا إلى المدينة، فأتيت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» الخ ..» «۳».

۱۸- و رويت هذه الرواية عن عمارة بن غزية، عن أبيه، فراجع «۴».

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۴ و راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۲ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۷ و المستدرك للحاكم (ط دار المعرفة) ج ۳ ص ۴۲ و راجع: شيخ المضيرة لأبى رية ص ۷۴ عن المستدرك على الصحيحين للحاكم ج ۲ ص ۱۲.

(۲) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۴ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۲ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۳ و عن السيرة النبوية ج ۴ ص ۳۰ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۶.

(۳) راجع: كنز العمال ج ۱۰ ص ۵۵۵ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۲ و ۱۵۶.

(۴) راجع: مغازى الواقدى، و تاريخ مدينة دمشق ج ۱۶ ص ۳۵۹ و قال فى هامشه: كذا-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۱۰۵

رواة حديث الهزيمة:

و قد أظهرت الروايات المتقدمة- رغم أننا لم نستقص النصوص-: أن رواة هزيمة الجيش فى مؤتة كثيرون. و أن طائفة منها قد صرحت: بأن خالدا كان هو المبادر للهزيمة، فتبعه الآخرون ..

و الروايات المتقدمة كلها- باستثناء روايتين أو ثلاث- تدل على هذه الهزيمة الشاملة ..

و الذين ذكرنا رواياتهم آنفا هم: أبو سعيد الخدرى، و أبو هريرة، و ابن إسحاق، و ابن كعب بن مالك عن نفر من قومه، و الواقدى، و الزهرى، و ثعلبة بن أبى مالك، و رجل من بنى مرة، و أبو عامر، و أبو بكر بن عبد اللّه بن عتبة، و إبراهيم بن يحيى بن زيد، و خزيمة بن ثابت، و غزية بن الحارث الأنصارى، و عروة ..

و لا مجال لتأويل هذه النصوص، أو النقاش فيها إلا على سبيل التعسف، و التحكم غير المقبول، و لا المعقول ..

شر ذمة لماذا؟!

و قد اتضح مما ذكرناه: أن وصف من روى حديث فرار الجيش بقيادة خالد: بأنهم «شر ذمة»، و بأن ذلك مجرد احتمال «۱» ما هو إلا تجن على الحقيقة،

- بالأصل و ابن العديم و مختصر ابن منظور ۸/ ۴۵ و قد صححها محقق مغازى الواقدى «عمارة بن غزية» و سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۴۸۶ و قال: هو فى مغازى الواقدى ۲/ ۷۶۹، و قد أخطأ محقق الكتاب مارسدن جونس، فأبدل لفظ «خزيمة» ب «غزية» مع أنه فى الأصل الذى اعتمده «خزيمة على الصواب» على الصواب.

(۱) راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۰ و عن السيرة النبوية ج ۳ ص ۶۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۱۰۶

و مجانبة للإنصاف ..

كما أن ما ذكروه من روايات زعموا أنها تدل على النصر و الفتح، لا تصمد أمام النقد الموضوعى و النزيه، فإن معظمها لا يدل على مطلوبهم، كما اتضح مما سجلناه على رواية جابر و خزيمة، و برذع، و عوف بن مالك، و ابن إسحاق .. و حديث خالد عن نفسه، و حديث قتل ابن رافلة، و حديث أن خالدا سيف اللّه- الذى جاء فى ذيل أخبار النبى «صلى اللّه عليه و آله» عن أمر الشهداء، و حديث عطاف بن خالد، و أبى عامر، و غير ذلك ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۱۰۷

الفصل الرابع: نهايات و نتائج

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۱۰۹

عدد الشهداء دليل هزيمة خالد:

قد تقدم: أن البعض قد زعم: أن قلة عدد الشهداء دليل على انتصار خالد، غير أننا نقول:

إن عكس ذلك هو الصحيح، فإن عدد الشهداء الذين سقطوا فى غزوة مؤتة يدل على أن خالدا لم يحارب، بل أخذ الراية و انهزم بها

..

فإن المفروض: أن القادة الثلاثة، قد سقطوا قبل أخذ خالد للراية، و هم من الفرسان المشهود لهم بالشجاعة، و الفروسية، و لا شك فى أن الأمر لم يقتصر عليهم، بل قتل معهم اناس آخرون.

و بعد أن أخذ الراية خالد، فإذا صح أنه قد حارب، حتى اندقت فى يده تسعة أسياف، و أن عدوهم كان مئتى ألف، بل مئات الألوف، و كان المسلمون ثلاثة آلاف فقط، فلا بد أن نتوقع أن يقتل من المسلمين المئات، و الألوف أيضا، فإن المشركين قتلوا فى أحد عشرات المسلمين، و استشهد فى بدر مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عدد من المسلمين، يضاهى عدد شهداء مؤتة مع أن المشركين كانوا لا يصلون إلى ألف رجل، و كان جيش المسلمين يقارب ثلث عدد المشركين، فكيف حقق خالد ما لم يحققه أبطال الإسلام فى ظل قيادة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»؟!

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۱۰

و إذا كان خالد قد حقق هذا الإنجاز، فلما ذا يطردهم المسلمون، و يعادونهم، و يظلمونهم هذا الظلم الفاحش العجيب؟! ثم يسكت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عن ذلك ..

هذا كله، بالإضافة إلى ما قدمناه من أدلة و شواهد تؤيد هزيمة خالد، بل هى تؤيد أن الذين قتلوا من المسلمين إنما قتلوا فى المبارزات التى جرت قبل استشهاد القادة.

أليس بعد كل هذا الذى ذكرناه هنا و فيما سبق يصبح قول ابن كثير فى البداية و النهاية: من أن قلة عدد الشهداء تشهد لانتصار خالد بمن معه و حصول الفتح على أيديهم مما يضحك الثكلى؟!

المبارزات قللت عدد الشهداء:

و قد جرت مبارزات بين فرسان الجيشين، كما رواه عمارة بن غزية عن أبيه ..

و مبارزة الفرسان أمر يتشوق له الناس فى ساحات القتال، و يعطى للحرب رونقا، و يثير حماس الشجعان، و يدعوهم إلى إظهار فنونهم، و شدتهم، و بطولاتهم.

و لعل هذا يفسر امتداد الحرب فى مؤتة إلى سبعة أيام كما ذكروه «۱»، و ربما يساعد هذا على تفسير قلة الشهداء فى صفوف المسلمين.

فقد ذكروا: أن عددهم هو ثمانية شهداء «۲».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۷ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۱.

(۲) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۹ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۴ و عن السيرة النبوية لابن هشام (ط محمد على صبيح) ج ۳ ص ۸۴۰ البداية و النهاية ج ۴-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۱۱

أو اثنا عشر شهيدا «۱».

أو خمسة عشر شهيدا «۲» على أبعد تقدير.

و هذا يدل: على أن جيش الروم كان يعانى من هزيمة حقيقية فى معنوياته، و أن زمام المبادرة لم يكن فى يد ذلك الجيش فى ساحة المعركة طيلة عدة أيام و إلى آخر ساعاتها أى لحظة قتل القادة الثلاثة، فليس صحيحا: أن القادة قد استشهدوا فى الساعات الأولى من المعركة.

و مما يدل على أن زمام المبادرة فى ساحة القتال كان بيد المسلمين .. ما روى عن ابن عمر: أنه قال أتيته (يعنى جعفرا) بعرق من لحم و هو مستلق آخر النهار، فعرضت عليه فقال: إنى صائم، فضعه عند رأسى، فإن عشت حتى تغرب الشمس أفطرت.

قال: فمات صائما قبل غروب الشمس «۳».

لو كان النصر للروم؟!:

و من الأمور الجديرة بالتأمل: أن هذا الجيش الهائل الذى جمعه الروم، لم

- ص ۲۹۵ عن ابن إسحاق، و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۶۹ عن ابن إسحاق، و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۸۹.

(۱) راجع: السيرة النبوية لابن هشام (ط محمد على صبيح) ج ۳ ص ۸۴۰ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۹۵ عن ابن هشام، و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۶۹ عن ابن هشام أيضا.

(۲) راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۵ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۳۶ و ۳۷.

(۳) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۹ و (ط دار المعرفة) ج ۲ ص ۷۶۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۱۲

يجرؤ على ملاحقة جيش المسلمين حتى حين انسحب من المعركة، مهزوما بفعل خالد بن الوليد ..

و لو كان ذلك الجيش الهائل يرى نفسه منتصرا لحظة استشهاد القادة، أو يحتمل أن بإمكانه أن يكسب لنفسه نصرا لم يتوان عن ملاحقتهم حتى المدينة، لكى يتخلص من هؤلاء الناس الذين تجرؤوا على غزو أمبرطوريتهم فى عقر دارهم و بلادهم، و شاهدوا منهم ما أذهلهم، و طاشت له ألبابهم، طيلة أيام عديدة، و كان ما جرى للقادة الثلاثة هو التتويج لتلك البطولات، الذى وضعهم على عتبة الإنهيار و الاستسلام لو لم يبادر خالد إلى الفرار، و تبعه المسلمون فى ذلك.

نعم، إن اللّه تعالى ألبسهم لباس الذل و الخزى، و ملأ الرعب قلوبهم و هذا هو الذى يصنع النصر كما قال «صلى اللّه عليه و آله»: «نصرت بالرعب». و لم يكن أمامهم أى خيار سوى لملمة جراحهم، و الإنكفاء الذليل، الذى جعلهم يعيشون الحيرة، و ربما الدهشة، و الرضا بالنكسة التى نالتهم.

لقد استبدل خالد النصر الذى كان فى متناول أيدى المسلمين بهزيمة شنعاء، نكراء نشأت عنها متاعب جمة، و تسببت بأن يعود لكيان الأمبرطورية الرومية لاستجماع قواه، و ليلحق الأذى بأهل الإسلام بعد ذلك مرة بعد أخرى.

أثر مؤتة فى فتح مكة:

و لا نستطيع أن نستبعد تأثير ما جرى فى مؤتة التى تمثل هزيمة حقيقية لجيش ملك يهيمن على إحدى الدولتين الأعظم فى العالم .. رغم أن ذلك

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۱۳

الملك و تلك الدولة تعيش عنفوانا قويا بلغ أقصى مداه بانتصاره على مملكة فارس، و لا بد أن تكون آثار هذا النصر بالغة العمق على الدولة الرومية و على ملكها، الذى نذر المشى على لزيارة بيت المقدس، و قد قطع مئات الأميال من أجل الوفاء بنذره هذا.

فما معنى أن تنتصر على هذا الملك و على جيشه العظيم الخارج من نصر غال جدا مجموعة صغيرة من الناس كانت تعيش فى جاهليتها حالة الإنكفاء، و الإنطواء و الإنزواء فى صحراء الجزيرة العربية؟!

و لا بد أن يزيد هذا من ثورة الألم لدى قيصر و جيشه، و هو يرى أن هذه المجموعة الصغيرة تجتاح البلاد التى سيطر عليها عن عمد و قصد، و تصميم، و مبادرة متعمدة، رغم قلة عددها، ثلاث آلاف لتواجه مئات الألوف .. علما بأن مئة ألف من ذلك الجيش الهائل كان من سنخ اولئك المهاجمين، و لا يختلف عنهم كثيرا فى اللغة، و فى الذهنية، و فى التركيبة الإجتماعية، و فى المفاهيم، و فى العادات، و التقاليد، و ما إلى ذلك.

فماذا يمكن لمشركى مكة ان يفعلوا بعد هذا كله .. و بعد أن سحق بغى اليهود، و سقطت جيوش الشرك طعمة لسيوف أهل الإيمان فى المعارك المختلفة، طيلة تلك السنوات التى خلت.

الإخلاص فى العمل أشد من العمل:

و روى عبد الرزاق عن ابن المسيب مرسلا قال: قال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «مثل جعفر، و زيد، و ابن رواحة فى خيمة من در، فرأيت زيدا، و ابن رواحة فى أعناقهما صدودا، و رأيت جعفرا مستقيما ليس فيه

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۱۴

صدود، فسألت، أو قيل لى: إنهما حين غشيهما الموت اعترضا، أو كأنهما صدا بوجهيهما، و أما جعفر فإنه لم يفعل، و إن اللّه تعالى أبدله جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء» «۱».

و روى البخارى و النسائى، عن عامر الشعبى، قال: «كان ابن عمر إذا حيّا عبد اللّه بن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذى الجناحين» «۲».

قال ابن إسحاق: «و لما أصيب القوم قال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»- فيما بلغنى-: «أخذ الراية زيد بن حارثة، فقاتل بها حتى قتل شهيدا».

قال: ثم صمت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» حتى تغيرت وجوه الأنصار، و ظنوا أنه قد كان فى عبد اللّه بن رواحة بعض ما يكرهون، ثم قال: «ثم أخذها عبد اللّه بن رواحة، فقاتل بها حتى قتل شهيدا».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۳ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۸ و ۶۹ و رسائل المرتضى ج ۱ ص ۴۰۶ و المصنف للصنعانى ج ۵ ص ۲۶۶ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۷۳.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۴ عن البخارى ج ۷ ص ۹۴ و ذخائر العقبى ص ۲۱۶ و فضائل الصحابة ص ۱۸ و عن صحيح البخارى (ط دار الفكر) ج ۴ ص ۲۰۹ و ج ۵ ص ۸۷ و المستدرك للحاكم ج ۳ ص ۴۱ و تحفة الأحوذى ج ۱۰ ص ۱۸۳ و السنن الكبرى للنسائى ج ۵ ص ۴۸ و المعجم الكبير ج ۲ ص ۱۰۹ و ج ۱۲ ص ۲۰۴ و كنز العمال ج ۱۳ ص ۴۴۸ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۷ ص ۲۶۲ و أسد الغابة ج ۱ ص ۲۸۹ و تهذيب الكمال ج ۵ ص ۵۵ و سير أعلام النبلاء ج ۱ ص ۲۱۲ و ۲۱۵ و ج ۳ ص ۴۵۹ و تهذيب التهذيب ج ۲ ص ۸۴ و الإصابة ج ۱ ص ۵۹۴ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۸۰ و ۲۹۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۱۵

ثم قال: «لقد رفعوا إلىّ فى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب».

فذكر مثل ما سبق «۱».

و فى نص آخر: لما أصابت الجراحة ابن رواحة نكل، فعاتب نفسه، فشجع، فاستشهد «۲».

التأكيد على عظمة جعفر:

۱- لقد صرحت النصوص المتقدمة بما دل على أن جعفرا كان هو الأفضل و الأكمل، و الأصفى، و الأتم و الأعظم إخلاصا للّه تبارك و تعالى ..

و قد جاهد فى اللّه حق جهاده بخصائصه هذه، التى ميزته حتى عن رفيقيه فى الجهاد، و فى الاستشهاد ..

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۴ عن ابن إسحاق، و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۳ و راجع: البحار ج ۲۱ ص ۵۳ و ۵۴ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۶۰ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۶۹ و كنز العمال ج ۱۰ ص ۳۸۶ و عن أسد الغابة ج ۱ ص ۲۸۸ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۸ ص ۱۲۰ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۸۰ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۸۳۴ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۶۷ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۶۳.

(۲) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۲ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۶۸ و الدرجات الرفيعة ص ۷۶ و الطبقات الكبرى ج ۳ ص ۵۳۰ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲ ص ۱۴ و ج ۱۹ ص ۳۶۹ و ج ۲۸ ص ۱۲۷ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۸۲ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۶۷ الدرجات الرفيعة ص ۷۶ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۳ ص ۵۳۰ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲ ص ۱۴ و ج ۱۹ ص ۳۶۹ و ج ۲۸ ص ۱۲۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۱۱۶

۲- إن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه اللّه لخاصة أوليائه، و الشهادة هى ما بعد ذلك الباب، و لا ينال درجتها إلا من أقدم عليها طائعا مختارا، قاصدا القربة إلى اللّه تعالى .. فمن أجبر عليها حتى قتل كارها لموقفه فهو قتيل، و ليس شهيدا.

۳- إن الإنسان حين يشارك فى أى حرب حقيقية، فإنه يعرض نفسه لخطر محتمل، مع تفاوت درجات قوة هذا الاحتمال لديه، كما أن احتمال السلامة فى أكثر مواقف الجهاد قائم أيضا .. و لكن احتمال الخطر حتى لو كان قويا فهو لا يجوز التخلى عن ساحة القتال بحال من الأحوال.

و أما حين يكون القتل يقينيا، فقد يجب الإصرار على مواجهة الموت، و قد يحرم ذلك فيما لو أوجب ذلك انكسار جيش الإسلام، و ظهور جيش الكفر.

و قد يجب الخروج من ساحة المعركة، إذا كان فى قتل هؤلاء هدر للطاقة، و تجرئة للعدو، و إضعاف لقوة الدين و أهله.

و قد يكون التعرض للقتل راجحا، من دون أن يصل إلى حد الإلزام، كما جرى لرسولى النبى «صلى اللّه عليه و آله» إلى مسيلمة، حيث خيّرهما مسيلمة لعنه اللّه بين القتل، و بين الإقرار بنبوته، فرفض أحدهما فقتل، و قال له الآخر: أنت و محمد رسول اللّه، فقال «صلى اللّه عليه و آله»: أما أحدهما فمضى على يقينه، و أما الآخر فأخذ بالرخصة «۱».

---

(۱) راجع: البحار ج ۲۹ ص ۴۰۵ و التبيان ج ۲ ص ۴۵۳ و مجمع البيان ج ۲ ص ۲۷۴ و النصائح الكافية لابن عقيل ص ۲۲۶ و تفسير القرآن للصنعانى ج ۲ ص ۳۶۲ و ۳۶۳ و النصائح الكافية ص ۲۲۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۱۱۷

و الظاهر من موقف النبى «صلى اللّه عليه و آله» من الفارين فى مؤتة هو وجوب التصدى حتى لو تيقن بعض المقاتلين بالشهادة، لأن هذا هو الذى كان يستحق النصر على جيش الروم، و سيكون نصرا هائلا و عظيما فى آثاره و فى بركاته ..

و ربما يكون من تلك البركات هو انتشار الإسلام فى جميع أنحاء الدولة الرومية، و فى مناطق نفوذها.

۴- إن هذه النصوص و ما يجرى مجراها قد بينت أن على أهل الإيمان أن يحتفظوا بصفاء إيمانهم، و أن يبلغوا فى إيمانهم حدا لا يشعرون معه بأن ثمة بونا أو فجوة فيما بين الأمر الاعتقادى، و بين ما يجرى فى هذه الحياة الدنيا من أحداث .. فلا يظنون أن

الاستشهاد فى ساحات الجهاد، معناه: أن الشهيد قد أودع حفرة، تأكله فيها هوام الأرض، و بقى غيره من بعده يتمتع بالنعم، و يحصل على الأموال و الإمتيازات، و يتقلب فى أحضان الملذات و الشهوات.

و قد أراد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أن يبين هذه الحقيقة للناس من خلال تقديم صورة حية و واقعية لما جرى للشهداء القادة فى مؤتة .. فإن تقديم المفهوم الإيمانى، و غيره، متجسدا فى واقع ينبض بالحياة، يجعله قادرا على اقتحام القلوب و العقول، و احتلال موقعه اللائق به فيها.

و كان المثال الأكثر تأثيرا هو ذلك الذى يأتى فى اللحظة التى يعيش الناس فيها أجواء إثارة و انفعال، توهج عاطفى مرتبط بشهيد اختار طريق الشهادة بوعى، و صلابة، و باندفاع، و إخلاص، و إباء فى أجواء زاخرة بالتحدى الذى يتجاوز التصورات، ليلامس الخيال المغرق فى البعد، حين يواجه ذلك الشهيد مئات الألوف، و يبذل كل ما يملكه غير آسف على

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۱۸

شىء فى هذه الدنيا، و لا يجد فى نفسه عن الموت صدودا، مع أنه يراه بأم عينيه، و لا يرى عنه محيدا.

۵- و أظهرت الملاحظة التى بينها الرسول «صلى اللّه عليه و آله» حول التردد الخفى الذى راود ابن رواحة، و حتى زيدا لتؤكد للناس: أن النية جزء من العمل، و ان تأثير العمل فى تحقيق غايته مرهون بدرجة الخلوص و الإخلاص فيه، كما هو ظاهر.

إمتياز جعفر لقرابته!!

و قد ذكرت الروايات: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قال: رأيت جعفرا ملكا يطير فى الجنة، تدمى قادمتاه، و رأيت زيدا دون ذلك.

فقلت: ما كنت أظن أن زيدا دون جعفر.

فأتى جبرئيل «عليه السلام» و قال: إن زيدا ليس بدون جعفر، و لكنا فضلنا جعفرا لقرابته منك «۱».

و نقول:

أولا- إن ما حصل عليه جعفر «عليه السلام» من امتيازات لم يكن لأجل قرابته من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»- و إن كان للقرابة قيمة من بعض الجهات و لأجل بعض الآثار- و إنما لأنه لم يجد صدودا، و لا إعراضا، و لا ترددا. حين واجه الموت فى سبيل اللّه سبحانه، كما صرحت به الروايات.

ثانيا: قد تقدم فى فصول سابقة من هذا الكتاب و لا سيما فى غزوة خيبر:

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۲ و كنز العمال ج ۱۱ ص ۶۶۵ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۴ ص ۳۸ و تاريخ مدينة دمشق ج ۱۹ ص ۳۶۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۱۹

أن لجعفر «عليه السلام» من الفضل ما لا يدانيه فيه زيد و لا ابن رواحة ..

و من ذلك قوله «صلى اللّه عليه و آله»: خير الناس حمزة، و جعفر و على «۱».

فلماذا نجعل القرابة هى السبب؟!

حرب أخرى فى مؤتة:

قال ابن عائذ: «و قفل المسلمون، فمروا فى طريقهم بقرية لها حصن، كان أهلها قتلوا فى ذهاب المسلمين رجلا- من المسلمين،

فحاصروهم حتى فتحه اللّه عليهم عنوة، و قتل خالد مقاتلتهم» «۲».

و نقول:

إننا نحب أن نسأل:

۱- هل استأذن خالد و من معه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى قتال هذه القرية، و حصارها؟! ثم فى قتل مقاتليها؟!

۲- إن كان أهل تلك القرية قد اعتدوا عليهم، و قتلوا منهم رجلا، فلما ذا لم يقاتلوهم فى ذلك الوقت و بمجرد اعتداءهم عليهم، و قتلهم لذلك الرجل المسلم؟! و لماذا انصرف جعفر و زيد و ابن رواحة عن مطالبتهم بأسباب عدوانهم و لماذا لم يطلب منهم تسليم قاتلى ذلك الرجل؟!

---

(۱) قاموس الرجال ج ۲ ص ۶۰۲ عن مقاتل الطالبيين ص ۳- ۱۰ و البحار ج ۲۱ ص ۶۰ و شجرة طوبى ج ۲ ص ۲۹۷ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۷۲ و الدرجات الرفيعة ص ۷ و شرح إحقاق الحق ج ۱۵ ص ۲۶۱.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۵ و عن فتح البارى ج ۷ ص ۳۹۵ و راجع:

تاريخ مدينة دمشق ج ۲ ص ۱۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۱۲۰

أم يعقل أن تكون مهمتهم حين الذهاب كانت مستعجلة، و لا يجوز فيها التوانى و التأخير، و لو للمطالبة بدم شهيد منهم؟!

۳- كيف تجرأ أهل تلك القرية على النيل من جيش المسلمين الذى سار ذكر انجازاته و بطولاته فى الآفاق، و بعد أن فتح حصون خيبر، و بعد حرب أحد، و بدر، و الخندق، و سواهما؟!

۴- لماذا قتل خالد مقاتلتهم و لم يبقهم أسرى، ليعرض أمرهم على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ليبت هو فى شأنهم؟!.

النبى صلّى اللّه عليه و آله يرى ما جرى فى مؤتة:

و قد صرحت الروايات بأنه «صلى اللّه عليه و آله» قد وصف لأصحابه فى المدينة ما كان يجرى فى مؤتة لحظة وقوعه .. ثم وصف ذلك ليعلى بن أمية، ثم لعبد الرحمن بن سمرة، حتى إنه «صلى اللّه عليه و آله» ما ترك من أمرهم حرفا واحدا لم يذكره.

فقد ذكر الزهرى: أنهم لما عادوا أنفذ خالد رجلا يقال له عبد الرحمن بن سمرة إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» بالخبر، قال عبد الرحمن: فسرت إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله»، فلما وصلت إلى المسجد قال لى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: على رسلك يا عبد الرحمن، ثم قال: أخذ اللواء زيد فقاتل به فقتل الخ .. «۱».

---

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۵۰ و ۵۱ عن أمالى الطوسى ص ۸۷ و ۸۸ و راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۵۴ عن الحكيم الترمذى فى الثالث و العشرين بعد المئة من فوائده، و مقاتل الطالبيين ص ۷ و الأمالى للطوسى ص ۱۴۱ و كنز العمال ج ۱۰ ص ۳۸۷ و عن الدر المنثور ج ۲ ص ۲۴۵ و بشارة المصطفى ص ۴۳۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۱۲۱

و روى البيهقى عن ابن عقبة، قال: «قدم يعلى بن أمية على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بخبر أهل مؤتة، فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»:

إن شئت أخبرنى، و إن شئت أخبرك بخبرهم.

قال: بل أخبرنى يا رسول اللّه، فأخبره رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» خبرهم كله.

فقال: و الذى بعثك بالحق، ما تركت من حديثهم حرفا واحدا لم تذكره، و إن أمرهم لكما ذكرت.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «إن اللّه عز و جل رفع لى الأرض حتى رأيت معتركهم، و رأيتهم فى المنام على سرر من ذهب، فرأيت فى سرير عبد اللّه بن رواحة ازورارا عن سريرى صاحبيه، فقلت: عم هذا؟.

فقيل لى: مضيا، و تردد بعض التردد، ثم مضى» «۱».

و نقول:

۱- قد يكون النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد أخبر كلا الرجلين يعلى بن أمية، و عبد الرحمن بن سمرة، بما جرى فى مؤتة ..

۲- إن ما ورد فى رواية الزهرى من أن زيدا كان أول من أخذ اللواء لا

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۳ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۴۷ و (ط دار إحياء التراث العربى) ص ۲۸۰ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۶۰ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۸ و ۶۹ و راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۳ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۶۹ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۸ ص ۱۲۱ و أسد الغابة ج ۳ ص ۱۵۹ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۸۳۴ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۶۸ و السيرة النبوية ج ۳ ص ۴۶۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۲۲

يصح .. بل كان جعفر بن أبى طالب هو الأول كما تقدم.

۳- قد تضافرت الروايات: فى أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد نعى لأهل المدينة القادة الثلاثة و وصف لهم ما جرى قبل وصول الخبر إليهم «۱»، لأن اللّه تعالى قد رفع له الأرض حتى رأى معتركهم كما فى حديث يعلى بن أمية ..

و عن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: بينا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى المسجد إذ خفض له كل رفيع، و رفع له كل خفيض حتى نظر إلى جعفر «عليه السلام» و هو يقاتل الكفار، فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: قتل جعفر. و أخذه المغص «۲».

---

(۱) إعلام الورى ص ۱۱۱ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ۱ ص ۲۱۳ عن صحيح البخارى، و البحار ج ۲۱ ص ۵۶ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۴ ص ۷۰ و ج ۸ ص ۱۵۴ و عن مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۷۷ و عن ذخائر العقبى ص ۲۱۸ و عن صحيح البخارى (ط دار الفكر) ج ۴ ص ۱۸۴ و السنن الكبرى للنسائى ج ۱ ص ۶۱۶ و ج ۴ ص ۲۶ و المعجم الكبير ج ۲ ص ۲۰۵ و دلائل النبوة للأصبهانى ص ۹۰ و راجع: شرح الأخبار ج ۳ ص ۲۰۶ و الغدير ج ۶ ص ۱۶۲ و مسند أبى يعلى ج ۷ ص ۲۰۵ و كنز العمال ج ۱۰ ص ۵۶۲ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۴ ص ۳۹ و الكامل لابن عدى ج ۲ ص ۲۷۶ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲ ص ۱۸ و ج ۱۶ ص ۲۳۷ و ج ۲۸ ص ۱۲۷ و تهذيب الكمال ج ۱۴ ص ۵۰۸ و عن البداية و النهاية (و ط دار إحياء التراث) ج ۴ ص ۲۸۱ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۶۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۳.

(۲) الكافى ج ۸ ص ۳۰۸ الحديث رقم ۵۶۵ و (ط دار الكتب الإسلامية) ص ۳۷۶ و البحار ج ۲۱ ص ۵۸ و شرح أصول الكافى ج ۱۲ ص ۵۳۸ و الأنوار العلوية ص ۱۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۲۳

و الذى نريد أن نقرره هنا: هو أن رؤية النبى «صلى اللّه عليه و آله» لأهل مؤتة، و رفع كل خفيض، و خفض كل رفيع من الأرض له ليس بالأمر الخارج عن سياق الحركة الطبيعية بالنسبة إليه «صلى اللّه عليه و آله» ..

بل هو جار وفق ما رسمه اللّه تعالى لنبيه «صلى اللّه عليه و آله» من وظائف، و قرره من مهمات، و هيأ له كافة القدرات و الوسائل التى تمنحه القدره على إنجازها .. فإن مقام الشاهدية على الأمة و على الأنبياء السابقين «عليهم السلام» الذى نطق به القرآن و هو من شؤون

النبوة الخاتمة يقضى بتحقق هذا الشهود النبوى المباشر لما جرى فى مؤتة ..

فأما شاهديته على هذه الأمة فقد أشير إليه فى قوله تعالى: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً، وَ داعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِراجاً مُنِيراً «۱».

و قال سبحانه: إنا أرسلناك شاهدا و مبشرا و نذيرا «۲».

و عن شاهديته «صلى اللّه عليه و آله» على الأنبياء «عليهم السلام» قال تعالى: فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً «۳».

و قال سبحانه: وَ يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ جِئْنا بِكَ شَهِيداً عَلى هؤُلاءِ «۴».

و هذه الشاهدية تعنى رؤية «صلى اللّه عليه و آله» بأعمال العباد، و بكل ما يقع فى دائرة مسؤولياته، على مستوى الحضور و الشهود و قد يسرها اللّه

---

(۱) الآية ۴۵ و ۴۶ من سورة الأحزاب.

(۲) الآية ۸ من سورة الفتح.

(۳) الآية ۴۱ من سورة النساء.

(۴) الآية ۸۹ من سورة النحل.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۲۴

له حين جعله يرى من خلفه، و تنام عيناه و لا ينام قلبه، إذ لولا ذلك لم يتمكن من الشهادة على الناس فى حال نومه، أو حين يكونون خلف ظهره.

و لا بد أن يكون من وسائل ذلك أيضا: أن يرفع له الخفيض من الأرض، و يخفض الرفيع، بمعنى أن لا تمنعه الحواجز من مشاهدة أعمالهم، و أن يتمكن من رؤية نواياهم، و يطّلع على حالاتهم النفسية، فيرى الحب و البغض، و الغبطة و الحسد، و الفرح و الحزن، و ما إلى ذلك، و أن يكون مجهزا بما يمكنه من الإحاطة بذلك كله بالنسبة إلى الأمة بأسرها، حتى بعد استشهاده «صلى اللّه عليه و آله».

بل لا بد أن يكون له درجة أو نوع من الحضور و الشهود بالنسبة للأنبياء السابقين «عليهم السلام»، ليتمكن من أن يشهد على أعمالهم فى يوم القيامة، وفق ما دلت عليه الآيات المشار إليها ..

و هذا معناه: أن له حياة من نوع ما، حتى فى تلك الأحقاب و الأزمان، يمكن أن يصدق معها قوله «صلى اللّه عليه و آله»: أو «كنت نبيا (أو نبئت) و آدم بين الروح و الجسد» «۱».

---

(۱) الإحتجاج ج ۲ ص ۲۴۸ و الفضائل لابن شاذان ص ۳۴ و البحار ج ۱۵ ص ۳۵۳ و ج ۵۰ ص ۸۲ و الغدير ج ۷ ص ۳۸ و ج ۹ ص ۲۸۷ و مسند أحمد ج ۴ ص ۶۶ و ج ۵ ص ۵۹ و ۳۷۹ و سنن الترمذى ج ۵ ص ۲۴۵ و مستدرك الحاكم ج ۲ ص ۶۰۹ و مجمع الزوائد ج ۸ ص ۲۲۳ و تحفة الأحوذى ج ۷ ص ۱۱۱ و ج ۱۰ ص ۵۶ و المصنف لابن أبى شيبة ج ۸ ص ۴۳۸ و الآحاد و المثانى ج ۵ ص ۳۴۷ و كتاب السنة لابن أبى عاصم ص ۱۷۹ و المعجم الأوسط ج ۴ ص ۲۷۲ و المعجم الكبير ج ۱۲ ص ۷۳ و ج ۲۰ ص ۳۵۳ و الجامع الصغير ج ۲ ص ۲۹۶ و كنز-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۲۵

۴- و آخر ما نحب الإشارة إليه هنا: هو أن النبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله» كان يريد أن يحفظ إيمان الناس، و أن يربط على

قلوبهم، و يقوى من عزيمتهم من خلال ربطهم بالغيب، و إفهامهم أنهم فى موضع رعايـة اللّه، و فى محل عنايته .. و أن تضـييع النصـر الأكبر على يد خالد لا يعنى أن يهيمن عليهم الشـعور بالخيبة، و أن يستسلموا لمشاعر الفشل. فإن اللّه الذى يرفع كل وضيع، و يخفض كل رفيع من الأرض لنبيه «صلى اللّه عليه و آله»

- العمال ج ۱۱ ص ۴۰۹ و ۴۵۰ و تذكرة الموضوعات للفتنى ص ۸۶ و كشف الخفاء ج ۲ ص ۱۲۹ و خلاصة عبقات الأنوار ج ۹ ص ۲۶۴ عن ابن سعد، و مستدرك سفينة البحار ج ۲ ص ۳۹۲ و ۵۲۲ عن كتاب النكاح، و عن فيض القدير ج ۵ ص ۶۹ و عن الدر المنثور ج ۵ ص ۱۸۴ و فتح القدير ج ۴ ص ۲۶۷ و الطبقات الكبرى ج ۱ ص ۱۴۸ و ج ۷ ص ۵۹ و التاريخ الكبير للبخارى ج ۷ ص ۲۷۴ و ضعفاء العقيلى ج ۴ ص ۳۰۰ و الكامل لابن عدى ج ۴ ص ۱۶۹ و ج ۷ ص ۳۷ و عن أسد الغابة ج ۳ ص ۱۳۲ و ج ۴ ص ۴۲۶ و ج ۵ ص ۳۷۷ و تهذيب الكمال ج ۱۴ ص ۳۶۰ و سير أعلام النبلاء ج ۷ ص ۳۸۴ و ج ۱۱ ص ۱۱۰ و ج ۱۳ ص ۴۵۱ و من له رواية فى مسند أحمد ص ۴۲۸ و تهذيب التهذيب ج ۵ ص ۱۴۸ و عن الإصابة ج ۶ ص ۱۸۱ و المنتخب من ذيل المذيل ص ۶۶ و تاريخ جرجان ص ۳۹۲ و ذكر أخبار إصبهان ج ۲ ص ۲۲۶ و عن البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۷۵ و ۲۷۶ و ص ۳۹۲ و عن الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ۱ ص ۱۶۶ و عن عيون الأثر ج ۱ ص ۱۱۰ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۱ ص ۲۸۸ و ۲۸۹ و ۳۱۷ و ۳۱۸ و دفع الشبه عن الرسول ص ۱۲۰ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱ ص ۷۹ و ۸۱ و ۸۳ و ج ۲ ص ۲۳۹ و عن ينابيع المودة ج ۱ ص ۴۵ و ج ۲ ص ۹۹ و ۲۶۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۲۶

قادر على إسقاط جبروت الملوك، و تحطيم كبريائهم الظالم ..

يا فرّار!!:

و على كل حال، فإن الهاربين بقيادة خالد حين اقتربوا من المدينة لقيهم الصبيان يشتدون، و رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» مقبل مع القوم على دابة، فقال: خذوا الصبيان فاحملوهم، و اعطونى ابن جعفر، فإتى بعبد اللّه بن جعفر، فأخذه فحمله بين يديه «۱».

و روى إسحاق، عن عروة، قال: لما أقبل أصحاب مؤتة، تلقاهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و المسلمون معه «۲».

قال: و جعل الناس يحثون على الجيش التراب، و يقولون: يا فرار، فررتم فى سبيل اللّه!!

قال: فيقول رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «ليسوا بالفرّار و لكنهم

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۹ و عن تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۳ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۸۳ و ۲۸۹ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۸۳۶ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۶۹ و ۴۷۹.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۵ و ۱۵۶ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۹ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۲ و البحار ج ۲۱ ص ۵۴ و عن تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۳ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۸۳ و ۲۸۹ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۶۹ و ۴۷۸ و إعلام الورى ص ۱۱۱ و ۱۱۲ و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج ۱ ص ۲۱۵ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۸۳۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۲۷

الكرّار إن شاء اللّه تعالى» «۱».

و روى نحو ذلك: عن أبى سعيد الخدرى «۲».

و روى أحمد، و أبو داود، و ابن ماجة عن عبد اللّه بن عمر قال: «كنت فى سرية من سرايا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فحاص

الناس و كنت فيمن حاص «۳».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۵ و ۱۵۶ و الطبقات لابن سعد ج ۲ ق ۱ ص ۹۳ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۹ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۲ و البحار ج ۲۱ ص ۵۷ عن إعلام الورى ص ۱۱۱ و ۱۱۲ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ۱ ص ۲۱۵ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۴ و ۷۶۵ و عن تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۳ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۸۳ و ۲۸۹ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۶۹ و ۴۷۹ و عن مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۷۷ و البحار ج ۲۱ ص ۵۷ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۸۳۶.

(۲) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۴ و ۷۶۵.

(۳) كتاب الأم للشافعى ج ۴ ص ۱۸۰ و المجموع للنووى ج ۱۹ ص ۲۹۱ و نيل الأوطار ج ۸ ص ۷۹ و المسند للشافعى ص ۲۰۷ و عن مسند احمد ج ۲ ص ۷۰ و سنن أبى داود ج ۱ ص ۵۹۶ و سنن الترمذى ج ۳ ص ۱۳۰ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۹ ص ۷۶ و تحفة الأحوذى ج ۵ ص ۳۰۹ و المصنف لابن أبى شيبة ج ۷ ص ۷۳۳ و الأدب المفرد ص ۲۰۹ و مسند أبى يعلى ج ۱۰ ص ۱۲۸ و المنتقى من السنن المسندة ص ۲۶۳ و تفسير الميزان ج ۹ ص ۵۸ و عن تفسير القرآن العظيم ج ۲ ص ۳۰۶ و عن الدر المنثور ج ۳ ص ۱۷۴ و فتح القدير ج ۲ ص ۲۹۵ و تاريخ مدينة دمشق ج ۵۱ ص ۲۶۶ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۸۳ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۷۰ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱ ص ۴۹۶ و ج ۶ ص ۱۵۶ و ج ۷ ص ۱۵۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۲۸

و فى رواية: فلما لقينا العدو فى أول غادية، فأردنا أن نركب البحر، فقلنا: كيف نصنع و قد فررنا من الزحف؟

ثم قلنا: لو دخلنا المدينة (قتلنا)، فقدمنا المدينة فى نفر ليلا، فاختفينا.

ثم قلنا: لو عرضنا أنفسنا على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فاعتذرنا إليه، فإن كانت لنا توبة و إلا ذهبنا.

فأتيناه قبل صلاة الغداة، فخرج فقال: «من القوم»؟

قلنا: نحن الفرارون.

قال: «بل أنتم الكرارون، و أنا فئتكم ..».

أو قال: «و أنا فئة كل مسلم».

قال: فقبلنا يده «۱».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۷ ص ۱۵۱ و ج ۶ ص ۱۵۶ و قال فى هامشه: أخرجه أبو داود ج ۲ ص ۵۲ ح ۲۶۴۷ و الترمذى ج ۴ ص ۱۸۶ ح ۱۷۱۶ و أحمد فى المسند ج ۲ ص ۱۱۱ و البيهقى فى السنن ج ۹ ص ۷۸ و أبو نعيم فى الحلية ج ۹ ص ۵۷ و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۹ و راجع: الأحكام ليحيى بن الحسين ج ۲ ص ۵۰۲ و المجموع للنووى ج ۱۹ ص ۲۹۱ و نيل الأوطار ج ۸ ص ۷۹ و ۸۰ و فقه السنة ج ۲ ص ۶۵۳ و عن مسند أحمد ج ۲ ص ۷۰ و ۱۱۱ و سنن أبى داود ج ۱ ص ۵۹۶ و سنن الترمذى ج ۳ ص ۱۳۰ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۹ ص ۷۶ و ۷۷ و تفة الأحوذى ج ۷ ص ۴۳۷ و المصنف لابن أبى شيبة ج ۷ ص ۷۳۳ و الأدب المفرد للبخارى ص ۲۰۹ و تفسير مجمع البيان ج ۹ ص ۵۸ و الجامع لأحكام القرآن ج ۷ ص ۳۸۳ و عن تفسير القرآن العظيم ج ۲ ص ۳۰۶ و عن الدر المنثور ج ۳ ص ۱۷۴ و فتح القدير ج ۲ ص ۲۹۶ و تاريخ مدينة دمشق ج ۵۱ ص ۲۶۶ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۸۴ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۷۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۲۹

حدثنى داود بن سنان قال: سمعت ثعلبة بن أبى مالك يقول: انكشف خالد بن الوليد يومئذ، حتى عيروا بالفرار، و تشاءم الناس به «۱».

قال الواقدى أيضا: حدثنى خالد بن إلياس، عن أبى بكر بن عبد اللّه بن عتبة، يقول: ما لقى جيش بعثوا معنا ما لقى أصحاب مؤتة من أهل المدينة، لقيهم أهل المدينة بالشر، حتى إن الرجل لينصرف إلى بيته و أهله، فيدق عليهم الباب، فيأبون أن يفتحوا له، يقولون: ألا تقدمت مع أصحابك؟

فأما من كان كبيرا من أصحاب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فجلس فى بيته استحياء، حتى جعل النبى «صلى اللّه عليه و آله» يرسل إليهم رجلا رجلا، يقول: أنتم الكرار فى سبيل اللّه! فخرجوا «۲».

حدثنى مصعب بن ثابت، عن عامر بن عبد اللّه بن الزبير، عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، قال:

كان فى ذلك البعث سلمة بن هشام بن المغيرة، فدخلت امرأته على أم سلمة زوج النبى «صلى اللّه عليه و آله» فقالت أم سلمة: ما لى لا أرى سلمة بن هشام؟ أشتكى شيئا؟

قالت امرأته: لا و اللّه، و لكنه لا يستطيع الخروج. إذا خرج صاحوا به و بأصحابه: «يا فرار، أفررتم فى سبيل اللّه؟ حتى قعد فى البيت.

فذكرت ذلك أم سلمة لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فقال رسول

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۴ و البحار ج ۲۱ ص ۶۲ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۷۰. الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ۲۰ ۱۲۹ يا فرار!!: ..... ص : ۱۲۶

(۲) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۴ و ۷۶۵ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۳ و البحار ج ۲۱ ص ۵۹ و شرح النهج ج ۱۵ ص ۷۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۳۰

اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، بل هم الكرار فى سبيل اللّه، فليخرج! فخرج «۱».

حدثنى خالد بن إلياس، عن الأعرج، عن أبى هريرة، قال: كنا نخرج و نسمع ما نكره من الناس، لقد كان بينى و بين ابن عم لى كلام، فقال: إلا فرارك يوم مؤتة! فما دريت أى شىء أقوله له.

الرسول صلّى اللّه عليه و آله: رؤوف رحيم:

و نقول تعليقا على ما تقدم:

لقد عرف الناس كلهم هذا النبى الكريم «صلى اللّه عليه و آله» بالرحمة و الرأفة بالمؤمنين، و بمناهضة التعدى و الظلم، من أى إنسان على أى كان من الناس ..

و قد نوه القرآن الكريم بهذه الخصال فيه، و مدحه عليها، بل أظهر بما لا يقبل الشك أنها متجذرة فى أعماق أعماقه، حتى ليكاد يظن بعض الناس من ذوى الأفهام القاصرة: أنها قد تجاوزت حدود ما هو مطلوب ..

قال تعالى: فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ «۲».

---

(۱) عن السيرة النبوية ج ۴ ص ۳۰ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۳ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۴ و راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۶ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۲ و عن أسد الغابة ج ۵ ص ۶۲۵ و عن الإصابة ج ۳ ص ۱۳۱ و عن تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۲۳ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۸۴ و عن السيرة النبوية لابن هشام ص ۸۳۶ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۷۱.

(۲) الآية ۵۹ من سورة آل عمران.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۳۱

و قال سبحانه: لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ «۱».

غير أننا نلاحظ: أن أهل المدينة يخرجون لاستقبال الجيش العائد، بقيادة خالد، ثم يحثون التراب فى وجه العائدين، و يصيحون فى وجوههم:

يا فرار، فررتم فى سبيل اللّه .. و رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» حاضر و ناظر، لا يلوم أحدا على فعله، و لا يظهر تغيظا، و لا يعاقب، و لا يطالب ..

مع أنه نصير كل مظلوم، و إنما يكتفى بالتفوه بكلمات يسيرة على سبيل تطييب الخاطر، و السعى لإعادة المعنويات المنهارة ..

بل إن هؤلاء العائدين بالفشل لا يجرؤون على شكوى أحد من الناس الذين يواجهونهم بالتأنيب و اللوم إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، بل يكتفون بالاختباء فى بيوتهم، رغم أنهم لم يقترفوا ذنبا، و لا ارتكبوا خطيئة، لا عند الشرع، و لا بنظر العرف.

كما أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» نفسه لا يسأل عن أحد منهم، و لا يتساءل عن سبب غيبتهم عن جماعته، و عن مجلسه، و عن جميع المنتديات و المجالس.

و يتأكد مضمون هذا السؤال إذا لاحظنا أن المختبئين فى البيوت هم أصحاب الشأن، و الأعيان منهم، حسبما صرحت به الروايات ..

هل ظلم الفارون؟!

و إنما قلنا: أنهم لم يرتكبوا ذنبا بنظر الشرع، لأن الفقهاء قد ذكروا: أنه

---

(۱) الآية ۱۲۸ من سورة التوبة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۳۲

يجوز الهرب فى الجهاد فى أحوال ثلاثة:

الأولى: أن يزيد عدد الكفار على ضعف عدد المسلمين، و الدليل على الجواز:

۱- قوله تعالى: الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَ عَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ «۱».

۲- ما رواه العامة عن ابن عباس، قال: «من فر من اثنين فقد فر، و من فر من ثلاثة فما فر» «۲».

۳- ما روى من طريق الخاصة: عن الصادق «عليه السلام»: «من فر من رجلين فى القتال من الزحف فقد فر، و من فر من ثلاثة فى القتال من الزحف فلم يفر» «۳».

---

(۱) الآية ۶۶ من سورة الأنفال.

(۲) سنن البيهقى ج ۹ ص ۷۶ و الحاوى الكبير ج ۱۴ ص ۱۸۲ و المغنى ج ۱۰ ص ۵۴۳ و العزيز شرح الوجيز ج ۱۱ ص ۴۰۵ و منهى المطلب (ط ق) ج ۲ ص ۹۰۷ و تذكرة الفقهاء (ط ق) ج ۲ ص ۴۱۱ و (ط ج) ج ۹ ص ۵۸ و المجموع للنووى ج ۱۹ ص ۲۹۱ و المغنى لابن قدامة ج ۱۰ ص ۵۵۱ و الشرح الكبير ج ۱۰ ص ۳۸۶ و كشف القناع ج ۳ ص ۵۰ و نيل الأوطار ج ۸ ص ۸۰ و المعجم الكبير ج ۱۱ ص ۷۷ و كنز العمال ج ۴ ص ۴۳۳ و عن أحكام القرآن للجصاص ج ۲ ص ۶۱۲ و عن الدر المنثور ج ۳ ص ۱۷۴.

(۳) الكافى ج ۵ ص ۳۴ ح ۱ و التهذيب ج ۶ ص ۱۷۴ و منتهى المطلب (ط ق) ج ۲ ص ۹۰۷ و تذكرة الفقهاء (ط ق) ج ۱ ص ۴۱۱ و (ط ج) ج ۹ ص ۵۸ و دعائم-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۳۳

الحالة الثانية: أن يترك القتال، و لكن لا بنية الهرب، بل لأجل أن ينصرف ليمكن فى موضع، ثم يهجم.

الحالة الثالثة: أن يتحيز إلى فئة، و هو: أن ينصرف على قصد أن يذهب إلى طائفة ليستنجد بها فى القتال «۱».

و على هذا فإنه إذا كان عدد الفارين ثلاثة آلاف، و الجيش الذى يواجههم يعد بمئات الألوف، فلما ذا يلامون على الفرار؟ و لماذا يطردون؟

و لماذا يعيرون؟! و لماذا؟! و لماذا؟!

التخفيف و التلطيف:

و أما قوله «صلى اللّه عليه و آله» للذين اعترفوا أمامه بالفرار من الزحف: «بل أنتم الكرارون، و أنا فئتكم، أو قال: و أنا فئة كل مسلم» فأراد «صلى اللّه عليه و آله» به أن يؤيد اعترافهم بالفرار، ثم يخفف من وطأة ذلك على نفوسهم حين يقرر أن فرارهم يدخل فى سياق التحيز إلى فئة، و بذلك

- الإسلام ج ۱ ص ۳۷۰ و مستدرك الوسائل ج ۱۱ ص ۶۹ و مختلف الشيعة ج ۴ ص ۳۸۹ و إيضاح الفوائد ج ۱ ص ۳۵۶ و مسالك الأفهام ج ۳ ص ۲۵ و جواهر الكلام ج ۲۱ ص ۵۸ و الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ۱۵ ص ۸۴ و (ط دار الإسلامية) ج ۱۱ ص ۶۳ و البحار ج ۹۴ ص ۳۴ و تفسير العياشى ج ۲ ص ۳۱۳ و التفسير الأصفى ج ۱ ص ۴۴۷ و نور الثقلين ج ۲ ص ۱۳۹ و ۱۶۶.

(۱) راجع ما تقدم فى تذكرة الفقهاء للعلامة الحلى (ط ق) ج ۱ ص ۴۱۱ و (ط ج) ج ۹ ص ۶۱ و جواهر الكلام ج ۲۱ ص ۵۸ و المهذب لابن البراج ج ۱ ص ۳۰۴ و جامع المقاصد ج ۳ ص ۳۸۲ و التحفة السنية (مخطوط) للجزائرى ص ۱۹۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۳۴

يكون قد خفف عنهم بعض الألم الذى كان يعتصر قلوبهم ..

و بتعبير آخر أوضح و أصرح:

إنه «صلى اللّه عليه و آله» إنما قال ذلك لهم على سبيل التشبيه و التنزيل و المجاز، لا على سبيل الحقيقة، إذ ليس فى ظاهر حالهم حين فرارهم ما يدل على أنهم كانوا يقصدون بهذا الفرار التحيز إلى فئة. بل كان همهم النجاة بأنفسهم و حسب.

و لكن النبى «صلى اللّه عليه و آله»- كما قلنا- قد أراد معالجة سلبيات الهزيمة بهذا النحو من التخفيف و التلطيف، و اعتبارهم كأنهم قد تحيزوا إلى فئة، حتى قال لهم: و أنا فئتكم.

و لو كان كلامه «صلى اللّه عليه و آله» جار على سبيل الحقيقة، لم يحتج إلى بيان من هو الفئة لهم ..

لو دخلنا المدينة قتلنا!!

و الأمر الأكثر إثارة، و الأشد غرابة و الأوضح دلالة، أن يبلغ الخوف بالفارين من الزحف حدا يجعلهم يصرحون بأنهم لو دخلوا المدينة قتلوا ..

فإن هذا الخوف لا يكون لمجرد تحيزهم إلى فئة، بل هو فرارهم من الزحف ..

إن لم نقل: إن ذلك قد يثير احتمال ظهور تواطؤ أو خيانة منهم اكتشفها المسلمون، فأثارت لدى مرتكبيها احتمالات القتل ..

و يتأكد هذا الذى ذكرناه مع علم الجميع: بأن الفرار من وجه جيش يزيدهم عشرات الأضعاف، لا يوجب للفارين أية مجازاة أو

عقوبة. أو لوم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۳۵

الحر تكفيه الإشارة:

عن الزهرى: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» لما أخبر الناس بقتل القادة الثلاثة «بكى أصحاب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و هم حوله، فقال لهم النبى «صلى اللّه عليه و آله»: «و ما يبكيكم»؟

فقالوا: و ما لنا لا نبكى، و قد ذهب خيارنا و أشرافنا، و أهل الفضل منا؟!

فقال لهم «صلى اللّه عليه و آله»: لا- تبكوا، فإنما مثل أمتى مثل حديقة قام عليها صاحبها، فأصلح رواكبها، و بنى مساكنها، و حلق سعفها، فأطعمت عاما فوجا، ثم عاما فوجا، ثم عاما فوجا.

فلعل آخرها طعما أن يكون أجودها قنوانا، و أقومها شمراخا!!

و الذى بعثنى بالحق نبيا، ليجدن عيسى بن مريم فى أمتى خلفا من حواريه» «۱».

و نقول:

إن كلام رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» هنا يكاد يكون صريحا فى أنه يدين ما صدر من الفارين فى مؤتة، فإنه أشار إلى قتل الخيار لا بد أن يعقبه أن تنجب الأمة فوجا آخر من هؤلاء الخيار.

و لعل الفوج الأخير- الذى هو من أنصار المهدى «عليه السلام»- سوف يكون خيرا من حوارى عيسى «عليه السلام» نفسهم .. و سيلمس عيسى «عليه السلام» ذلك حينما يظهر مع الإمام «عليه السلام»، ليقيم

---

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۵۱ و الأمالى للطوسى ص ۸۸ و مقاتل الطالبيين ص ۷ و ۸ و بشارة المصطفى ص ۴۳۲ و كنز العمال ج ۱۲ ص ۱۸۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۳۶

الحجة على النصارى فى أمر بشريته، و تابعيته لوصى محمد «صلى اللّه عليه و آله»، حيث يصلى خلفه، و يكون من أعوانه ..

فيلاحظ: أنه «صلى اللّه عليه و آله» لم يشر بشىء إلى أى نصر أنجزه خالد و من معه، فضلا عن تحقيق ما يستحق أن يسمى فتحا .. بل هو «صلى اللّه عليه و آله» قد قبل بأن المقتولين هم خيار أصحابه، و أشرافهم، و أهل الفضل فيهم .. و لا يرى فى الذين سلموا فى مؤتة خلفا من الذين قتلوا، بل لا بد من انتظار ظهور فوج جديد من الأخيار، و الأشراف، و أهل الفضل.

النصر الضائع:

و نستطيع بعد كل هذا الذى ذكرناه و قررناه، أن نؤكد على أن كل الدلائل تشير إلى أن الفارين كانوا عارفين بعظيم جرمهم، و قبح جنايتهم، كما أن أهل المدينة كانوا عارفين بذلك، و كذلك رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ..

و قد كان واضحا للجميع: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد أرسلهم لإنجاز مهمة كبرى كان يعرف حجمها، و لا بد ان يكون قد رسم لهم معالم حركتهم فيها، و حدد كل تفاصيلها، و لا بد أن يكون عارفا بجموع قيصر و نواياه و خططه، و كيف لا يكون كذلك، و هو قد اثبت أن لديه قدرة فائقة على رصد حركة أعدائه فى مختلف البقاع و الأصقاع مهما اختلفت الفئات و الأنواع.

و كانت هذه المهمة من الخطورة بحيث تستحق أن يضحى من أجلها بمثل جعفر، و زيد، و ابن رواحة، و لعلها كانت ستنتهى

بالانتصار على

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۳۷

جيوش قيصر، و ربما بأسره، و إسلام البلاد التى يحكمها أو كان له نفوذ فيها .. و لعل هذا النصر كان سيتحقق بعد استشهاد القادة بيسر، و لكن الفرار قلب الأمور، فوقع المحذور.

و لذلك لم يتمكن الفارون من تقديم أى عذر أو تأويل، بل ربما كانوا خائفين من وصول الأمور إلى حد اتخاذ القرار بقتلهم.

و لذلك لم يتساهل أهل المدينة معهم، بل حثوا التراب فى وجوههم و طردوهم، و لم يفتحوا لهم أبواب بيوتهم، كما أن النبى الكريم، و الرؤوف الرحيم بالمؤمنين لم يعترض على أحد من أهل المدينة فيما يفعل، و لم يردعهم عن شىء من تصرفاتهم التى تدخل فى سياق الإهانة و التحقير لهذا الجيش ..

و قد قلنا آنفا: أن الفرار من جيش يفوق عدده عدد جيش المسلمين بعشرات الأضعاف ليس جرما و لا حراما ..

و هذا يدلنا: على أن القضية لم تكن قضية فرار و حسب، و إنما هى أدهى و أكبر، و أعظم، و أمر و أخطر، لأنها قضية تضييع أعظم نصر عرفه تاريخ البشرية.

و اقتصر الأمر على مجرد تراجع جيش الروم عن تصميمه بمهاجمة المسلمين فى عمق بلادهم، و فى عقر دارهم، فى المدينة نفسها ..

إذ إننا نرى: أن هرقل بعد أن انتصر على كسرى، طمع بالإستيلاء على الحجاز ليؤكد شوكته، و ليعزز سلطانه ..

فجاء بالجيوش بحجة المشى إلى بيت المقدس وفاء بنذره، فبادر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لمباغتته بخطة تبطل كيده، و تمزق جنده، فضيع ذلك خالد بهزيمته النكراء تلك. و إلا فكيف نفسر وجود هذه الجيوش

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۳۸

الهائلة التى تعد بمئات الألوف فى منطقة الأردن القريبة من الحجاز، بل هى على مشارفه، و قد ظهر مصداق هذا النصر فى الحرب التى لم تسفر رغم امتدادها أياما سوى عن ثمانية، و قيل: اثنى عشر قتيلا على أبعد التقادير.

مع أن العادة تقضى بأن جيشا، قد يصل عدده إلى نصف مليون مقاتل لا يحتاج إلى استئصال ثلاثة آلاف مقاتل إلى أكثر من نهار.

النبى صلّى اللّه عليه و آله .. و عائلة جعفر:

عن أسماء بنت عميس رحمها اللّه قالت: دخل على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يوم أصيب جعفر و أصحابه، فقال: «إيتينى ببنى جعفر».

فأتيته بهم فضمهم، و شمهم، و ذرفت عيناه، فقلت: يا رسول اللّه بأبى أنت و أمى، ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر و أصحابه شئ؟

قال: «نعم أصيبوا هذا اليوم».

قالت: فقمت أصيح. و اجتمع إلىّ النساء «۱».

زاد الواقدى و ابن سعد: فجعل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يقول:

يا أسماء، لا تقولى هجرا، و لا تضربى صدرا.

قالت: فخرج رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» حتى دخل على ابنته فاطمة «عليها السلام» و هى تقول: وا عماه.

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۳ و البحار ج ۷۹ ص ۹۲ و تهذيب الكمال ج ۵ ص ۶۰ و ۶۱ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۸۶ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۷۴ و مسند ابن راهويه ج ۵ ص ۴۱ و المعجم الكبير ج ۲۴ ص ۴۴ و عن أسد الغابة ج ۱ ص ۲۸۹ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۸۳۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۱۳۹

فقال «صلى اللّه عليه و آله»: على مثل جعفر فلتبكى الباكية، ثم قال:

اصنعوا لآل جعفر طعاما، قد شغلوا عن أنفسهم اليوم «۱».

و قال الواقدى: حدثنى محمد بن مسلم، عن يحيى بن أبى يعلى، قال:

سمعت عبد اللّه بن جعفر يقول: أنا أحفظ حين دخل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على أمى، فنعى لها أبى، فأنظر إليه و هو يمسح على رأسى و رأس أخى، و عيناه تهراقان الدموع حتى تقطر لحيته. ثم قال: اللهم إن جعفرا قد قدم إلى أحسن الثواب، فاخلفه فى ذريته بأحسن ما خلفت أحدا من عبادك فى ذريته.

ثم قال: يا أسماء، ألا أبشرك؟

قالت: بلى، بأبى و أمى.

قال: فإن اللّه عز و جل جعل لجعفر جناحين يطير بهما فى الجنة.

قالت: بأبى و أمى يا رسول اللّه، فأعلم الناس ذلك!

فقام رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و أخذ بيدى، يمسح بيده رأسى

---

(۱) راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۵۳ و عن أحمد، و ابن ماجة، و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۶ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۸ و البحار ج ۲۱ ص ۶۳ عن المعتزلى و الطبقات الكبرى ج ۸ ص ۲۸۲ و شرح أصول الكافى ج ۷ ص ۱۹۰ و الإحتجاج ج ۱ ص ۱۷۳ و عن ذخائر العقبى ص ۲۱۸ و النص و الإجتهاد ص ۲۹۶ و المصنف للصنعانى ج ۳ ص ۵۵۰ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۷۱ و الدرجات الرفيعة ص ۷۶ و عن أسد الغابة ج ۱ ص ۲۸۹ و تهذيب الكمال ج ۵ ص ۶۱ و ج ۳۵ ص ۳۷۴ و سير أعلام النبلاء ج ۱ ص ۲۱۱ و أنساب الاشراف ص ۴۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۱۴۰

حتى رقى على المنبر، و أجلسنى أمامه على الدرجة السفلى، و الحزن، يعرف عليه، فتكلم فقال: إن المرء كثير بأخيه و ابن عمه. ألا إن جعفرا قد استشهد، و قد جعل اللّه له جناحين يطير بهما فى الجنة.

ثم نزل «صلى اللّه عليه و آله»، فدخل بيته، و أدخلنى، و أمر بطعام فصنع لأهلى، و أرسل إلى أخى فتغدينا عنده- و اللّه- غداء طيبا مباركا، عمدت سلمى خادمته إلى شعير فطحنته، ثم نسفته، ثم أنضجته، و أدمته بزيت، و جعلت عليه فلفلا. فتغديت أنا و أخى معه، فأقمنا عنده ثلاثة أيام فى بيته، ندور معه كلما صار فى إحدى بيوت نسائه، ثم رجعنا إلى بيتنا، فأتى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بعد ذلك و أنا أساوم بشاة أخ لى، فقال: اللهم بارك فى صفقته.

فقال عبد اللّه: فما بعت شيئا و لا اشتريت إلا بورك فيه «۱».

و عن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» حين جاءته وفاة جعفر بن أبى طالب، و زيد بن حارثة كان إذا دخل بيته كثر بكاؤه عليهما جدا، و يقول: كانا يحدثانى و يؤنسانى، فذهبا جميعا «۲».

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۶ و ۷۶۷ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۸ و البحار ج ۷۹ ص ۹۲ و ج ۲۱ ص ۵۶ و ۵۷ عن إعلام الورى ص ۱۱۱ و ۱۱۲ و مسكّن الفؤاد ص ۶۹ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۷۱ و الدرجات الرفيعة ص ۷۶ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۷ ص ۲۵۷ و كنز العمال ج ۱۳ ص ۴۷۷ و شجرة طوبى ج ۲ ص ۳۰۰.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۵۵ و ج ۷۹ ص ۱۰۴ عن من لا يحضره الفقيه ج ۱ ص ۱۲۷ و منهى المطلب (ط ق) ج ۱ ص ۴۶۶ و تذكرة

الفقهاء (ط ج) ص ۲ ص ۱۱۸-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۴۱

عن خالد بن الوليد قال: لما أصيب زيد بن حارثة أتاه النبى «صلى اللّه عليه و آله»، فجهشت بنت زيد فى وجه رسول اللّه، فبكى «صلى اللّه عليه و آله» حتى انتحب (أى رفع صوته فى البكاء).

فقال له سعد بن عبادة: يا رسول اللّه، ما هذا؟!

قال «صلى اللّه عليه و آله»: هذا شوق الحبيب إلى حبيبه «۱».

و عن الإمام السجاد «عليه السلام»: ما من يوم أشد على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من يوم أحد، قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب، أسد اللّه، و أسد رسوله.

و بعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبى طالب.

ثم قال «عليه السلام»: لا يوم كيوم الحسين، ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل الخ .. «۲».

- و (ط ق) ج ۱ ص ۵۶ و الحدائق الناضرة ج ۴ ص ۱۶۳ و الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ۳ ص ۲۸۰ و (ط دار الإسلامية) ج ۲ ص ۹۲۲ و مسكن الفؤاد للشهيد الثانى ص ۶۹ و نهاية الأحكام ج ۲ ص ۲۸۹ و الذكرى للشهيد الأول ص ۷۰.

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۴ مستدرك الوسائل ج ۲ ص ۴۶۵ و مكارم الأخلاق ص ۲۲ و مسكن الفؤاد للشهيد الثانى ص ۹۶ و البحار ج ۱۶ ص ۲۳۵ و ۲۳۶ و الإخوان لابن أبى الدنيا ص ۱۵۲ و فيض القدير ج ۳ ص ۶۹۵ و الدرجات الرفيعة ص ۴۳۹ و الطبقات الكبرى ج ۳ ص ۴۷ و تاريخ مدينة دمشق ج ۱۹ ص ۳۷۱ و سير أعلام النبلاء ج ۱ ص ۲۳۰.

(۲) أمالى الصدوق ص ۳۷۴ المجلس السبعون و (ط مؤسسة البعثة) ص ۵۴۷-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۴۲

و عن العباس بن موسى بن جعفر قال: سألت أبى «عليه السلام» عن المأتم، فقال: إن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لما انتهى إليه قتل جعفر بن أبى طالب دخل على أسماء بنت عميس امرأة جعفر، فقال: أين بنى؟!

فدعت بهم، و هم ثلاثة: عبد اللّه، و عون، و محمد. فمسح رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» رؤوسهم، فقالت: إنك تمسح رؤوسهم كأنهم أيتام!

فعجب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من عقلها، فقال: يا أسماء، الم تعلمى أن جعفرا رضوان اللّه عليه استشهد؟!

فبكت، فقال لها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: لا تبكى، فإن اللّه أخبرنى أن له جناحين فى الجنة من ياقوت أحمر.

فقالت: يا رسول اللّه، لو جمعت الناس و أخبرتهم بفضل جعفر، لا ينسى فضله.

فعجب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من عقلها.

ثم قال: ابعثوا إلى أهل جعفر طعاما فجرت السنة «۱».

و قالوا أيضا: لما قتل جعفر بمؤتة، أمهل النبى «صلى اللّه عليه و آله» آل جعفر أن يأتيهم ثلاثة أيام، فندبوا.

ثم قال: لا تبكوا على أخى بعد اليوم، و قال: إن له جناحين يطير بهما

- و البحار ج ۲۲ ص ۲۷۴ و ج ۴۴ ص ۲۹۸ و العوالم (الإمام الحسين «عليه السلام») للبحرانى ص ۳۴۸ و ۳۴۹ و مقتل الحسين «عليه السلام» لأبى مخنف ص ۱۷۶ و الأنوار العلوية للنقدى ص ۴۴۲.

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۵۵ و ج ۷۶ ص ۸۳ و المحاسن للبرقى ج ۲ ص ۴۲۰ الحديث رقم ۱۹۴ و راجع: مستدرك الوسائل ج ۲ ص

.۴۷۳

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۴۳

حيث شاء من الجنة «۱».

لا تقولى هجرا، و لا تضربى صدرا:

۱- إن المصائب التى تحل بالناس، و لا سيما فقد الأحبة، قد تخرجهم عن حالة التوازن، فتصدر منهم بعض التصرفات غير المقبولة و لا المعقولة .. فإذا تركوا، فقد يتفاقم الأمر، ليص إلى حد الخروج عن دائرة الشرع و أحكام الدين ..

و لذلك، كان من المستحسن إذا ظهرت بوادر هذا الاختلال، المبادرة إلى وضع حد يمنع من الانسياق مع أجواء الانفعال هذه لتبقى الأمور تحت السيطرة، و فى دائرة الانضباط ..

و الظاهر: أن ما ظهر من أسماء بنت عميس فى حضرة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، حين أخبرها باستشهاد زوجها جعفر بن أبى طالب يدخل فى هذا السياق، فإن صياحها بحضرة الرسول «صلى اللّه عليه و آله»، و اجتماع النساء إليها قد أظهر أنها قد تخرج تحت تأثير الفاجعة عن حدود

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۵ و المجموع للنووى ج ۱ ص ۲۹۶ و الشرح الكبير لابن قدامة ج ۱ ص ۱۰۶ و نيل الأوطار ج ۱ ص ۱۵۵ و ذخائر العقبى ص ۲۱۹ و عن مسند أحمد ج ۱ ص ۲۰۴ و سنن أبى داود ج ۲ ص ۲۸۸ و سنن النسائى ج ۸ ص ۱۸۲ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۵۷ و عن فتح البارى ج ۷ ص ۳۹۴ و السنن الكبرى للنسائى ج ۵ ص ۱۸۰ و ۴۰۷ و رياض الصالحين للنووى ص ۶۴۵ و الطبقات الكبرى ج ۴ ص ۳۷ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۷ ص ۲۵۵ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۸۸ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۷۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۴۴

الاتزان المعقول و المقبول فى كلامها، و فى حركتها الإنفعالية التصعيدية ..

فبادر النبى «صلى اللّه عليه و آله» إلى وضع حد لهذا التصعيد حين جعل يقول لها: لا تقولى هجرا، و لا تضربى صدرا .. مع ملاحظة: أن سياق هذا التعبير يعطى أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد كرر قوله هذا لها.

۲- يضاف إلى ما تقدم: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يعلم: أن الناس يتعاملون مع أقواله، و أفعاله، و كل ما يفعل بحضرته مع سكوته عنه، و قدرته على القبول و الرد .. على أنه مسنون و مشروع ..

فإذا لطمت أسماء صدرها بحضرته، و سكت عنها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» .. فسيفهم الناس أن ذلك مما يشرع أو يسنّ فى الشريعة بالنسبة إلى كل بيت، و قد يدخل ذلك فى صميم عادات الناس و ممارستهم حين يفقدون أحدا من أعزائهم.

مع أن الشهيد الذى يحسن إظهار الجزع فى مأتمه، و يكون لطم الصدور فيه راجحا هو الإمام الحسين «عليه السلام»، لأن فى ذلك قوة للدين، و ترسيخا للإيمان و اليقين .. فلا بد من حفظ الخصوصية له صلوات اللّه و سلامه عليه من أجل ذلك ..

فالنهى عن لطم الصدر هنا لا- يعنى أنه حرام، بل هو هنا لأجل أن لا يستفاد من ذلك مطلوبية هذا الأمر، بالنسبة لكل من مات أو استشهد ..

على مثل جعفر فلتبك البواكى:

۱- ثم إن هناك نوعا من الناس يحمل مزايا فريدة، و يتميز بإنسانية عالية و كاملة و رائدة، و أمثولة للفضيلة حية، فإذا مات أو استشهد فلا بد أن

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۴۵

يبكيه الناس كلهم، لأن فقده يعنيهم كلهم. و خسارة لهم جميعا ..

و قد بين النبى «صلى اللّه عليه و آله» مواصفات هؤلاء الناس من خلال النموذج الذى قدمه لهم على أنه يحمل هذه المزايا و المواصفات، و ذلك حين قال: على مثل جعفر فلتبك البواكى «۱».

فالبكاء على جعفر إنما هو لأجل ما ذكرناه، لا لأنه فى نسبه قريب أو صاحب أو حبيب.

و قد أوضح نص آخر: أن هذه المزايا لا حد لها و لا حصر لها فى شخصية جعفر «عليه السلام».

فقد روى أنه «صلى اللّه عليه و آله» قال لفاطمة «عليها السلام»، حين قتل جعفر بن أبى طالب: لا تدعى بذل، و لا ثكل، و لا حرب. و ما قلت فيه فقد صدقت «۲».

---

(۱) قاموس الرجال ج ۲ ص ۶۰۳ و شرح أصول الكافى للمازندرانى ج ۷ ص ۱۹۰ و عن ذخائر العقبى ص ۲۱۸ و البحار ج ۲۲ ص ۲۷۶ و ج ۲۳ ص ۵۵۶ و النص و الإجتهاد ص ۲۹۶ و عن أسد الغابة ج ۱ ص ۲۸۹ و أنساب الأشراف ص ۴۳ و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۶۵ و ۶۶ و المصنف للصنعانى ج ۳ ص ۵۵۰ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۷۱ و الجامع الصغير ج ۲ ص ۱۵۹ و كنز العمال ج ۱۱ ص ۶۶۰ و عن فيض القدير ج ۴ ص ۴۲۷ و الطبقات الكبرى ج ۸ ص ۲۸۲ و تهذيب الكمال ج ۵ ص ۶۱ و ينابيع المودة ج ۲ ص ۹۶.

(۲) من لا يحضره الفقيه ج ۱ ص ۱۲۶ الحديث رقم ۵۲۱ و البحار ج ۲۱ ص ۵۷ عن إعلام الورى ص ۱۱۱ و ۱۱۲ و من لا يحضره الفقيه ج ۱ ص ۱۷۶ و الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ۳ ص ۲۷۲ و (ط الإسلامية) ج ۲ ص ۹۱۵ و مجمع-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۴۶

فهذه العبارة الأخيرة قد أفسحت المجال لكل قول يبين سجايا جعفر و مزاياه الفاضلة، مهما كان نوع و مستوى ما يقال من تلك السجايا و المزايا.

لأن كل ما يقال فيه من فضل، فهو صدق و حق و عدل ..

و هذه المزايا إذا اجتمعت و تكاملت فى أى كان من الناس، فإنه يصبح مثلا أعلى، و أسوة و قدوة، يحس الناس كلهم بالحاجة إليه، و يكون إلحاق الأذى به بمثابة التعدى عليهم، و إلحاق الأذى بهم كلهم.

فلماذا إذن لا يبكون إذا فقد، و لا يحنون إليه إذا غاب.

۲- و من جهة ثانية إن هذه الكلمة و كذا النصوص المصرحة ببكاء النبى «صلى اللّه عليه و آله» على جعفر «عليه السلام»، و زيد بن حارثة «رحمه اللّه»، قد جاءت لتؤكد على مشروعية البكاء على الميت، بل على مطلوبيته بالنسبة لبعض من يموت أو يستشهد، من الأتقياء الأبرار، و العلماء الأخيار .. فلا يصح ما يزعمونه من المنع عن ذلك، و قد أشرنا إلى هذه الحقيقة فى أكثر من موضع من هذا الكتاب.

مدى حزن النبى صلّى اللّه عليه و آله على جعفر:

و إذا أردنا أن نتصور مدى حزن النبى «صلى اللّه عليه و آله» على جعفر، فعلينا أن نتذكر عودة جعفر من الحبشة، فقد كان سرور النبى «صلى اللّه عليه و آله» بقدومه منها يوازى سروره بفتح اللّه خيبرا على يد أخيه على «عليه السلام»، أو يزيد عليه ..

- البحرين ج ۱ ص ۳۱۷ و منتهى المطلب (ط ق) ج ۱ ص ۴۶۷ و تذكرة الفقهاء (ط ق) ج ۱ ص ۵۵ و (ط ج) ج ۲ ص ۱۱۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۴۷

فإن ذلك يعطى انطباعا عن مستوى، و مقدار حزنه على هذا الرجل الذى أشبه خلقه و خلقه «صلى اللّه عليه و آله»، فإن مقدار الحزن لا بد أن يوازى مقدار السرور هناك ..

و خصوصا إذا كان شرار الخلق قد هتكوا حرمته، حتى قضى شهيدا، و بالأخص بعد قطع يديه، و ما جرى عليه، حتى إن الطعنات التى وجدت فى مقدم جسده باتت تعد بالعشرات حسبما تقدم ..

النبى صلّى اللّه عليه و آله بدون جعفر و على عليهما السّلام:

قال المسعودى: «و كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بعد أن قتل جعفر بن أبى طالب الطيار، بمؤتة من أرض الشام، لا يبعث بعلى فى وجه من الوجوه، إلا و يقول: وَ زَكَرِيَّا إِذْ نادى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِى فَرْداً وَ أَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ «۱»» «۲».

و نقول:

أما بالنسبة لجعفر فقد ذكرنا فى حديثنا عن غزوة خيبر شبهه برسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و ما كان له من قيمة عند اللّه، أما على فقد صرح القرآن الكريم: بأنه «عليه السلام» هو نفس رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، حيث قال فى آية المباهلة:

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ

(۱) الآية ۸۹ من سورة الأنبياء.

(۲) مروج الذهب للمسعودى ج ۲ ص ۴۳۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۴۸

عَلَى الْكاذِبِينَ «۱».

و قد أكد ذلك النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى عشرات النصوص، فى العديد من المناسبات، و ذلك كله يبين: أن فقد النبى «صلى اللّه عليه و آله» لجعفر و لعلى «عليهما السلام» معناه: أن لا يبقى له «صلى اللّه عليه و آله» نظير على وجه الأرض، و لذلك، كان يظهر شعوره بقيمة على «عليه السلام»، و يعتبر أن فقده لعلى «عليه السلام» سيجعله فردا وحيدا فى هذه الحياة، و لا يعود له وارث فى الأرض ..

فكان لا يبعث عليا «عليه السلام» فى وجه من الوجوه إلا و يقول:

وَ زَكَرِيَّا إِذْ نادى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِى فَرْداً وَ أَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ «۲».

حديث عائشة فى بكاء النساء:

و ربما يقال: قد روى فى هذه المناسبة ما يدل على عدم صحة البكاء على الأموات، كما ذكرته عائشة فيما رواه الواقدى عنها، فقد قالت: لما قدم نعى جعفر عرفنا فى وجه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» الحزن.

قالت: قديما ما ضرّ الناس التكلف؛ فأتاه رجل فقال: يا رسول اللّه، إن النساء عنّيننا مما يبكين.

قال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «ارجع إليهن فأسكتهن، فإن أبين فاحث فى أفواههن التراب».

فقلت فى نفسى: أبعدك اللّه! فو اللّه ما تركت نفسك، و ما أنت بمطيع

---

(۱) الآية ۶۱ من سورة آل عمران.

(۲) الآية ۷۸ من سورة الأنبياء.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۴۹

رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

و روى الواقدى أيضا عن عائشة: «أنا أطّلع من صير الباب فأسمع هذا» «۱».

و نقول:

إنه يمكن قبول هذه الرواية، إذا كان ذلك الرجل يريد أن يشتكى من أن بكاء النساء قد تجاوز الحدود المعقولة و صار يوجب إلحاق العناء بالناس، كما صرحت به الرواية.

أو أنه صار كأنه يمثل نوعا من الاعتراض على اللّه سبحانه ..

أو أنه بلغ حدا من شأنه أن يضر بمعنويات المجتمع الإسلامى، و يوهن من عزيمته، و يحد من الإقبال على الجهاد فى سبيل اللّه .. فلا بد من التصدى لهذه المبالغات لتعود الأمور إلى مجراها الطبيعى.

و هذه الاحتمالات معقولة، و مقبولة، و تنسجم مع سائر ما دل على جواز البكاء على الأموات.

غير أن فى النص أمرا آخر، لا بد من الوقوف عنده، و هو أن عائشة تقول: إنها كانت تسمع هذا و هى تطّلع من صير الباب. حيث إننا لا نظن أن يرضى النبى «صلى اللّه عليه و آله» بهذا العمل منها .. و لو أنه رآها تفعل ذلك، أو أن أحدا ذكر له ذلك عنها لزجرها و أنبها، و أعلن عن عدم رضاه

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۶۷ و ۷۶۸ و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۸ و البداية و النهاية لابن كثير ج ۴ ص ۲۸۷ و مسند ابن راهويه ج ۲ ص ۴۱۳ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۸۳۵ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۷۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۵۰

بهذه الجرأة، و بهذا التجسس عليه، الهادف إلى الإطلاع على ما يريد ستره عنها، و هو أمر قد نهى عنه القرآن، و أكدت على رفضه و أدانته كلمات رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى المناسبات المختلفة.

أسماء و تعريف الناس بفضل جعفر:

و قد صرحت الروايات المتقدمة: بأن أسماء قد طلبت من النبى «صلى اللّه عليه و آله»: أن يعلم الناس بما حبا اللّه تعالى به جعفرا «عليه السلام»، فأجاب طلبها رضوان اللّه تعالى عليها، و أخبر الناس من على منبره بذلك.

و نقول:

لقد أظهرت أسماء عقلا راجحا، و اتزانا واضحا، حين طلبت من النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن يذكر للناس فضل جعفر، كما صرحت به الرواية المتقدمة عن الإمام الكاظم «عليه السلام»، لأن هدف أسماء رحمها اللّه تعالى لم يكن هو الفخر، و التباهى أمام الناس بهذا العطاء الإلهى لجعفر «عليه السلام»، لتكون قد استغلت دمه الشريف لأهداف دنيوية، و إثارات فارغة ..

بل كان هدفها:

أولا: أن يستفيد الناس من هذه الأمثولة الرائدة المزيد من الاندفاع للتضحية، و البذل و العطاء فى سبيل اللّه تعالى. و أن يتضاعف حرصهم على نيل المقامات السامية، و الحصول على المزيد من التطهير و التزكية لنفوسهم و قلوبهم.

ثانيا: إنها أرادت أن تبين للناس: أن ما يثيره الحاقدون من أجواء

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۵۱

تشكيكية بفضل جعفر «عليه السلام»، و بهجرته و جهاده، ما هو إلا سموم تنضح من أنياب أفاع يلذ لها أن تنهش بأجساد الأخيار و الأبرار، و ان ما تظهره تلك الأراقم من لين الجانب و نعومة الملمس إنما يخفى و راءه السم الناقع، و الغدر الذميم و البغيض.

و لأجل ذلك استجاب لها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و لم نلاحظ أن لديه أى تحفظ على ما طلبته، و لو أنه شعر بأنها تسعى لنيل شىء من حطام الدنيا، حتى لو كان ذرة من حب التفاخر و التباهى لأظهر لها ذلك، و لكان و عظها و حذّرها، و لرفض طلبها، إذ لا يمكن أن يرضى لنفسه أن يكون له أى أثر فى تمكينها من تحقيق أهداف من هذا القبيل.

و يعزز هذا الذى نقوله: أن أسماء كانت معروفة بالعقل و الإتزان، و بالالتزام و التقوى. و لم يلاحظ أحد على سلوكها و تصرفاتها أنها ممن كان يسعى لا ستجلاب المنافع الدنيوية لنفسها.

بل الظاهر من حالها و حياتها هو: مراعاة أحكام الشرع، و الاهتمام بما يرضى اللّه سبحانه ..

و يدل على ذلك: ما روى من شهادة النبى «صلى اللّه عليه و آله» لها بأنها من أهل الجنة، أو من المؤمنات «۱». و أن نجابة ولدها محمد بن أبى بكر أتت

---

(۱) تنقيح المقال ج ۳ ص ۶۹ و الخصال ص ۳۶۳ و شرح الأخبار للقاضى النعمان ص ۵۷ و البحار ج ۲۲ ص ۱۹۵ و ۲۹۱ و فضائل الصحابة ص ۸۶ و السنن الكبرى ج ۵ ص ۱۰۳ و المعجم الكبير ج ۱۱ ص ۳۲۸ و ج ۲۴ ص ۱۳۲ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۲۶۰ و المستدرك للحاكم ج ۴ ص ۳۲ و الآحاد و المثانى ج ۵ ص ۴۵۶ و الجامع لأحكام القرآن ج ۵ ص ۳۴۶ و كنز العمال ج ۱۲ ص ۱۳۸-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۵۲

من قبلها «۱».

على أن الوقت الذى طلبت فيه أسماء رحمها اللّه من النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن يعرف الناس بفضل جعفر، كان وقت وقوع الصدمة عليها، و هو الوقت الذى تلتهب فيه المشاعر إلى أقصى مدى، فلا يبقى مجال للتفكير فى أمثال هذه القضايا، أو الانسياق و راء هذه الأوهام.

إتخاذ الطعام فى أيام العزاء سنة:

قال السهيلى معلقا على حديث الطعام لأبناء جعفر «عليه السلام»: هو أصل فى طعام التعزية، و يسميه العرب «الوضيمة».

كما تسمى طعام العرس: «الوليمة».

- و تاريخ مدينة دمشق ج ۳ ص ۲۳۴ و أنساب الأشراف ص ۴۴ و عن الإصابة ج ۸ ص ۴۵۰ و الطرائف ص ۲۴۹ و مستدرك سفينة البحار ج ۱ ص ۷۴ و ج ۵ ص ۱۷۷ و معجم رجال الحديث ج ۲۴ ص ۱۹۵ و اللمعة البيضاء للأنصارى ص ۸۳۹ و مواقف الشيعة ج ۲ ص ۴۰۶ و تهذيب الكمال ج ۳۵ ص ۲۹۸ و تهذيب التهذيب ج ۱۲ ص ۳۹۹ و الجامع لأحكام القرآن ج ۵ ص ۳۴۶ و جامع الأحاديث و المراسيل ج ۳ ص ۴۴۳ و الفتح الكبير ج ۱ ص ۵۰۵ و عن الإستيعاب ج ۴ ص ۲۰۱.

(۱) تنقيح المقال ج ۳ ص ۶۹ و الإختصاص (ط مؤسسة النشر الإسلامى) ص ۷۰ و إختيار معرفة الرجال (ط مؤسسة آل البيت) ج ۱ ص ۲۸۱ و البحار ج ۳۳ ص ۵۸۴ و ۵۸۵ و مجمع البحرين ج ۱ ص ۵۷۱ و الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ۲۰ ص ۲۰۹ و الإختصاص ص ۷۰ و مستدرک سفينة البحار ج ۵ ص ۱۷۷ و معجم رجال الحديث ج ۱۵ ص ۲۴۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۵۳

و طعام القادم من السفر: «النقيعة».

و طعام البناء: «الوكيرة» «۱».

و الدليل الصحيح و الأدق فى موضوع طعام التعزية هو ما روى عن الإمام جعفر الصادق «عليه السلام» قال: «لما مات جعفر بن أبى طالب أمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فاطمة «عليها السلام» أن تتخذ طعاما لأسماء بنت عميس، و تأتيها و نساؤها ثلاثة أيام، فجرت بذلك السنة: أن يصنع لأهل الميت ثلاثة أيام طعام» «۲».

زيارة عوائل الشهداء:

و قد أظهرت النصوص المتقدمة: أن سيد الرسل و أفضل الخلق «صلى

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۸

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۵۴ و ۵۵ و ج ۷۶ ص ۷۲ و ۸۲ و ۸۳ عن أمالى الطوسى ص ۵۷ و ۵۸ و عن المحاسن ص ۴۱۹ و عن الكافى (الفروع) ج ۱ ص ۵۹ و الحدائق ج ۴ ص ۱۵۸ و ۱۶۰ و غنائم الأيام ج ۳ ص ۵۶۰ عن: (الكافى ج ۳ ص ۲۱۷ ح ۲۱ و من لا يحضره الفقيه ج ۱ ص ۱۱۶ ح ۵۴۹ و المحاسن ص ۴۱۹ ح ۱۹۱ و الوسائل ج ۲ ص ۸۸۸ أبواب الدفن ب ۶۷).

و راجع: تذكرة الفقهاء (ط ق) ج ۱ ص ۵۷ و نهاية الحكام ج ۲ ص ۲۱۲ و الذكرى ص ۷۰ و الحبل المتين ص ۷۴ و من لا يحضره الفقيه ج ۱ ص ۱۱۲ و ۱۸۲ و الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ۳ ص ۲۳۶ و ج ۲۴ ص ۳۶۴ و (ط دار الإسلامية) ج ۲ ص ۸۸۸ و ج ۱۶ ص ۴۱۲ و أمالى الطوسى (ط دار الثقافة- قم) ص ۶۵۹ و شجرة طوبى ج ۲ ص ۳۰۰ و سنن النبى «صلى اللّه عليه و آله» للطباطبائى ص ۲۵۴ و منتهى الجمان ج ۱ ص ۳۰۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۵۴

اللّه عليه و آله»، الذى كان لا يتعامل مع الأمور بمنطق العشائرية و القبلية، بل بروح رسالية، و توجيه إلهى كان يزور بيوت الشهداء، و يواسى عوائلهم، و يجهش بالبكاء، و يشاركهم فيما يظهرونه من أسى و ألم ..

الأمر الذى يجسد رقته «صلى اللّه عليه و آله» و حنانه، و رأفته، كما أنه يؤكد رعايته، و أبوته لتلك العوائل بصورة عملية و واقعية.

ثم هو يدلل على درجة عالية من الإخاء و المصافاة و الوفاء .. بين الناس و بين موقع القيادة، حتى على مستوى النبوة الخاتمة، حيث إن هذا النبى الكريم و العظيم يعامل من يقر بنبوته، و يتبع رسالته بهذه الروح، بعيدا عن أى حالة تشى بتمييز نفسه عنهم، أو حتى بأية خصوصية له دونهم، فهو فيهم كأحدهم، يفرح لفرحهم، و يحزن لحزنهم، و تندمج روحه بأرواحهم حبا، و يذيبها الحنين إليهم شوقا.

شهداء فى قبر واحد، و إخفاء القبر:

قال ابن عنبة: «دفن جعفر، و زيد بن حارثة، و عبد اللّه بن رواحة فى قبر واحد، و عمى القبر» «۱».

و لم تبذل محاولة حقيقية لتحديد موضع دفنهم رضوان اللّه تعالى عليهم إلا فى العصور المتأخرة ..

و قد كان من الطبيعى: أن يعمّى موضع قبور الشهداء، فإن المنطقة قد بقيت فى يد الأعداء، إلى ظهر الإسلام فيها، و لكن لم يكن هؤلاء

---

(۱) عمدة الطالب ص ۳۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۵۵

المسلمون ممن يهتمون بإظهار أمر آل أبى طالب، بل كان اهتمامهم منصبا على ما يناقض ذلك ..

و قد أخفى قبر على بن أبى طالب «عليه السلام» حوالى مئة سنة إلى أن أظهره الإمام الصادق «عليه السلام» فى عهد المنصور العباسى.

كيف و قد نبش الحجاج ثلاثة آلاف قبر من أجل أن يعثر على جسد على «لكى يحرقه»، و لا يبقى له أثرا، فلم يمكنه اللّه من ذلك «۱».

و قد أخفى قبر زيد بن على، ثم لما عرف صلبوه سنوات، ثم أحرقوه «۲».

و علينا أن لا ننسى قبر الزهراء «عليها السلام» الذى لا يزال مجهولا إلى يومنا هذا.

و لعلها حين ارادت إعلان الاحتجاج على الذين آذوها و ضربوها، و أسقطوا جنينها، و اغتصبوا منها فدكا و سواها ..

أرادت أيضا: أن تحفظ جثمانها الطاهر من أن يتعرض للنبش و الهتك من قبل من حاول نبش قبر ولدها الإمام الحسين «عليه السلام»، و زوجها على، و نبش قبر حفيدها زيد، كما هو ظاهر.

---

(۱) روضات الجنات ج ۲ ص ۵۴ و راجع: تفسير القرآن الكريم (تفسير أبى حمزة الثمالى) ص ۷۵.

(۲) شجرة طوبى ج ۱ ص ۱۴۳ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۳ ص ۱۰۰ و الإيضاح لابن شاذان هامش ص ۳۹۹ و عن الكامل لابن الأثير ج ۵ ص ۹۰ و الكافى ج ۸ ص ۲۵۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۵۷

الفصل الخامس: صورة موهومة لسرية ذات السلاسل

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۵۹

غزوة ذات السلاسل:

قال ابن عقبة، و ابن إسحاق، و ابن سعد، و محمد بن عمر، و اللفظ له:

«بلغ رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أن جمعا من قضاعة يريدون أن يدنوا الى أطراف مدينة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فدعا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عمرو بن العاص بعد إسلامه بسنة».

و عند ابن إسحاق: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بعث عمروا يستنفر العرب إلى الشام، فعقد له لواء أبيض، و جعل معه راية سوداء، و بعثه فى ثلاثمائة من سراة المهاجرين، (منهم: عامر بن ربيعة، و صهيب، و سعيد بن زيد، و سعد بن أبى وقاص) و الأنصار، (منهم: أسيد بن حضير، و عباد بن بشر، و سلمة بن سلامة، و سعد بن عبادة) و أمره أن يستعين بمن مرّ به من العرب: من بلى، و عذرة، و بلقين.

و ذلك أن عمروا كان ذا رحم فيهم، كانت أم العاص بن وائل بلوية، فأراد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أن يتألفهم بعمرو «۱».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۶۷ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۷۰ و راجع:

السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۰ و عن زاد المعاد ج ۱ ص ۱۱۱۸ و ۱۱۳۹ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۶۷ و عن فتح البارى ج ۸ ص ۵۹ و الطبقات الكبرى-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص: ۱۶۰

و فى حديث بريدة عند إسحاق بن راهويه: أن أبا بكر قال: «إن عمروا لم يستعمله رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إلا لعلمه بالحرب». انتهى.

و كان معه ثلاثون فرسا، فكان يكمن النهار و يسير الليل، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام، يقال له: السلاسل- و يقال: السلسل، و بذلك سميت الغزوة ذات السلاسل- (و قيل: سميت بذلك لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض، مخافة أن يفروا) «۱». بلغه أن لهم جمعا كثيرا، فبعث عمرو رافع بن مكيث الجهنى إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يخبره أن لهم جمعا كثيرا و يستمده.

فبعث رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أبا عبيدة بن الجراح، و عقد له لواء، و بعث معه سراة المهاجرين، كأبى بكر و عمر بن الخطاب، و عدة من الأنصار. و أمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أبا عبيدة أن يلحق بعمرو بن العاص، و أن يكونا جميعا و لا يختلفا.

و كان أبو عبيدة فى مائتى رجل حتى لحق بعمرو. فلما قدموا أراد أبو عبيدة أن يؤم الناس، فقال عمرو: «إنما قدمت علىّ مددا لى، و ليس لك أن تؤمنى و أنا الأمير».

فقال المهاجرون: «كلا بل أنت أمير أصحابك و هو أمير أصحابه».

- ج ۲ ص ۱۳۱ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲ ص ۲۲ و تاريخ المدينة لابن أبى شبة ج ۱ ص ۳۰۱ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۷۱ و عمدة القارى ج ۱۸ ص ۱۲.

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۵ و عن فتح البارى ج ۸ ص ۵۸ و تاريخ المدينة لابن أبى شبة ج ۱ ص ۳۰۲ و سبل الهدى ج ۶ ص ۱۷۲ و عمدة القارى ج ۱۸ ص ۱۲ و ج ۱۶ ص ۷۰ و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ۳ ص ۱۹۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص: ۱۶۱

فقال عمرو: «لا، أنتم مدد لنا».

فلما رأى أبو عبيدة الاختلاف، و كان رجلا لينا حسن الخلق سهلا، هينا عليه أمر الدنيا، يسعى لأمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و عهده، قال: «يا عمرو، تعلمن أن آخر شىء عهد إلىّ رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أن قال: «إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا و لا تختلفا. و إنك و اللّه إن عصيتنى لأطيعنك».

و أطاع أبو عبيدة عمروا. فكان عمرو يصلى بالناس.

و قال عمرو: «فإنى الأمير عليك و أنت مددى».

قال: «فدونك» «۱».

و عن الشعبى مرسلا قال: «انطلق المغيرة بن شعبة إلى أبى عبيدة فقال:

إن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قد استعملك علينا، و إن ابن فلان قد اتبع أمير القوم، فليس لك معه أمر».

فقال أبو عبيدة: «إن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أمرنا أن نتطاوع، فأنا أطيع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و إن عصاه عمرو».

فأطاع أبو عبيدة عمروا، فكان عمرو يصلى بالناس، و صار معه خمسمائة.

فسار حتى نزل قريبا منهم، و هم شاتون. فجمع أصحابه الحطب

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۶۷ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۷۰ و ۷۷۱ و راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۵ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۰ و ۱۹۱ و راجع: تاريخ مدينة دمشق ج ۲ ص ۲۲ و ۲۵ و ۲۶ و ج ۲۵ ص ۴۴۹ و عن الإصابة ج ۳ ص ۴۷۷ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۱۲ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۱۶ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۱۹۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۶۲

يريدون أن يوقدوا نارا ليصطلوا عليها من البرد، فمنعهم، فشق عليهم ذلك، حتى كلمه فى ذلك بعض المهاجرين، فغالظه.

فقال له عمرو: «قد أمرت أن تسمع لى».

قال: نعم.

قال: فافعل «۱».

و روى ابن حبان، و الطبرانى برجال الصحيح، عن عمرو بن العاص:

أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بعثه فى غزوة ذات السلاسل، فسأله أصحابه: أن يوقدوا نارا، فمنعهم. فكلموا أبا بكر، فكلمه، فقال: «لا يوقد أحد منهم نارا إلا قذفته فيها» «۲».

و روى الحاكم «۳» عن بريدة قال: «بعث رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عمرو بن العاص فى سرية فيهم أبو بكر، و عمر بن الخطاب، فلما انتهوا إلى مكان الحرب أمرهم عمرو ألا يوقدوا نارا، فغضب عمر بن الخطاب، و همّ أن يأتيه، فنهاه أبو بكر، و أخبره أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لم

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۶۸ عن أحمد و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۷۰ و ۷۷۱ و راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۵ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲ ص ۲۲.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۶۸ و فى هامشه: عن الهيثمى فى المجمع ج ۵ ص ۳۲۳، و قال: رواه الطبرانى بإسنادين، و رجال الأول رجال الصحيح.

و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۱ و صحيح ابن حبان ج ۱۰ ص ۴۰۴ و موارد الظمآن ص ۴۰۰ تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۷۵.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۶۸ و فى هامشه قال: أخرجه الحاكم ج ۳ ص ۴۲ فى كتاب المغازى و قال: هذا الحديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه و أقره الذهبى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۶۳

يستعمله إلا لعلمه بالحرب. فهدأ عنه «۱».

و فى حديث بريدة: أن عمر أراد أن يكلم عمروا لما منع الناس أن يوقدوا نارا.

و فى حديث عمرو: أن أبا بكر كلم عمروا فى ذلك.

و يجمع بين الحديثين: بأن أبا بكر سلم لعمرو أمره، و منع عمر بن الخطاب من كلامه، فلما ألح الناس على أبى بكر فى سؤاله سأله حينئذ فلم يجبه. و يحتمل أن منع أبى بكر لعمر بن الخطاب كان بعد سؤال أبى بكر لعمرو «۲».

و روى ابن حبان، و الطبرانى عن عمرو بن العاص: أن الجيش لما رجعوا ذكروا لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» منعى لهم من إيقاد النار، و من اتباعهم العدو، فقلت: يا رسول اللّه، إنى كرهت أن يوقدوا نارا فيرى عدوهم قلتهم، و كرهت أن يتبعوهم، فيكون لهم

مدد، فيعطفوا عليهم.

فحمد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أمره «۳».

فسار عمرو الليل، و كمن النهار، حتى و طئ بلاد العدو و دوخها

---

(۱) و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۷۰ و ۷۷۱ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۱ و عن فتح البارى ج ۸ ص ۵۹ و النص و الإجتهاد ص ۳۳۷ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۹ ص ۴۱ و تاريخ مدينة دمشق ج ۴۶ ص ۱۴۶.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۷۳ و عن فتح البارى ج ۸ ص ۵۹

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۷۱ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۱ و عن فتح البارى ج ۸ ص ۵۹ و صحيح ابن حبان ج ۱۰ ص ۴۰۴ و موارد الظمآن ص ۴۰۰ و كنز العمال ج ۱۲ ص ۵۰۱ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲ ص ۲۷ و ج ۴۶ ص ۱۴۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۶۴

كلها، حتى انتهى إلى موضع بلغه أنه قد كان به جمع، فلما سمعوا به تفرقوا.

فسار حتى إذا انتهى إلى أقصى بلادهم، و لقى فى آخر ذلك جمعا ليسوا بالكثير، فاقتتلوا ساعة، و حمل المسلمون عليهم فهزموهم، و تفرقوا (و رمى يومئذ عامر بن ربيعة بسهم، فأصيب ذراعه).

و دوخ عمرو ما هنالك، و أقام أياما لا يسمع لهم بجمع و لا مكان صاروا فيه [إلا قاتلهم].

و كان يبعث أصحاب الخيل فيأتون بالشاء و النعم، فكانوا ينحرون و يأكلون، و لم يكن أكثر من ذلك، لم يكن فى ذلك غنائم تقسم. كذا قال جماعة «۱».

قال البلاذرى: فلقى العدو من قضاعة، و عاملة، و لخم، و جذام- و كانوا مجتمعين- ففضهم، و قتل منهم مقتلة عظيمة، و غنم.

و روى ابن حبان، و الطبرانى، عن عمرو: أنهم لقوا العدو، فأراد المسلمون أن يتبعوهم فمنعهم.

و بعث عمرو عوف بن مالك الأشجعى بشيرا إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بقفولهم و سلامتهم، و ما كان فى غزاتهم «۲».

---

(۱) راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۶۸ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲ ص ۲۳ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۱۲ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۱۷ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۷۱ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۱۳۱.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۶۸ و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۷۰ و ۷۷۱ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۱۳۱ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۷۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۶۵

و نقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات، نجملها فى ما يلى من مطالب:

تاريخ غزوة ذات السلاسل:

قالوا: إن غزوة ذات السلاسل كانت فى جمادى الآخرة سنة ثمان «۱».

و قيل: كانت سنة سبع، و به جزم ابن أبى خالد فى صحيح التاريخ «۲».

و نقل ابن عساكر الاتفاق: على أنها كانت بعد غزوة مؤتة إلا أن ابن إسحاق قال قبلها «۳».

و الظاهر: أن ذلك فى غير رواية زياد البكائى، التى نقلها ابن هشام فى

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۶۷ و ۱۷۲ عن ابن سعد، و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۵ و المجموع ج ۲ ص ۲۸۴ و نيل الأوطار ج ۱ ص ۳۲۴ و مستدرک سفينة البحار ج ۷ ص ۵۷۶ و الديباج على مسلم ج ۵ ص ۳۷۳ و تاج العروس ج ۷ ص ۳۸۰ و عون المعبود ج ۱ ص ۳۶۵ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۱۳۱ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۷۱ و القاموس المحيط ج ۳ ص ۳۹۷.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۷۲ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۵ و النص و الإجتهاد ص ۳۳۶ عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۲۷۲ و ۲۷۴ و عن الكامل لابن الأثير ج ۲ ص ۱۵۶ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۰ و راجع: معجم قبائل العرب ج ۳ ص ۹۷۴ و عن فتح البارى ج ۸ ص ۵۸.

(۳) راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۵ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۷۲ و قد نقل هذا الإتفاق عن ابن عسكر النووى فى تهذيبه، و ابن حجر فى فتح البارى، و راجع: تاريخ مدينة دمشق ج ۲ ص ۲۱ و شرح مسلم للنووى ج ۱۵ ص ۱۵۳ و عن فتح البارى ج ۸ ص ۵۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۱۶۶

تهذيبه .. أما رواية زياد فذكرت ذات السلاسل بعد غزوة مؤتة «۱».

مقصد السرية:

هل المقصود بذات السلاسل، ماء وراء ذات القرى، و ذلك من المدينة على عشرة أيام؟ أو هو موضع بناحية الشام فى أرض بنى عذرة.

و فى سيرة ابن هشام: ماء بأرض جذام؟ «۲».

سراة المهاجرين و الأنصار مع عمرو:

و قد زعموا: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد بعث عمروا فى سراة المهاجرين و الأنصار، ثم ذكروا بعض أسماء هؤلاء. ثم لما استمد عمرو النبى «صلى اللّه عليه و آله» بعث أبا عبيدة مددا له، و معه سراة المهاجرين، و عدة من الأنصار «۳».

(۱) راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۷۲ عن تهذيب ابن هشام.

(۲) راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۵ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۷۲ و ۱۶۸ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۷۰ و المجموع ج ۲ ص ۲۸۴ و مستدرک سفينة البحار ج ۵ ص ۹۶ و شرح مسلم للنووى ج ۱۵ ص ۱۵۳ و عن عون المعبود ج ۱ ص ۳۶۴ و معجم البلدان ج ۳ ص ۲۳۳ و ۲۳۶ و عن البداية و النهاية ج ۵ ص ۲۳۸ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۷۱ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۴ ص ۴۳۵ و النهاية فى غريب الحديث ج ۲ ص ۳۸۹ و عن فتح البارى ج ۸ ص ۵۸ و عون المعبود ج ۱ ص ۳۶۴ و لسان العرب ج ۱۱ ص ۳۴۵ و تارج العروس ج ۷ ص ۳۸۰.

(۳) تقدم مصادر ذلك.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۱۶۷

و نقول:

۱- إن ظاهر عباراتهم أن الثلاث مئة كانوا جميعا من سراة المهاجرين و الأنصار ..

و لا ندرى إن كان فى المهاجرين و الأنصار هذا المقدار من السراة؟! و إن كان ذلك فيهم، فهل كانوا جميعا يستطيعون المشاركة فى الحرب؟!

۲- لماذا تخيّر النبى «صلى اللّه عليه و آله» خصوص السراة ليرسلهم مع عمرو؟! ..

مع أننا لم نجده قد فعل مثل ذلك مع غيره فى أية غزوة أخرى، لا قبل ذلك و لا بعده.

۳- إن الذين عدوّهم من السراة، و الذين كانوا مع عمرو أيضا إنما كانوا باستثناء سعد بن عبادة من الذين يدورون فى فلك غاصبى الخلافة بعد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، أو من أقرب أعوانهم على هذا الأمر، أو من مؤيديهم فيه ..

أما سعد بن عبادة، فإن سعيه للاستئثار بهذا الأمر لنفسه .. يجعله فى الجهة المناوئة لعلى «عليه السلام»، فهم يقدرون له موقفه هذا، و إن كانوا يكرهونه لأجل أنه لم يسلم بالخلافة لأبى بكر، بل نافسه فيها، و نابذه، و لم يبايعه حتى اغتاله خالد بن الوليد بالشام .. ثم زعموا: أن الجن قتلته «۱».

---

(۱) راجع: الغدير ج ۷ ص ۱۵۰ و ج ۹ ص ۳۷۹ و طرائف المقال للبروجوردى ج ۲ ص ۸۶ عن البلاذرى فى تاريخه، و حياة الإمام الحسين «عليه السلام» للقرشى ج ۱ ص ۲۳۸ و مكاتيب الرسول ج ۳ ص ۳۲۱ و حاشية رد المحتار ج ۱ ص ۳۷۱ و معجم رجال الحديث ج ۹ ص ۷۶ و إكمال الكمال ج ۳ ص ۱۴۱ و تاريخ مدينة-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۶۸

۴- إن اللافت: أنهم حين ذكروا الذين كانوا مع أبى عبيدة قالوا:

«بعث معه سراة المهاجرين، كأبى بكر، و عمر بن الخطاب، و عدة من الأنصار» كما تقدم .. فالسراة حسب تعبيرهم هذا هم فى المهاجرين فقط ..

مثل أبى بكر و عمر .. أما الأنصار فلا سراة فيهم، و لذلك جاء التعبير ليقول: «و عدة من الأنصار»، فهل السبب فى هذه المفارقة: أنه لم يكن فى هؤلاء الأنصار من كان يظهر النصرة و التأييد و الحماس لهم، و لمشروعهم الرامى إلى غصب الخلافة من صاحبها الشرعى؟!

لا ندرى!! و لعل الفطن الذكى يدرى!!

علم عمرو بن العاص بالحرب:

و قد ذكروا: أن أبا بكر قال: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» لم يستعمل عمروا إلا لعلمه بالحرب.

و نقول:

۱- إننا لم نعرف عن عمرو علما يذكر له بالحرب سوى أنه كان إذا دهمه أمر لا يقدر على دفعه، اتقاه بعورته، كما صنع فى صفين، فإنه خلّص نفسه من سيف على «عليه السلام» بأن كشف عن عورته، فأعرض عنه

- دمشق ج ۲۰ ص ۲۴۳ و تهذيب التهذيب ج ۳ ص ۴۱۲ و العبر و ديوان لمبتدأ و الخبر ج ۲ ق ۲ ص ۶۴ و مجمع الزوائد ج ۱ ص ۲۰۶ و بغية الباحث ص ۳۸ و المعجم الكبير ج ۶ ص ۱۶ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۰ ص ۱۱۱ و عن أسد الغابة ج ۲ ص ۲۸۴ و البحار ج ۶ ص ۲۹۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۶۹

على، فنجا عمرو بنفسه «۱».

كما أنه لم يظهر منه فى غزوة ذات السلاسل ما يدل على هذه المعرفة، و لا على الشجاعة التى تحتاجها الحروب، بل ظهر منه خلافها.

و سنرى أنه لا صحة لما يدّعونه له من إنجازات فيها. و ليس له فى عهد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أثر آخر يستحق الذكر فى حروبه فى صفوف المسلمين. كما أنه لم يظهر له ما يشير إلى شيء من ذلك، حين كان يقاتل فى صفوف المشركين ..

۳- إذا كان علم عمرو بن العاص بالحرب هو السبب فى تأمير النبى «صلى اللّه عليه و آله» له على السرية، فلما ذا لم يؤمر من هم أعرف منه بأمر الحرب، و أظهر شجاعة، و أكثر مراسا؟!

و لا نريد أن نذكر: المقداد، و أبا دجانة و أمثالهما، بل نريد أن نخص بالذكر من يحبونهم .. و ينسبون لهم البطولات فى المواقف المختلفة، مثل الزبير، و خالد، و محمد بن مسلمة و سواهم، ممن يزعمون: أن لهم سوابق مشهورة و مشهودة، و آثار محمودة فى هذا السبيل ..

۴- من أين علم أبو بكر: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد ولى عمروا هذه السرية لعلمه بالحرب .. فلعله و لاه تألفا له؟! بل لعله و لاه ليفضح أمره فيما يدّعيه لنفسه من بطولات، أو من إخلاص يدّعى أنه قد بلغ فيه حدا يجعله على استعداد للتضحية بكل غال و نفيس فى سبيل هذا الدين؟!

---

(۱) الغدير ج ۲ ص ۱۶۱ و البحار ج ۳۲ ص ۵۱۲ و ۵۸۵ و صفين للمنقرى ص ۴۰۷ و كتاب سليم بن قيس (بتحقيق المحمودى) ص ۳۳۹ و شرح النهج للمعتزلى ج ۸ ص ۶۰ و الأخبار الطوال للدينورى ص ۱۷۷ و المناقب للخوارزمى ص ۲۳۶ و عن مناقب آل أبى طالب ج ۲ ص ۳۶۰ و الصراط المستقيم ج ۳ ص ۵۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۷۰

فجاءت هذه القضية لتفضحه، و لتكون بمثابة تحذير للناس من أن يخدعوا بكلامه، و يصدقوه فيما يحاول أن يدلسه عليهم.

ورطة تأمير عمرو على الشيخين:

قال الصالحى الشامى:

«ليس فى تأمير رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عمروا على أبى بكر و عمر تفضيله عليهما، بل السبب فى ذلك معرفته بالحرب، كما ذكر ذلك أبو بكر لعمر، كما فى حديث بريدة، فإن عمروا كان أحد دهاة العرب، و كون العرب الذين أمره رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أن يستعين بهم أخوال أبيه، كما ذكر فى القصة، فهم أقرب إجابة إليه من غيره».

و روى البيهقى، عن أبى معشر، عن بعض شيوخه: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قال: «إنى لأؤمر الرجل على القوم، و فيهم من هو خير منه؛ لأنه أيقظ عينا، و أبصر بالحرب» «۱».

و عن أبى عثمان النهدى قال: سمعت عمرو بن العاص يقول: بعثنى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على جيش ذى السلاسل، و فى القوم أبو بكر، و عمر، فحدثت نفسى أنه لم يبعثنى على أبى بكر و عمر إلا لمنزلة عنده.

قال: فأتيته حتى قعدت بين يديه، و قلت: يا رسول اللّه من أحب الناس؟

قال: «عائشة».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۷۲ و فى هامشه عن دلائل النبوة للبيهقى ج ۴ ص ۴۰۰ و راجع: كنز العمال ج ۶ ص ۷۸ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲ ص ۲۴ و ج ۴۶ ص ۱۴۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۷۱

قلت: إنى لست أ سألك عن أهلك.

قال: «فأبوها».

قلت: ثم من؟

قال: «عمر».

قلت: ثم من؟ حتى عد رهطا.

قلت فى نفسى: لا أعود أسأل عن هذا،

و فى رواية الشيخين: فسكتّ مخافة أن يجعلنى فى آخرهم «۱».

و نقول:

۱- قد اتضح: أن المشكلة عند هؤلاء هو أن يتأمر عمرو بن العاص على أبى بكر و عمر، فلا بد من إيجاد مخرج من هذه الورطة، التى ربما تلقى بظلال غير مرغوب فيها على الهالة التى ينسجونها حول الشيخين، و ما لهما من مقام عند اللّه و رسوله، و ما لهما من ميزات و فضل فى أنفسهما.

۲- لقد أكد الحاجة إلى هذا المخرج ما يعرفونه فى عمرو بن العاص- و هو من دهاة العرب- من قدرة على الاستفادة من هذا الأمر فى خدمة طموحاته و رغباته .. و ربما يكون غضب عمر السريع، و بلا مبرر ظاهر، فى قضية المنع من إيقاد النار حتى احتاج إلى تهدئة إبى بكر،- إن غضبه هذا-

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۷۱ و قال فى هامشه: أخرجه البخارى ج ۵ ص ۶ و مسلم، كتاب الفضائل، و أحمد فى المسند ج ۴ ص ۲۰۴ و السنن الكبرى ج ۶ ص ۱۷۰ و راجع: تاريخ مدينة دمشق ج ۴۴ ص ۲۲۰ و ج ۴۶ ص ۲۴۷ و عن فتح البارى ج ۷ ص ۱۹ و تحفة الأحوذى ج ۱۰ ص ۲۶۰ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۱۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۷۲

قد جاء قبل أن يظهر له المخرج المناسب من هذه الورطة، فلما أظهره أبو بكر له هدأ!!

و لو صحت قصة أبى عثمان النهدى (المحرفة) فإنها تكون شاهدا على هذا أيضا.

و قد جاء هذا المخرج على لسان أبى بكر تارة، ثم جاء منسوبا إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» تارة أخرى ..

و ملخصه: أن الأمارة فى السرايا لا تخضع لعنوان الفضل و المقام و الكرامة عند اللّه تعالى.

بل ليس ميزانها هو الشجاعة و الإقدام أيضا، و إنما ميزانها العلم و البصر بالحرب، و يقظة العين.

و لا مانع من التنازل عن هذه الأمور، مع الاحتفاظ بعناوين الأفضلية فى سائر الجهات، التى يريدون تسويقها، لكى ترشّح أبا بكر و عمر لمقام الخلافة بعد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

و لذلك هدأ عمر عند ما وجد لدى أبى بكر الرد الكافى، و الدواء الشافى.

و هو قوله: إن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لم يول عمروا إلا لعلمه بالحرب ..

ثم نسب أبو معشر إلى بعض شيوخه أنه زعم: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قال: «إنى لأؤمر الرجل على القوم، و فيهم من هو خير منه، لأنه أيقظ عينا، و أبصر بالحرب».

ثم سعوا إلى تضعيف مقولة علم عمرو بالحرب، بمقولة أخرى، لا تعطيه أية مزية، سوى أن له أخوالا يحتاج الرسول «صلى اللّه عليه و آله» إلى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۷۳

الاستعانة بهم.

و لـذلك زعموا: أن رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله» إنما ولى عمروا فى تلك الغزوة لأنه أراد منه و أمره أن يسـتعين بالعرب الـذين هم أخوال أبيه، و هم بنو بلى «۱».

و نظن: أن موضوع الاسـتعانة بالأـخوال قـد اختلق فى وقت متأخر، و لعله لأجل تعميـة الأمور على الأجيال الآتيـة .. و ذلك لأن الناس الذين حضروا الواقعة لا يفيدهم هذا التوجيه؛ إذ لا أساس له من الصحة، فلا مجال للإعتذار به لهم ..

و أما حديث علم عمرو بالحرب، فيمكن معالجته بادعاءات أو بأساليب أخرى، بحسب ما يناسب كل فريق.

۳- أما حـديث أبى عثمان النهـدى فهو يرويه عن ابن العاص نفسه، و قـد صاغه ابن العاص وفق هواه السياسـى، و قـد ظهرت على هذا النص معالم التجنى و الافتراء.

و لكننا لا نستطيع أن نقطع: بأن عمروا هو الذى كذب هذا الحديث، حيث إننا لا نملك الدليل القاطع على ذلك ..

بل نريـد أن نقول: إننا نرجـح أن يكون عمرو نفسه قـد اصـطنع هـذا الحديث، و ذلك حين احتاج إلى التزلف للشـيخين، من أجل أن يحصل منهما

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۷۲ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲ ص ۲۷ و ج ۴۶ ص ۱۳۰ و عن أسد الغابة ج ۴ ص ۱۱۶ و النزاع و التخاصم للمقريزى ص ۷۶ و عن البداية و النهاية ج ۵ ص ۳۲۸ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۴ ص ۴۳۵ و ج ۳ ص ۵۱۶ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۱۰۴۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۷۴

على بعض ما يطمح إليه من مناصب و ولايات .. و غنائم و إقطاعات.

۴- إن حـديث عمرو قـد تضـمن: أن أحب الناس إلى النبى «صـلى اللّه عليه و آله» عائشة، فلما قال له: إنى لست أسألك عن أهلك .. أخبره: أن أحب الناس إليه أبو بكر، ثم عمر.

و روى عن عائشة و ابن العاص: أنهما سألا رسول اللّه أى الناس أحب إليك؟

فقال: أبو بكر.

قالا: ثم من؟

قال: عمر.

فقال فتى من الأنصار: يا رسول اللّه، فما بال على؟

فقال له النبى «صلى اللّه عليه و آله»: ما ظننت أن أحدا يسأل عن نفسه «۱».

مع أن عائشـة تروى عن رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله»: أن أحب الناس إلى النبى «صـلى اللّه عليه و آله» فاطمـة «عليها السـلام» من النساء، و على «عليه السلام» من الرجال «۲». فأيهما نصدق؟ عائشة؟ أم عمرو بن العاص؟!

---

(۱) شواهد التنزيل للحاكم الحسكانى ج ۲ ص ۲۷۲ عن: السيوطى فى كتاب اللآلى (ط ۱) ج ۱ ص ۱۹۸ بطرق ثلاثة أو أربعة و روى بعضها أيضا تحت الرقم: (۳۶۱) من باب فضائل على «عليه السلام» من كنز العمال (ط ۲) ج ۱۵ ص ۱۲۵.

(۲) راجع المصادر التاليـة: المسترشـد للطبرى ص ۴۴۹ و ۴۵۰ و شـرح الأخبار ج ۱ ص ۱۴۰ و ۴۲۹ و ج ۳ ص ۵۵ و مناقب آل أبى طالب ج ۳ ص ۱۱۱ و الفضائل ص ۱۶۹ و الطرائف ص ۱۵۷ و ذخائر العقبى ص ۳۵ ص ۶۲ و البحار ج ۳۲ ص ۲۷۲ و ج ۳۷ ص ۷۸ و ج ۳۸ ص ۳۱۳ و ج ۴۳ ص ۳۸ و ۵۳ و مناقب أهل-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۷۵

و عن شريح بن هانى عن أبيه، عن عائشة قالت: ما خلق اللّه خلقا كان أحب إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من على بن أبى طالب «۱».

و نبادر إلى القول: إننا لا بد أن نصدق عائشة، لأن إجابة النبى «صلى اللّه عليه و آله» لها قد فرضت عليها فرضا، و جاءت على خلاف هواها، لأنها فى حق أناس تبغضهم، و قد ظهر هذا البغض فى حروب طاحنة أثارتها ضدهم.

أما عمرو بن العاص فقد جاء كلامه منسجما مع أهوائه، و قد كان يرى: أن له مصلحة فى تحريف الحقائق، و إنكار فضائل على «عليه السلام»؛

- البيت «عليهم السلام» للشيروانى ص ۱۴۵ و ۱۴۶ و ۱۵۱ و ۲۳۳ و خلاصة عبقات الأنوار ج ۲ ص ۳۰۲ و الغدير ج ۱۰ ص ۸۶ و مكاتيب الرسول ج ۳ ص ۶۷۲ و سنن الترمذى ج ۵ ص ۳۶۲ و المستدرك للحاكم ج ۳ ص ۱۵۷ و نظم درر السمطين ص ۱۰۲ و خصائص أمير المؤمنين للنسائى ص ۱۰۹ و تاريخ بغداد ج ۱۱ ص ۴۲۸ و المناقب للخوارزمى ص ۷۹ و البحار ج ۳ ص ۱۵۷ و كنز العمال ج ۱۳ ص ۱۴۵ و تاريخ بغداد ج ۱۱ ص ۴۲۸ و تاريخ مدينة دمشق ج ۴۲ ص ۲۶۱ و ۲۶۳ و ۲۶۴ و تهذيب الكمال ج ۵ ص ۱۲۶ و سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۱۲۵ و ۱۳۱ و الجوهرة فى نسب الإمام على و آله «عليهم السلام» للبرى ص ۱۷ و إعلام الورى ج ۱ ص ۲۹۵ و المناقب للخوارزمى ص ۷۹ و كشف الغمة ج ۱ ص ۹۴ و ج ۲ ص ۹۰ و جواهر المطالب فى مناقب الإمام على «عليه السلام» ج ۱ ص ۵۳ و ينابيع المودة للقندوزى الحنفى ج ۲ ص ۳۹ و ۵۵ و ۱۵۱ و ۳۲۰ و اللمعة البيضاء للتبريزى ص ۱۷۹ و النصائح الكافية لمحمد بن عقيل ص ۵۰.

(۱) راجع: تاريخ مدينة دمشق ج ۴۲ ص ۲۶۰ و عن كفاية الطالب ص ۱۸۴ و قال:

هذا حديث حسن رواه ابن جرير فى مناقبه، و أخرجه ابن عساكر فى ترجمته.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۷۶

و كان يهمه أيضا منح الفضائل لأبى بكر و عمر، لأن فى ذلك إيذاء لعلى و أهل بيته «عليهم السلام»، الذين شن هو و معاوية الحروب الطاحنة عليهم، و لأن ذلك يجلب له المنافع و المناصب، و قد كان يملك مفاتيحها، أبو بكر و عمر، و محبوهما.

النبى صلّى اللّه عليه و آله يتألف الناس بعمرو، و يستنفر العرب:

و ذكروا: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» بعث عمرو بن العاص فى ثلاث مئة يستنفر العرب للشام، و أمره أن يستعين بمن مر به من العرب من بلىّ، و عذره، و بلقين. لأنه كان ذا رحم فيه لأن أم العاص كانت بلوية «۱».

و نقول:

أولا: إننا لم نجد ما يدل على أن البلويين، و عذرة، و بلقين قد أعانوا عمروا فى مهمته تلك. و لم يزد عدد من معه فى سريته سوى أولئك الذين التحقوا به ممن جاؤوا من المدينة مع أبى عبيدة.

ثانيا: إن الكثيرين بين المسلمين كانوا ذوى رحم فى تلك القبائل التى كانوا يسيرون لحربها بين الفينة و الأخرى، أو كانوا يمرون عليها فى مسيرهم إلى حروبهم. فلما ذا لم يكن يوليهم أمارة الجيوش ليستميل بهم تلك القبائل، و يستعين بها فى حروبه تلك.

ثالثا: إن هذا النص يقول: إنه «صلى اللّه عليه و آله» إنما بعث عمروا ليستنفر العرب إلى الشام، و لم يبعثه ليحارب .. فهل تعدى أمر رسول اللّه

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۶۷ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲ ص ۲۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۷۷

«صلى اللّه عليه و آله» و حارب من دون أن يكون مأمورا بذلك؟!.

رابعا: لماذا لم يستجب لعمرو أحد من العرب؟ فبقى فى الثلاث مئة الذين جهزهم معه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، ثم أضيف إليهم مئتان جهزهم النبى «صلى اللّه عليه و آله» إليه أيضا، بقيادة أبى عبيدة؟!.

خامسا: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد أرسل إلى مؤتة ثلاثة آلاف مقاتل، و إلى خيبر ألفا و خمس مئة مقاتل، و كان معه فى الحديبية، نحو ذلك أيضا، و لم نسمع أنه أرسل يستنفر العرب لأى من هذه الوقائع، و ليس فيما بين أيدينا ما يشير إلى أن لدى قضاعة فى بلاد الشام ما يخيف إلى هذا الحد ..

على أن الذين ذهبوا مع عمرو هم خمس مئة مقاتل فقط، و قد زعموا:

أنه دوخ بهم البلاد، و جال فى بلادهم حتى بلغ أقصاها .. و لم يحتج فى سفره ذاك لأكثر من العدد الذى جهزه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» .. فلما ذا بعثه يستنفر العرب إلى الشام. إذا كان ذلك يكفيه، و لا يحتاج على أحد ..

اللواء .. و الراية:

قد ذكروا: أنه «صلى اللّه عليه و آله» حين أرسل عمرو بن العاص فى غزوة ذات السلاسل «عقد له لواء أبيض، و جعل معه راية سوداء» «۱».

و لا ندرى لماذا كان ذلك؟! أى لما ذا أعطاه الإثنين معا؟

و لماذا اختلفت ألوانهما، هذا أبيض، و تلك سوداء؟!

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۰ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۱۳۱ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲ ص ۲۲ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۷۱ و ۳۱۴ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۶۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۷۸

فإن المفروض هو: أن تكون لمثل هذه الأفعال دلالاتها المفيدة لمعنى ظاهر، إذ ليس ذلك من الأمور التعبدية .. و لا هو من الرسوم أو العادات المتبعة فى الحروب ..

و نحن لم نفهم لضم الراية السوداء إلى اللواء الأبيض أى معنى، لا بالنسبة للذين أرسلهم النبى «صلى اللّه عليه و آله» .. و لا بالنسبة لقائدهم، و لا فيما يرتبط بالتأثير على العدو فى ميادين الحرب، أو نحو ذلك.

غير أننا نظن أن ذلك من تفننات محبى عمرو بن العاص، بهدف الإيحاء بأن له خصوصية مّا، و لو بهذا المقدار الذى لا معنى له، و لا طائل تحته.

هذا كله .. على فرض أن يكون ثمة اختلاف بين اللواء و الراية، مع أنه قد تقدم فى غزوة أحد و فى غيرها: أنهما واحد، و إن حاول بعضهم أن يدّعى خلاف ذلك ..

سراة المهاجرين و الأنصار:

و يلفت نظرنا قولهم: «بعثه فى ثلاث مئة من سراة المهاجرين و الأنصار».

ثم طلب منه عمرو المدد، «فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح فى ماءتين من سراة المهاجرين و الأنصار، و بينهم أبو بكر و عمر» «۱».

و قد راجعنا كتب الحديث و السيرة و التاريخ، فلم نجدهم ذكروا أسماء أحد من الصحابة، تستطيع أن تبرر إطلاق وصف السراة- خصوصا بنظر

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۰ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۱۳۱ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲ ص ۲۲ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۷۱ و ۳۱۴ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۶۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۷۹

هؤلاء- سوى اسم رجلين كانوا و ما زالوا يهتمون بهما، و يحاولون تعظيمهما، و هما أبو بكر، و عمر، الذين كانا مع أبى عبيدة، الذى أرسله النبى «صلى اللّه عليه و آله» مددا لعمرو، و لا نرى أن ذلك يبرر إطلاق هذا التعبير بهذه الطريقة التهويلية، إلا على قاعدة: «من أجل عين ألف عين تكرم». كما أن التعبير ب «السراة» فيه تعظيم و تفخيم لعمرو و أبى عبيدة.

خصوصا مع علمنا: بأن مجموع عدد الصحابة قليل و ليس فيهم هذا العدد الضخم من السراة، فإن السرى هو العظيم فى قومه.

و وجود خمس مئة سرى إنما يتوقع فى أمة تعد بعشرات الألوف، و قد قلنا: إن عدد المسلمين كان قليلا و ضئيلا جدا كما هو معلوم ..

الإختلاف على الصلاة؟ أم على الإمارة؟!

۱- إن من الواضح: أن صلاة الجماعة منوطة فى مذهب أهل البيت «عليهم السلام» بثقة المأموم بعدالة الإمام، و ليست منوطة بالإمارة على الجند، و لا- على غيرهم، و لا- بأى منصب آخر .. فمن وثق به الناس جاز لهم أن يأتموا به فى الجماعة .. و قد يأتمون اليوم بشخص، ثم يأتمون غدا بغيره ..

كما أن أغلب أهل السنة و الجماعة يجيزون إمامة الفاسق: استنادا إلى ما رووه عن النبى «صلى اللّه عليه و آله»: صلوا خلف كل بر و فاجر «۱».

---

(۱) راجع: سنن أبى داود كتاب الصلاة: الباب ۶۳ و جامع الخلاف و الوفاق ص ۸۴ و فتح العزيز للرافعى ج ۴ ص ۳۳۱ و المجموع للنووى ج ۵ ص ۲۶۸ و مغنى المحتاج للشربينى ج ۳ ص ۷۵ و المبسوط السرخسى ج ۱ ص ۴۰ و تحفة الفقهاء للسمرقندى ج ۱ ص ۲۲۹ و بدائع الصنائع لأبى بكر الكاشانى ج ۱ ص ۱۵۶-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۸۰

فلا مكان للاختلاف و التنازع فى هذا الأمر، فما معنى تنازع أبى عبيدة، و عمرو بن العاص فيه؟ كما لا مجال للاستدلال على الأحقية بإمامة الصلاة بأن هذا أمير، و ذاك ليس بأمير، كما أن هذا لا يدخل فى باب التشاح إمامة الصلاة لأجل الحصول على الثواب، لأن اختلافهم إنما هو على الأحقية بها، حيث إن كلا منهما يدّعيها لنفسه دون الآخر، و لأجل هذا و ذاك نقول:

ألا يدل ذلك على انهم إنما يتنازعون على أمر يرون فيه مكسبا دنيويا؟!

۲- إننا حين نتأمل فى النصوص التى نقلت لنا هذا الحدث نلاحظ: أن موضوع الإمامة فى الصلاة كان هو الواجهة، و أن مصبّ الاختلاف كان أمرا آخر، سرعان ما ظهرت دلائله، و نشرت أعلامه، ألا و هو الإمارة على السرية نفسها، حيث فهم عمرو بن العاص: أن تصدى أبى عبيدة لإمامة

- و الجوهر النقى للماردينى ج ۴ ص ۱۹ و البحر الرائق لابن نجيم المصرى ج ۱ ص ۶۱۰ و تلخيص الحبير ج ۴ ص ۳۳۱ و نيل الأوطار ج ۱ ص ۴۲۹ و شرح أصول الكافى ج ۵ ص ۲۵۴ و المسترشد للطبرى و الإفصاح للشيخ المفيد ص ۲۰۲ و المسائل العكبرية

للشيخ المفيد ص ۵۴ و الطرائف لابن طاووس ص ۲۳۲ و عوالى اللآلى ج ۱ ص ۳۷ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۴ ص ۱۹ و عمدة القارى للعينى ج ۱۱ ص ۴۸ و تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ۱۴۵ و سنن الدار قطنى ج ۲ ص ۴۴ و تنقيح التحقيق فى أحاديث التعليق للذهبى ج ۱ ص ۲۵۶ و ۲۵۷ و نصب الراية ج ۲ ص ۳۳ و ۳۴ و الدراية فى تخريج أحاديث الهداية ج ۱ ص ۱۶۸ و الجامع الصغير للسيوطى ج ۲ ص ۹۷ و كنز العمال ج ۶ ص ۵۴ و كشف الخفاء للعجلونى ج ۲ ص ۲۹ و ۳۲ و شرح السير الكبير للسرخسى ج ۱ ص ۱۵۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۱۸۱

الصلاة ينطلق من خلفية سعيه إلى إمارة السرية، و قد وجد من بين أصحابه من يؤيده فى ذلك، و لا يرضى بإمارة عمرو ..

۳- و لعل من أبرز هؤلاء المؤيدين لأبى عبيدة أبو بكر و عمر، كما يظهر من تغيظ عمر، إلى حد أنه أراد أن يبادر إلى الاعتراض على ابن العاص، لكن نصيحة أبى بكر منعته من ذلك .. ربما لأنه وجد أن حجة عمرو ستكون أقوى، و أعظم أثرا فى نفوس الناس، فآثر الخروج من حلبة الصراع بخسارة واحدة، بدلا من خسارتين.

۴- ثم إن أبا عبيدة حين وجد أن الغلبة ستكون لعمرو آثر أن ينسحب من هذا المأزق بلباقة، و أن يعوض عن بعض خسارته بإظهار التسامح و التواضع و الانقياد لأوامر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، التى زعم أنه أصدرها له، بقوله: قدمت على صاحبك فتطاوعا.

ثم جاء محبوه و مؤيدوه، فصرحوا بما ألمح إليه، حين وصفوه بحسن الخلق، و لين العريكة، و اعتبروا أن هذا هو سبب تراجعه أمام حجة عمرو بن العاص.

المغيرة داعية فتنة و متزلف:

و لسنا بحاجة إلى تفصيل القول فيما ذكره المغيرة بن شعبة لأبى عبيدة عن أن فلانا من الناس قد اتبع أمير القوم .. و قول أبى عبيدة: «فأنا اطيع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و إن عصاه عمرو».

غير أننا نكتفى بالإشارة إلى ما يلى:

۱- إن حركة المغيرة هذه تظهر كيف أن المغيرة يغتنم الفرصة للعبث

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۱۸۲

بمشاعر الناس، و إثارة غرائزهم العدوانية تجاه بعضهم البعض، حتى لو كان هؤلاء الناس ممن يلتقى معهم فى كثير من التوجهات و الانتماءات، فيحاول الإبقاء على حالة التنافر، و التنافس بين أبى عبيدة و عمرو بهذا التحريض الذى مارسه فى موقفه هذا.

۲- إن المغيرة لا يتورع عن إشراك أناس آخرين فى حالة الصراع، و يسعى ليوغر صدر أبى عبيدة على (ابن فلان)، لمجرد أنه قبل بمنطق عمرو فى أمر تولى عمرو للصلاة.

۳- إن حركة المغيرة هذه يمكن وضعها فى سياق تزلف المغيرة لأبى عبيدة أيضا .. و ربما يكون سببها فى ذلك هو شعور المغيرة بالضعف، و الحاجة إلى مساعدة أبى عبيدة فى تحقيق مأرب يعجز المغيرة عن تحقيقه بنفسه ..

۴- و الملاحظة الأخيرة لنا هنا: هى أن أبا عبيدة يصرح: بأنه يعتبر عمروا عاصيا لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، ثم يقدم نفسه هو على أنه مطيع لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» دونه ..

فهو يشير بذلك: إلى أن قضيته مع عمرو قد تجاوزت حدود الخطأ غير المقصود، أو الخطأ فى الاجتهاد لتصل إلى مستوى التمرد على الآمر، و المعصية المتعمدة لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

و بذلك يظهر: أن ثمة اختلافا أساسيا فى موضوع عدالة الصحابة بين أبى عبيدة و بين أكثر المسلمين من غير الشيعة، الذين يصرون على عدالتهم، و على ان ما يرتكبونه ما هو إلا خطأ فى الاجتهاد، و لا يصل إلى حد المعصية للّه و لرسوله.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۸۳

أخلاق أبى عبيدة:

و قد وصف الراوى أبا عبيدة: بأنه «كان رجلا لينا، حسن الخلق، سهلا، هينا عليه أمر الدنيا، يسعى لأمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و عهده».

و نقول:

۱- ليت أبا عبيدة كان كذلك فى يوم السقيفة، حين سعى فى تضييع أمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و نقض تدبيره .. بل هو قد سعى فى تكريس مخالفة أمر اللّه، و ساعد و شارك فى نقض عهد اللّه تبارك و تعالى، و ذلك حين نكث بيعته لعلى «عليه السلام» فى يوم الغدير، و خالف أمر اللّه و رسوله فى التسليم لإمامته «عليه السلام»، و البخوع لأمر اللّه تبارك و تعالى فيها .. و كان هو و عمر بن الخطاب من أقوى المساعدين على استئثار أبى بكر بهذا الأمر.

۲- إن إمامة الجماعة ليست من أمور الدنيا، التى تهون على أبى عبيدة، بل هى عبادة لها ثوابها، و قيمتها المعنوية، التى لا يصح التفريط أو الاستهانة بها.

أما اعتبار قيادة السرية و إمارتها أمرا دنيويا .. فذلك أيضا غير مقبول، لأن هذه الإمارة أيضا أمر عبادى، من حيث أنه موقع جهادى متقدم و حساس، و ليس على المؤمن لو طلبه و سعى إليه من غضاضة ..

۳- إن هؤلاء الذين يقدسون جميع الصحابة، و يعتقدون بعدالتهم، و إن كانوا قد مدحوا أحدهم، و دافعوا و دفعوا عنه، ما ربما ينسب إليه مما لا يليق به، و لكنهم قد سقطوا فى فخ الطعن فى نزاهة صحابى آخر حيث نسبوا إليه حب الدنيا و السعى إليها .. ألا و هو عمرو بن العاص نفسه.

و هذا يتنافى مع نظرتهم التنزيهية للصحابة .. إلا أن يدّعوا: أن حب

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۸۴

الدنيا لا ينافى العدالة التى يتحدثون عنها ..

غير أننا نقول: إن حب الدنيا و التنازع عليها منقصة فى الإنسان، و المفروض بأهل الإيمان و المجاهدين أن ينزهوا أنفسهم عنها. و لا سيما و هم فى مواقع الجهاد، و فى ساحات التضحية.

صلاة الجماعة:

۱- لما ذا يقع النزاع بين عمرو و أبى عبيدة على إمامة الجماعة؟! ما دام أن الأمر يرجع فيها إلى المأمومين أنفسهم، فالأمر فى اختيار إمام الجماعة يعود إليهم، فهم يأتمون بمن شاؤوا .. إذ لا يجب أن يكون أمير السرية هو الإمام فى الصلاة.

فاختلافهم فى ذلك يدل على عدم وجود نص حاسم من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على إمامة شخص بعينه فى هذه السرية على أقل تقدير.

۲- إن نفس أن يتصدى أبو عبيدة لإمامة الناس يدل على أن إمامة الأمير للناس فى الصلاة لم تكن مستندة إلى أوامر من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و إنما هو اعتماد على مجرد تقليد متّبع، و عادة جرت. و هذا هو ما قصد إليه عمرو فى اعتراضه على أبى عبيدة ..

و يؤكد هذا المعنى: أن أبا عبيدة لم يتصد لإمامة الماءتين الذين جاء بهم .. بل تصدى لإمامة جميع الحاضرين حتى الذين جاؤوا مع

عمرو، و حتى عمرو نفسه. و هذا ما أثار حفيظته، و دعاه إلى الطلب من أبى عبيدة أن يتنحى، و يترك الأمر له.

۳- إنه لأمر مثير للعجب أن يكون الذين أجابوا عمرو بن العاص على

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۸۵

حجته هم خصوص المهاجرين، كما صرحت به الرواية ..

بل هم خصوص المهاجرين الذين جاؤوا مع أبى عبيدة .. و نتوقع أن يكون على رأسهم عمر بن الخطاب، فإنه هو الذى يشهر سيف الاعتراض كثيرا، حيث يبدو لنا: أنه هو و ربما غيره من المهاجرين معه قد اعترضوا على إمامة عمرو لهم، خوفا من أن يؤسس ذلك لتفضيله و تقديمه عليهم فى أمور أخرى ..

۴- و لعل هذا الأمر يشير إلى أنه قد كان ثمة ضعف ظاهر فى الأنصار، حيث لا يظهر منهم أى تحرك اعتراضى أو حتى استعراضى، كما نشهده لدى المهاجرين .. فى العديد من المناسبات، و فى هذه السرية أيضا.

المهاجرون يعترضون مرة أخرى:

و قد ذكرت النصوص المتقدمة: موقفا آخر للمهاجرين فى هذا السياق، فحين منعهم عمرو، هم و غيرهم من إيقاد النار ليصطلوا عليها، كلمه فى ذلك بعض المهاجرين فغالظه .. ثم طلبوا من أبى بكر أن يكلمه، ففعل فتوعد أن يقذف فى النار من أوقدها.

و ذكروا أيضا: غضب عمر من هذا الإجراء. و أنه همّ أن يأتيه، فنهاه أبو بكر، و أخبره: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» لم يستعمله إلا لعلمه بالحرب، فهدأ عنه.

و نقول:

۱- لماذا علت أصوات المهاجرين فقط فى هذه الحادثة أيضا؟! ..

فهل كان الأنصار يخافون من الاعتراض على القائد إذا كان مهاجريا؟!

و لماذا يخافون؟!

۲- لماذا يصل الأمر إلى حد المغالظة و التهديد بإلقاء الناس فى النار

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۸۶

التى يوقدونها؟!

ألم يكن بالإمكان حسم الأمر بكلمة واحدة، و هى أن إيقاد النيران يدل العدو على وجودهم فى المنطقة، و لهذا الأمر سلبيات كبيرة، أدناها ضياع الفرصة المتاحة، و منح العدو فرصا قد تكون خطيرة على هذه السرية؟!

۳- إن التأييد الذى روى عن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى هذا الإجراء إنما رواه عمرو بن العاص نفسه، لتدعيم موقفه أمام منتقديه، فليلاحظ ذلك.

۴- ما معنى أن يعاقب عمرو من يوقد نارا بأن يقذفه فيها؟! فهل وردت هذه العقوبة فى آية أو رواية؟ أو سمعها من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»؟ أو رآه فعلها؟ أو رخص أحدا فيها؟!

و لماذا لم يعترض عليه أبو بكر: بأنه ليس من حقه أن يمارس عقوبة من هذا القبيل؟!

و لا يمكن حمل كلام عمرو على المبالغة فى الوعيد، إلا إذا قامت قرينة على أنه لم يكن قاصدا لظاهر كلامه .. و هى مفقودة هنا.

التناقض و الإختلاف:

إننا نراهم تارة يزعمون: أن الذين سار إليهم عمرو بسريته تلك هم قضاعة، و عاملة، و جذام، و لخم .. و أنهم جمع كثير، و أنهم كانوا مجتمعين ففضهم، و قتل منهم مقتلة عظيمة، و غنم.

و تارة يقولون: إنه «صلى اللّه عليه و آله» أرسله إلى جمع من قضاعة، و لم يذكر غيرهم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۸۷

ثم يقولون: إنه وطأ بلاد العدو و دوخها كلها، حتى انتهى إلى موضع بلغه أنه قد كان به جمع، فلما سمعوا به تفرقوا .. ثم سار حتى بلغ أقصى بلادهم، فلقى هناك جمعا ليسوا بالكثير، فاقتتلوا ساعة، و حمل عليهم المسلمون فهزموهم و تفرقوا ..

ثم يذكرون: أنه أقام لا يسمع لهم بجمع و لا مكان صاروا فيه إلا قاتلهم.

و كان يبعث أصحاب الخيل، فيأتون بالشاء و النعم، فكانوا ينحرون و يأكلون، و لم يكن اكثر من ذلك، و لم يكن فى ذلك غنائم تقسم، كذا قال جماعة.

و يقولون فى مقابل ذلك: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» أخبره أن اللّه سوف يغنمه فى مسيره ذاك ..

فترى كيف أن التناقضات ظاهرة بين هذه النصوص بحيث لا مجال للملاءمة فيما بينها كما هو ظاهر.

غنائم عمرو المكذوبة:

و قد زعمت الروايات عن عمرو بن العاص نفسه: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» دعاه، و أمره أن يأخذ ثيابه و سلاحه، و قال: يا عمرو، إنى أريد أن أبعثك على جيش، فيغنمك اللّه، و يسلمك.

فقلت: إنى لم أسلم رغبة فى المال.

قال: نعم المال الصالح للرجل الصالح «۱».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۱ و المستدرك للحاكم ج ۲ ص ۲ و عن فتح البارى ج ۸ ص ۶۰ و الأدب المفرد للبخارى ص ۷۲ و كنز العمال ج ۱۱ ص ۷۲۹ و تاريخ مدينة دمشق ج ۴۶ ص ۱۴۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۸۸

و نقول:

إن هذا الكلام غير صحيح، إذ لو كان النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد قال ذلك، لكان قد تحقق، و لكان عمرو قد أتى بغنائم تحقق ما وعده به النبى «صلى اللّه عليه و آله»، مع أنهم يقولون: إنه قد رجع خالى الوفاض من أى شىء من ذلك، رغم أنهم يزعمون: أنه سار حتى انتهى إلى أقصى بلادهم، و دوّخ عمرو ما هنالك. و أنه أقام أياما لا يسمع لهم بجمع و لا مكان صاروا فيه إلا قاتلهم.

«و كان يبعث أصحاب الخيل، فيأتون بالشاء و النعم، فكانوا ينحرون و يأكلون و لم يكن أكثر من ذلك. لم يكن فى ذلك غنائم تقسّم. كذا قال جماعة» «۱».

فأين كانوا يخبئون شاءهم و نعمهم يا ترى؟! أم أنهم كانوا يأخذونها معهم أينما ذهبوا، و حيثما توجهوا؟!

أليس قد وطأ عمرو بلادهم بعساكره؟ و دوّخ تلك البلاد؟

و لماذا فشل فى العثور عليها رغم إقامته أياما لا يسمع بجمع لهم إلا قصده؟!

و لماذا يأتى- كما يزعمون- ابن أبى حدرد و فى غزوة الغابة، و رجلان معه بإبل عظيمة، و غنم كثيرة، و يأتى أبو قتادة فى خمسة عشر رجلا فقط،

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۶۸ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۶۷۰ و ۷۷۱ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲ ص ۲۳ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۱۲ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۱۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۸۹

بألفى شاة، و مئتى بعير، حتى يحصل كل فرد بعد إخراج الخمس من تلك السرية على ثلاثة عشر بعيرا. ثم لا يصيب عمرو بن العاص فى تلك البلاد كلها إلا بعض ما استفاده فى طعامهم، و لم يكن أكثر من ذلك.

إن هذا الأمر عجيب جدا، و أى عجيب!!

و هل يعقل أن لا يصدق ما أخبره به رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من أن اللّه يغنمه و يسلمه،؟! و هو الذى صرح القرآن بأنه: وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى «۱».

ألا يحق لنا بعد هذا كله، أن نشك فى كثير مما ينسبه ابن العاص لنفسه، أو ينسبه له الناس؟!

و لماذا لا يكون عمرو بن العاص قد أراد أن يضع لنفسه أمجادا، مكذوبة؟

حتى لو أدى ذلك إلى التشكيك بالنبوة و العياذ باللّه؟!

و إذا كان هو الذى وضع هذه الأمور لصالح نفسه، فالسؤال هو:

كيف يكذب و هو صحابى؟! أليس الصحابة عدو لا كما يزعم هؤلاء؟!

لا تأمّرن على اثنين:

و قالوا أيضا:

روى ابن إسحاق، و محمد بن عمر، عن رافع ما ملخصه قال: «كنت امرءا نصرانيا و سميت سرجس، فلما أسلمت خرجت فى تلك الغزوة التى بعث فيها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل».

---

(۱) الآيتان ۳ و ۴ من سورة النجم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۹۰

قال: «فقلت: و اللّه، لأختارن لنفسى صاحبا».

قال: «فصحبت أبا بكر فكنت معه فى رحله، و كان ذا عباءة، فدكية، فكان إذا أنزلنا بسطها، و إذا ركبنا لبسها، ثم شكها عليه بخلال له.

و ذلك الذى يقول أهل نجد، حين ارتدوا كفارا: نحن نبايع ذا العباءة؟!

قال: «فلما دنونا من المدينة قافلين، قلت: يا أبا بكر رحمك اللّه، إنما صحبتك لينفعنى اللّه تعالى بك، فانصحنى و علمنى».

قال: «لو لم تسألنى ذلك لفعلت. آمرك أن توحد اللّه تعالى، و لا تشرك به شيئا، و أن تقيم الصلاة، و أن تؤتى الزكاة، و تصوم رمضان، و تحج البيت، و تغتسل من الجنابة، و لا تتأمرن على رجلين من المسلمين أبدا».

إلى أن قال: ففارقته على ذلك، فلما قبض رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و استخلف أبو بكر على الناس قدمت عليه فقلت له: يا أبا بكر، ألم تك نهيتنى عن أن أتأمر على رجلين من المسلمين؟

قال: «بلى، و أنا الآن أنهاك عن ذلك». الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ۲۰ ۱۹۰ لا- تأمرن على اثنين: ..... ص : ۱۸۹

فقلت له: «فما حملك على أن تلى أمر الناس»؟

قال: «اختلف الناس، و خشيت عليهم الهلاك».

و فى رواية: «الفرقة، و دعوا إلى، فلم أجد بدا من ذلك» «۱».

و نقول:

إن لنا مع هذه القضية وقفات، هى التالية:

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۶۹ و ۱۷۰ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۷۲ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۱۰۴۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۱۹۱

نبايع ذا العباءة؟!

قد نقل ذلك الرجل عن أهل نجد أنهم حين رفضوا بيعة أبى بكر، قالوا:

نبايع ذا العباءة؟!

و نقول:

إنه و إن كان يحتمل أن تكون كلمة «ذا العباءة» قد جاءت للإشارة إلى صاحبها، و لكن من المحتمل جدا أيضا أن يكون هذا التعبير قد جاء على سبيل الاستصغار لشأن أبى بكر، و إظهار الاستنكاف عن إعطاء البيعة له ..

و قد ظهر رفض البيعة لأبى بكر لدى قبائل كثيرة، و لكن أبا بكر أصرّ على بسط نفوذه على تلك القبائل، فكان يطالبهم بدفع الزكاة له .. فمن أبى منهم اتهمه بالكفر و الارتداد، و شن الحرب عليه، و قتل الرجال، و سبى النساء و الأطفال، و استولى على الأموال.

و لذلك يلاحظ: أنهم يطلقون على حروبهم لما نعى الزكاة عن أبى بكر، اسم «حروب الردة»، تعمية بذلك على الناس، و سعيا فى إبطال الحقائق ..

مع أن الحقيقة هى: أن هؤلاء لم يرضوا بمخالفة أمر اللّه، و رد توجيهات رسوله فى موضوع الإمامة .. خصوصا بعد يوم الغدير و بيعة عشرات الألوف من الناس لعلى «عليه السلام».

و الظاهر: أن هؤلاء الذين ذكرهم رفيق أبى بكر، كانوا من هؤلاء الذين أوقع بهم أبو بكر .. و لم يكونوا مرتدين على الحقيقة، بل هم رفضوا الاعتراف بشرعية خلافته، و الرواية المتقدمة تدل على ذلك تلميحا، فرغم نعتهم بالإرتداد إلا أنّ ما نسبه إليهم من قول لا يعدو كونه إعلانا برفض بيعة أبى بكر، و قد امتنعوا عن إعطاء الزكاة له تعبيرا عن هذا الرفض،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۱۹۲

فجعل ذلك أبو بكر ذريعة لاتهامهم بالارتداد، و سببا للإيقاع بهم، و قتلهم .. و قصة مالك بن نويرة معروفة و مشهورة ..

أما الذين ارتدوا بالفعل، أو أعلنوا مناقضة هذا الذين .. فهم مسيلمة الكذاب، و الأسود العنسى، و طليحة بن خويلد .. و هم إنما أعلنوا ذلك، أو ارتدوا فى عهد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، كما يعلم بالمراجعة ..

أبو بكر مجبر على الخلافة:

و لسنا بحاجة إلى التعليق على ما زعمه أبو بكر مبررا لقبوله للخلافة، غير أننا نقول:

۱- إن الذى أوجد الخلاف بين الناس، و كان هو الركن الرئيس فيه هو أبو بكر نفسه، و معه صاحبه عمر بن الخطاب.

و قد بادر هو إلى ابتزاز هذا الأمر من صاحبه الشرعى، حتى قبل أن يدفن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» .. و هو الذى وراء حادث الهجوم على بيت فاطمة الزهراء «عليها السلام»، و محاولة إحراقه بالنار، ثم ضربها فى ذلك الهجوم، و أسقاط جنينها، إلى غير ذلك

مما جرى عليها يعلمه القاصى و الدانى ..

۲- أما اجتماع الأنصار فى السقيفة، فلم يكن يشكل أية خطورة على وحدة المسلمين، بل كان أمرهم أهون مما نتصور ..

و الدليل على ذلك: أن بضعة أشخاص قد لا يبلغ عددهم عدد أصابع اليد الواحدة، قد سلبوا الأنصار المجتمعين فى سقيفتهم، و بحضور أكثريتهم، ما كان سعد بن عبادة يطمح له، و أراد أن يسبقهم بعد أن علم بتصميمهم على سلب هذا الأمر من صاحبه الشرعى، و هو على «عليه السلام».

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۹۳

و الأشخاص الذين نتحدث عنهم، و الذين سلبوهم هذا الأمر هم أبو بكر، و عمر، و أبو عبيدة .. و عاونهم من الأنصار بشير بن سعد، و أسيد بن حضير ..

و هؤلاء هم الفريق الذى كان الناس يعرفون أنهم مصممون على إبعاد على «عليه السلام» عن حقه فى هذا الأمر بكل ثمن ..

۳- إن أبا بكر هو الذى بادر مع عمر و أبى عبيدة لا قتناص الخلافة من الأنصار، و لم يطلب منه أحد منهم التدخل لحسم خلافهم فيه .. بل لم يكن قد ظهر بينهم فيه خلاف.

فما معنى قوله: إنه أراد حسم الخلاف فى هذا الأمر، و أنهم دعوا إليه، فلم يجد بدا من ذلك؟!

۴- إذا كان الاختلاف حول هذا الأمر قد بلغ حدا يخشى أبو بكر معه على الناس الهلاك، فهل يعقل أن لا يكون هناك بيان من اللّه و رسوله حول هذا الأمر؟!

ألم يأمرهم اللّه سبحانه بالرجوع فى الأمور التى يختلفون فيها إلى اللّه و رسوله، فقال: وَ مَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذلِكُمُ اللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ «۱».

و من الواضح: أن أعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سل سيف فى الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة فى كل زمان ..

---

(۱) الآية ۱۰ من سورة الشورى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۹۴

كما يقوله الشهرستانى «۱».

و هل نسى الناس ما جرى فى يوم الغدير، الذى حصل قبل استشهاد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بسبعين يوما؟! و كذلك سائر مواقف رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» الكثيرة، و أقواله الغزيرة حول إمامة على أمير المؤمنين «عليه السلام»؟!.

الأجرة على قسمة الجزور:

عن عوف بن مالك الأشجعى قال: «كنت فى الغزاة التى بعث فيها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عمرو بن العاص، و هى غزوة ذات السلاسل، فصحبت أبا بكر و عمر، فمررت بقوم و هم على جزور قد نحروها، و هم لا يقدرون على أن يبعضوها. و كنت امرءا [لبقا] جازرا، فقلت لهم: أتعطونى منها عشيرا على أن أقسمها بينكم؟

قالوا: نعم.

فأخذت الشفرة، فجزأتها مكانى، و أخذت جزءا، فحملته إلى أصحابى، فطّبخناه و أكلناه.

فلما فرغوا قال لى أبو بكر و عمر: أنى لك هذا اللحم يا عوف؟

فأخبرتهما.

فقالا: و اللّه، ما أحسنت حين أطعمتنا هذا. ثم قاما يتقيآن ما فى بطونهما منه.

---

(۱) الملل و النحل للشهرستانى ج ۱ ص ۲۴ و راجع: المهذب لابن البراج ج ۱ ص ۱۳ و دلائل الإمامة للطبرى ص ۱۶ و عن المراجعات ص ۵۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۹۵

فلما قفل الناس [من ذلك السفر]. كنت أول قادم على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فجئته و هو يصلى فى بيته، فقلت: السلام عليك يا رسول اللّه و رحمة اللّه و بركاته.

فقال: «أعوف بن مالك»؟

فقلت: نعم، بأبى أنت و أمى.

فقال: «أصاحب الجزور»؟ و لم يزدنى على ذلك شيئا «۱».

و نقول:

لا ندرى ماذا نقول حول هذا التقيؤ لما أكلاه، و كأنهما يريدان إظهار الورع عن أن يرضيا بأن يستقر طعام فيه شبهة فى بطونهما، مع أنه لا مجال لادعاء الشبهة فى ذلك اللحم، فهو جعالة تراضى عليها الطرفان، و قد أخذ عوف حقه الذى جعل له ..

ثم إننا لا ندرى لما ذا يسألاه عن شأن ذلك اللحم قبل طبخه، أو قبل أو حتى أثناء أكله؟!

بل أخرا السؤال إلى أن أكلا و شبعا ..

و لا ندرى كذلك كيف يقفان عند شبهة لا حقيقة لها هنا، ثم يقدمان على اغتصاب إرث رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من ابنته فاطمة «عليها

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۷۱ و قال فى هامشه: أخرجه البيهقى فى الدلائل ج ۴ ص ۴۰۲ عن طريق ابن إسحاق، و ابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق ج ۱ ص ۵۰.

و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۷۳ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۱ و كنز العمال ج ۳ ص ۹۲۳ و ۹۲۴ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۱۳ و ۳۱۴ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۱۰۴۲ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۲۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۹۶

السلام»، و على اغتصاب فدك منها أيضا.

يضاف إلى ذلك: أنهما كانا يرتزقان من بيت المال، الذى كان يحوى أموال مانعى الزكاة الذين قتلوهم، و غنموا أموالهم مثل مالك بن نويرة و أضرابه؟!

ألا يرون فى ذلك كله أية شبهة توجب تقيؤ ما يأكلانه من هذا و ذاك؟! و لو بمقدار الشبهة فى اللحم الذى كان لعوف بن مالك أجرة له على عمل قام به؟!

هذا كله، عدا عن الشبهة فى اغتصاب خلافة على، و فى ضرب الزهراء «عليهما السلام»، و فى إسقاط جنينها، و غير ذلك من أمور!

جنابة، و صلاة:

و ذكروا: أن جنابة أصابت عمروا فى طريق العودة، فتيمم و صلى بأصحابه «۱»، و قد حاول بعضهم أن يثير الإشكال فى صحة الجماعة إذا كانت صلاة الإمام بالتيمم.

و لكن الصحيح هو: أنه يجوز للمتوضى أن يأتم بالجنب المتيمم فلا إشكال!

---

(۱) راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۷۳ و ۷۷۴ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۱ و سنن الدار قطنى ج ۱ ص ۱۷۸ و المستدرك للحاكم ج ۱ ص ۱۱۷ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۱ ص ۲۲۵ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۷۰ و فى هامشه عن بعض من تقدم و عن مسند أحمد ج ۴ ص ۲۰۳ و عن أبى داود ج ۱ ص ۳۳۴ و ۴۹۲ و تذكرة الفقهاء (ط ج) ج ۲ ص ۱۵۷ و الحدائق الناضرة ج ۴ ص ۳۲۵ و عوالى اللآلى ج ۲ ص ۲۰۹ و إيضاح الفوائد ج ۱ ص ۶۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۹۷

رواياتهم مزيفة:

قد ظهر مما تقدم: أن رواياتهم لما جرى فى سرية ذات السلاسل مليئة بالأكاذيب، حافلة بالادعاءات الباطلة، التى تكذبها الوقائع، و يدحضها المنطق السليم، و الاعتبار العقلائى القويم ..

غير أن بعض ما ذكروه ليس مكذوبا من أساسه، بل هو صحيح فى حد ذاته، و لكنه حرّف و زيّف بصورة كبيرة.

الصورة الأوضح و الأصرح:

و لكن ما لم يكن يدور فى خلدنا هو أن يسقط هؤلاء الناس عمدة و أهم أحداث هذه السرية. و هو ذلك الجانب الذى يظهر أن ثمة أحداثا فريدة و متميزة من شأنها أن تسوق الفكر إلى استقدام صور لأحداث مشابهة، على سبيل تداعى المعانى، ليتكون- من ثم- انطباع فى غاية السلبية عن شخصيات كان لها أثر عظيم، و لا يزال فى تصورات و فى اعتقادات طائفة كبيرة من المسلمين، مع مزيد من الاحترام و التقديس منقطع النظير ..

إن الصورة الحقيقية لما حدث تبين أن ما جرى فى خيبر، و فى فدك، و فى قريظة، قد تكرر فى سرية ذات السلاسل أيضا، حيث أرسل النبى «صلى اللّه عليه و آله» جيشه إلى ذات السلاسل، و على رأسه قيادات لم تستطع أن تحقق نصرا، فعادت تجر أذيال الخيبة، حتى أرسل عليا «عليه السلام»، ففتح اللّه على يديه، و عاد بالخبر الأكيد، و النصر الفريد، و الخبر السعيد .. فظهر بذلك فضله على من سواه. و اللّه متم نوره، و لو كره المشركون، و الكافرون،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۹۸

و الحاقدون، و الشانئون ..

و نحن نذكر النصوص التى ذكرت ذلك، ثم نشير إلى بعض ما يرتبط بها، و ذلك فيما يأتى من مطالب.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۱۹۹

الفصل السادس: الصورة الحقيقية لغزوة ذات السلاسل

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۰۱

تتمات أغفلوها عمدا:

قلنا فى الفصل السابق: إن الحديث عن سرية ذات السلاسل. قد جاء مبتورا و محرفا، بصورة عجيبة و غريبة .. و قد ظهرت بعض سمات تحريفه فيما سبق، و سيأتى إن شاء اللّه المزيد عن ذلك فى الشروح، و الملاحظات، و الإلفاتات الآتية ..

و أما بالنسبة لكونه جاء مبتورا، فتوضحه نصوص أخرى قد جرى إغماض النظر عنها عمدا، لأنها ليس فقط لا تنسجم مع الهوى السياسى و المذهبى لأولئك الذين تصدوا لتدوين التاريخ ..

بل هى تفسد عليهم خطتهم التى ترمى إلى سوق الأمور باتجاه معين، يخدم أهدافا رسمت، و أهواء اتبعت و سياسات وضعت ..

و بما أن النصوص المشار إليها قد جاءت مطولة و مفصلة، فلا محيص عن اختصار و تلخيص بعضها. و إيراد بعضها الآخر كما هو ..

و هذا ما سوف نقوم به أولا .. ثم نلحق ذلك ببيانات و توضيحات نرى أنها ضرورية و مفيدة، فنقول:

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۰۲

نصوص أوجزناها:

و النصوص التى أوجزناها هى التالية:

۱- ورد فى بعض الروايات عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» وجّه عمر بن الخطاب فى سرية فرجع منهزما، يجبّن أصحابه و يجبنونه، فأرسل عليا «عليه السلام» و أمره أن لا يفارقه العين، فأغار عليهم، فنزلت: وَ الْعادِياتِ ضَبْحاً .. إلى آخر السورة «۱».

۲- و روى أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» لما بعث سرية ذات السلاسل، عقد الراية و سار بها أبو بكر، حتى إذا صار بها بقرب المشركين اتصل خبرهم فتحرزوا و لم يصل المسلمون إليهم، فأخذ الراية عمر و خرج مع السرية، فاتصل بهم خبرهم، فتحرزوا، و لم يصل المسلمون إليهم.

فأخذ الراية عمرو بن العاص، فخرج فى السرية فانهزموا.

فأخذ الراية لعلى، و ضم إليه أبا بكر، و عمر، و عمرو بن العاص، و من كان معه فى تلك السرية.

و كان المشركون قد أقاموا رقباء على جبالهم، ينظرون إلى كل عسكر يخرج إليهم من المدينة على الجادة، فيأخذون حذرهم و استعدادهم.

فلما خرج على «عليه السلام» ترك الجادة، و أخذ بالسرية فى الأودية بين الجبال.

---

(۱) أمالى ابن الشيخ ص ۲۵۹ و ۲۶۰ و البحار ج ۲۱ ص ۷۵ و ۷۶ عنه، و البرهان ج ۴ ص ۴۹۸ و ۴۹۹ و نور الثقلين ج ۵ ص ۶۵۲ و أمالى الطوسى ص ۴۰۷ و التفسير الصافى ج ۵ ص ۳۶۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۰۳

فلما رأى عمرو بن العاص و قد فعل على ذلك، علم أنه سيظفر بهم، فحسده فقال لأبى بكر، و عمر، و وجوه السرية: إن عليا رجل غر لا خبرة له بهذه المسالك، و نحن أعرف بها منه، و هذا الطريق الذى توجه فيه كثير السباع، و سيلقى الناس من معرتها أشد ما يحاذرونه من العدو، فاسألوه أن يرجع عنه إلى الجادة.

فعرّفوا أمير المؤمنين «عليه السلام» ذلك، قال: من كان طائعا للّه و لرسوله منكم فليتبعنى، و من أراد الخلاف على اللّه و رسوله فلينصرف عنى.

و فى نص آخر: فقال لهم أمير المؤمنين «عليه السلام»: الزموا رحالكم، و كفوا عما لا يعنيكم، و اسمعوا و أطيعوا فإنى أعلم بما أصنع

«۱».

فسكتوا، و ساروا معه، فكان يسير بهم بين الجبال فى الليل، و يكمن فى الأودية بالنهار، و صارت السباع التى فيها كالسنانير، إلى أن كبس المشركين و هم غارون آمنون وقت الصبح، فظفر بالرجال، و الذرارى، و الأموال، فحاز ذلك كله، و شد الرجال فى الحبال كالسلاسل، فلذلك سميت غزاة ذات السلاسل.

فلما كانت الصبيحة التى أغار فيها أمير المؤمنين «عليه السلام» على العدو- و من المدينة إلى هناك خمس مراحل- خرج النبى «صلى اللّه عليه و آله» فصلى بالناس الفجر، و قرأ: «و العاديات» فى الركعة الأولى، و قال:

«هذه سورة أنزلها اللّه علىّ فى هذا الوقت، يخبرنى فيها بإغارة على على العدو،

---

(۱) راجع هذه الفقرة: البحار ج ۲۱ ص ۷۴ و تفسير القمى ج ۲ ص ۴۳۹ و تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۶۵۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۰۴

و جعل حسده لعلى حسدا له، فقال: إِنَّ الْإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ «۱». و الكنود:

الحسود «۲».

۳- و ذكر نص آخر: أن أعرابيا أخبر النبى «صلى اللّه عليه و آله» باجتماع قوم من العرب فى وادى الرمل ليبيتوه فى المدينة .. فأخبر النبى «صلى اللّه عليه و آله» المسلمين ..

فانتدب إليهم جماعة من أهل الصفة، فأقرع بينهم، فخرجت القرعة على ثمانين رجلا، فاستدعى أبا بكر، فقال له: خذ اللواء، و امض إلى بنى سليم، فإنهم قريب من الحرة ..

فمضى إليهم. و هم ببطن الوادى، و المنحدر إليهم صعب. فخرجوا إليه- حين أرادوا الإنحدار- فهزموه، و قتلوا من المسلمين جمعا كثيرا.

فعقد «صلى اللّه عليه و آله» لعمر بن الخطاب و بعثه إليهم .. فهزموه أيضا.

فأرسل إليهم عمرو بن العاص بطلب من عمرو نفسه، فخرجوا إليه، فهزموه، و قتلوا جماعة من أصحابه ..

فدعا عليا «عليه السلام»، فعقد له، ثم قال: «أرسلته كرارا غير فرار».

و شيعه إلى مسجد الأحزاب، و أنفذ معه أبا بكر، و عمر، و عمرو بن العاص.

فسار بهم «عليه السلام» نحو العراق متنكبا للطريق، حتى ظنوا أنه

---

(۱) الآية ۶ من سورة العاديات.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۷۶ و ۷۷ و الخرايج و الجرايح ج ۱ ص ۱۶۷ و ۱۶۸ و راجع:

إثبات الهداة ج ۲ ص ۱۱۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۰۵

يريد بهم غير ذلك الوجه، ثم انحدر بهم على محجة غامضة، حتى استقبل الوادى من فمه ..

و كان يسير بالليل، و يكمن بالنهار.

فلما قرب من الوادى أمرهم أن يعكموا الخيل ..

فعرف عمرو بن العاص أنه الفتح.

ثم ذكرت الرواية نحو ما تقدم فى الرواية السابقة.

ثم قالت: قالوا: و قتل منهم مئة و عشرين رجلا. و كان رئيس القوم الحارث بن بشر، و سبى منهم مئة و عشرين.

فلما رجع و استقبله النبى «صلى اللّه عليه و آله» و المسلمون ..

قال له: «لولا أنى أشفق أن تقول فيك طوائف من أمتى ما قالت النصارى فى المسيح عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم مقالا لا تمر بملأ من الناس إلا و أخذوا التراب من تحت قدميك» «۱».

۴- و جاء فى نص آخر: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» أخبر الناس بما أنذر به الإعرابى، و قال لهم: «فمن للوادى»؟

فقام رجل من المهاجرين، فقال: أنا له يا رسول اللّه، فناوله اللواء، و ضم إليه سبع مائة رجل، فسار إليهم، فسألوه عن شأنه، فأخبرهم، فقالوا: «ارجع إلى صاحبك، فإنّا فى جمع لا تقوم له»، فرجع.

---

(۱) الإرشاد للمفيد ج ۱ ص ۱۶۴ و ۱۶۵ و البحار ج ۲۱ ص ۷۷- ۷۹ و راجع ص ۸۳ و ۸۴ و تفسير فرات، و البرهان (تفسير) ج ۴ ص ۴۹۸ و المستجاد من الإرشاد ص ۱۰۳ و كشف الغمة ج ۱ ص ۲۰۳ و ۲۳۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۲۰۶

فأرسل مهاجريا آخر، فمضى ثم عاد بمثل ما عاد به صاحبه.

فأرسل عليا «عليه السلام» فمضى إلى وادى الرمل، فوافى القوم بسحر فأقام حتى أصبح، ثم عرض على القوم أن يسلموا أو يضربهم بالسيف، فطلبوا منه أن يرجع كما رجع صاحباه، فأبى، و أخبرهم أنه على، فاضطربوا لما عرفوه ثم اجترأوا على مواقعته، فقتل منهم ستة أو سبعة، و انهزموا، و ظفر المسلمون بالغنائم، و رجعوا.

فاستقبله المسلمون و النبى، فلما بصر بالنبى «صلى اللّه عليه و آله» ترجل عن فرسه، و أهوى إلى قدميه يقبلهما.

فقال له «صلى اللّه عليه و آله»: «اركب، فإن اللّه تعالى و رسوله عنك راضيان».

فبكى على «عليه السلام» فرحا، و نزلت سورة العاديات فى هذه المناسبة «۱».

۵- و فى حديث ابن عباس: أنه «صلى اللّه عليه و آله» دعا أبا بكر إلى غزوة ذات السلاسل، فأعطاه الراية فردها ..

ثم دعا عمر، فأعطاه الراية فردها.

ثم دعا خالد بن الوليد فأعطاه الراية، فرجع.

---

(۱) راجع: الإرشاد للمفيد ج ۱ ص ۱۱۴- ۱۱۷ و البحار ج ۲۱ ص ۸۰- ۸۲ عنه و ج ۳۶ ص ۱۷۸ و ۱۷۹ و ج ۴۱ ص ۹۲ و ۹۳ و عن إعلام الورى ص ۱۱۶ و ۱۱۷ و مناقب آل أبى طالب ص ۳۲۸- ۳۳۰ و المستجاد من الإرشاد ص ۱۰۰- ۱۰۳ و شجرة طوبى ج ۲ ص ۲۹۵ و ۲۹۶ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۵۷۴- ۵۷۶ و عن كشف الغمة ج ۱ ص ۲۳۰- ۲۳۲ و كشف اليقين ص ۱۵۱ و ۱۵۲ و تأويل الآيات ج ۲ ص ۸۴۰ و ۸۴۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۲۰۷

فأعطاها عليا «عليه السلام» فانطلق بالعسكر، فنزل فى أسفل جبل كان بينه و بين القوم، و قال: اركبوا (لعل الصحيح: اكعموا) دوابكم.

فشكا خالد لأبى بكر و عمر: أنه أنزلهم فى واد كثير الحيات، كثير الهام، كثير السباع، فإما يأكلهم مع دوابهم سبع، أو تعقرهم و دوابهم حيات، أو يعلم بهم العدو فيقتلهم ..

فراجعوا عليا «عليه السلام» بالأمر، فلم يقبل منهم.

ثم راجعوه مرة أخرى فلم يقبل.

فلما كان السحر أمرهم فطلعوا الجبل، و انحدروا على القوم، فأشرف عليهم، و قال لأصحابه: انزعوا عكمة دوابكم، فشمّت الخيل ريح

الإناث، فصهلت، فسمع القوم صهيل الخيل فهربوا.

فقتل مقاتليهم، و سبى ذرايهم. فنزلت سورة «و العاديات» على النبى «صلى اللّه عليه و آله»، ثم جاءته البشارة «۱».

إختلافات لها حل:

اشارة

و قد ظهرت فى النصوص المتقدمة بعض الاختلافات التى تحتاج إلى معالجة معقولة و مقبولة.

و هذه المعالجة ليست بعيدة المنال فى هذا المورد الذى نحن بصدد الحديث عنه.

و نحن نذكر نماذج منها، ثم نعقب ذلك بما نراه معالجة مناسبة، فنقول:

---

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۸۲ و ۸۳ و ج ۴۱ ص ۹۲ و ۹۳ و مناقب آل أبى طالب ج ۲ ص ۳۲۸ و ۳۲۹ و شجرة طوبى ج ۲ ص ۲۹۵ و تفسير فرات ص ۵۹۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۰۸

۱- ما هو المقصد؟!

و هل بعث النبى «صلى اللّه عليه و آله» هذه السرية إلى قضاعة، و إلى عاملة، و لخم، و جذام، و كانوا مجتمعين «۱».

أو إلى قضاعة فقط كما فى الروايات الأخرى، بعد أن بلغه أنهم أرادوا أن يدنوا إلى أطراف المدينة «۲». أو بعثها إلى بنى سليم «۳».

بل فى بعض الروايات: أنه «صلى اللّه عليه و آله» بعث عمرو بن العاص، يستنفر العرب إلى الشام «۴».

۲- المقتولون من الأعداء:

و قد ذكرت بعض نصوص هذه الغزوة: أن المقتولين من الأعداء حين هاجمهم على «عليه السلام» هم مئة و عشرون رجلا، و سبى منهم مئة

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۶۸ عن البلاذرى.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۶۷ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۷۰ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۷۱ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۱۳۱ ..

(۳) البحار ج ۲۱ ص ۷۷ و ۸۳ و ج ۳۶ ص ۱۷۸ و تفسير فرات ص ۵۹۲ و كشف اليقين ص ۱۵۱ و تأويل الآيات ج ۲ ص ۸۴۰ و ۸۴۱.

(۴) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۶۷ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۷۰ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲ ص ۲۳ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۱۲ و ج ۵ ص ۲۳۸ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۱۰۴۰ و الإمامة و السياسة ج ۱ ص ۲۰۸ و السيرة النبوية لابن كثير

ج ۳ ص ۵۱۶ و ج ۴ ص ۴۳۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۰۹

و عشرون ناهدا «۱».

و فى نص آخر: قتل منهم ستة أو سبعة، ثم انهزموا «۲».

۳- المحرض على الاعتراض:

و ثمة من يصرح: بأن عمرو بن العاص هو الذى حرك أبا بكر و عمر ليعترضا على على «عليه السلام»، لأنه سار بهم فى طريق و عرة، أو نزل بهم فى موضع صعب «۳».

ثم نجد ما يدل: على أن المحرض على الاعتراض هو خالد بن الوليد، لا عمرو بن العاص «۴».

۴- محور الاعتراض:

و هل اعترض أبو بكر، و عمر، و عمرو بن العاص على المنزل الذى أنزلهم على «عليه السلام» فيه «۵».

---

(۱) تفسير فرات ص ۵۹۳ و البحار ج ۲۱ ص ۸۴ عنه.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۸۱ و الإرشاد للمفيد ج ۱ ص ۱۱۶ و إعلام الورى ص ۱۱۶ و ۱۱۷ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۵۷۶.

(۳) البحار ج ۲۱ ص ۷۷ و ۷۸ و ج ۳۶ ص ۱۷۹ و ج ۴۱ ص ۹۲ و الخرايج و الجرايح ج ۱ ص ۱۶۷ و الإرشاد ج ۱ ص ۱۶۴ و تأويل الآيات ج ۲ ص ۸۴۲ و كشف اليقين ص ۱۵۱ و ۱۵۲.

(۴) البحار ج ۲۱ ص ۸۲ و ج ۴۱ ص ۹۲ و تفسير فرات ص ۵۹۱.

(۵) البحار ج ۲۱ ص ۸۲ و ج ۳۶ ص ۱۷۹ و ج ۴۱ ص ۹۲ و تفسير فرات ص ۵۹۱ و شجرة طوبى ج ۲ ص ۲۹۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۱۰

أو أنهم اعترضوا على الطريق التى سلكها بهم «۱».

۵- من المخبر للنبى صلّى اللّه عليه و آله بجمع الأعداء؟!:

و قد تحدثت بعض الروايات عن أن جبرئيل هو الذى أخبر النبى «صلى اللّه عليه و آله» بجمع هؤلاء الأعداء، و بعددهم، و بما تعاقدوا و تعاهدوا عليه، فأخبر النبى «صلى اللّه عليه و آله» الناس بذلك «۲».

و لكن نصوصا أخرى تقول: إن الذى أخبر النبى «صلى اللّه عليه و آله» بجمعهم هو رجل أعرابى «۳».

۶- وقت الإغارة:

تذكر روايات: أن عليا «عليه السلام» أغار على الأعداء عند الفجر «۴».

(۱) الإرشاد ج ۱ ص ۱۶۴ و تأويل الآيات ج ۲ ص ۸۴۲ و كشف اليقين ص ۱۵۱ و ۱۵۲ و كشف الغمة ج ۱ ص ۲۳۱ و البحار ج ۲۱ ص ۷۷ و ۷۸.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۶۸ و تفسير القمى ج ۲ ص ۴۳۴ و تفسير الثقلين ج ۵ ص ۶۵۲ و تفسير الصافى ج ۵ ص ۳۶۲ و تأويل الآيات ج ۲ ص ۸۴۴.

(۳) البحار ج ۲۱ ص ۷۷ و ۸۰ و الإرشاد ج ۱ ص ۱۱۴ و ۱۶۲ و كشف الغمة ج ۱ ص ۲۳۰ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۸۴۴.

(۴) راجع: البحار ج ۲۱ ص ۷۶ و ۷۷ و ۷۹ و ۸۳ و ج ۴۱ ص ۹۲ و الأمالى للشيخ ص ۲۵۹ و ۲۶۰ و شجرة طوبى ج ۲ ص ۲۹۵ و تفسير فرات ص ۶۰۲ و مناقب آل أبى طالب ج ۲ ص ۳۲۹ و الخرايج و الجرايح ج ۱ ص ۱۶۸ و الإرشاد ج ۱ ص ۱۶۵ و المستجاد فى الإرشاد ص ۱۰۳ و كشف الغمة ج ۱ ص ۲۳۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۲۱۱

و بعضها يقول: عند السحر «۱».

۷- ماذا جرى لأبى بكر و عمرو بن العاص؟!

و هل خرج إلى أبى بكر مئتا رجل فكلموه و خوفوه فرجع، حسبما تقدم؟! «۲». أم أنه لما صار أبو بكر إلى الوادى، و أراد الانحدار خرجوا إليه، فهزموه، و قتلوا من المسلمين جمعا كثيرا؟!

ثم أرسل إليهم عمر بن الخطاب، فجرى له نفس ما جرى لأبى بكر.

ثم أرسل عمرو بن العاص، فكان الأمر كذلك أيضا «۳».

۸- كيف أوقع على عليه السّلام بالأعداء؟!

و فى حين تذكر روايات: أن عليا «عليه السلام»، سار إلى أن كبس المشركين، و هم غارون، فظفر بهم «۴».

(۱) البحار ج ۱ ص ۸۳ و ۸۴ و تفسير فرات ص ۵۹۲.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۶۹ و ۷۰ و تفسير القمى ج ۲ ص ۴۳۵ و تفسير فرات ص ۵۹۹ و تفسير الصافى ج ۵ ص ۳۶۲ و إعلام الورى ص ۱۱۶ و ۱۱۷ و تأويل الآيات ص ۸۴۵ و تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۶۵۳.

(۳) البحار ج ۲۱ ص ۷۸ و ج ۳۶ ص ۱۷۹ و ج ۴۱ ص ۹۲ و الإرشاد ج ۱ ص ۱۶۳ و مناقب آل أبى طالب ج ۲ ص ۳۲۸ و المستجاد من الإرشاد ص ۱۰۱ و ۱۰۲ و تأوى الآيات ج ۲ ص ۸۴۰ و كشف الغمة ج ۱ ص ۲۳۱ و كشف اليقين ص ۱۵۱.

(۴) البحار ج ۲۱ ص ۷۹ و ۸۴ و تفسير فرات ص ۵۹۳ ص ۶۰۲ و الخرايج و الجرايح ج ۱ ص ۱۶۸ و راجع: الإرشاد ج ۱ ص ۱۶۵ و المستجاد من الغرشاد ص ۱۰۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۲۱۲

تجد نصا آخر يقول: إنهم سمعوا صهيل خيله، فولوا هاربين «۱».

و فى نص ثالث: أنه «عليه السلام» خاطبهم، و أخبرهم: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» أرسله إليهم، ثم عرفهم بنفسه، فاجترؤا على مواقعته، فواقعهم، فقتل منهم ستة أو سبعة و انهزموا «۲».

۹- عدد قتلى المشركين:

و هل قتل من المشركين ستة أو سبعة «۳».

أو قتل منهم مئة و عشرون رجلا «۴».

۱۰- الذين هاجموا المشركين:

ثم إن بعض النصوص قد اقتصرت على ذكر عمرو بن العاص، و أنه هاجم المشركين، فهربوا، و دوّخ تلك البلاد، و هى التى اختارها عموم المؤرخين، من الفريق المحب لعمرو بن العاص.

و لكن نصا آخر يذكر: أنه أرسل عمر، ففشل، فأرسل عليا «عليه

---

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۸۳ و ج ۴۱ ص ۹۳ و تفسير فرات ص ۵۹۲ و مناقب آل أبى طالب ج ۳۲ ص ۳۲۹.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۸۱ و الإرشاد للمفيد ج ۱ ص ۱۱۶ و إعلام الورى ص ۱۱۶ و ۱۱۷ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۵۷۶.

(۳) البحار ج ۲۱ ص ۸۱ و الإرشاد للمفيد ج ۱ ص ۱۱۶ و إعلام الورى ص ۱۱۶ و ۱۱۷ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۵۷۶.

(۴) البحار ج ۲۱ ص ۸۴ و تفسير فرات ص ۵۹۳.

السلام» «۱»، فكان الفتح على يديه.

و ذكر نص آخر: إرسال أبى بكر، ثم عمر، ثم على «۲».

و فى نص آخر ذكر: رجلا من المهاجرين، ثم رجلا من المهاجرين، ثم عليا «۳».

و ذكر نص آخر: أبا بكر، ثم عمر، ثم عمرو بن العاص، ثم عليا «عليه السلام» «۴».

و فى نص أيضا: أنه «صلى اللّه عليه و آله» أعطى الراية أبا بكر، فردها، ثم أعطاها عمر، فردها. ثم أعطاها خالدا، فرجع. ثم أعطاها عليا «عليه السلام» «۵».

۱۱- كيف عرف المشركون بجيش على عليه السّلام:

و قد ذكرت بعض تلك الروايات: أن المشركين عرفوا بوجود جيش

---

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۷۵ و الأمالى للشيخ ص ۲۵۹ و ۲۶۰ و التفسير الصافى ج ۵ ص ۳۶۱ و التفسير الأصفى ج ۲ ص ۱۴۶۹.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۶۸ و تفسير القمى ج ۲ ص ۴۳۴ و تأويل الايات ج ۲ ص ۸۴۴ و تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۶۵۲ و تفسير الصافى ج ۵ ص ۳۶۲.

(۳) البحار ج ۲۱ ص ۸۰ و راجع ص ۶۶ و الإرشاد للمفيد ج ۱ ص ۱۱۴ و إعلام الورى ص ۱۱۶ و ۱۱۷ و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۲۸ و ۵۲۹ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۵۷۴.

(۴) البحار ج ۲۱ ص ۷۷ و ج ۴۱ ص ۹۲ و الخرايج و الجرايح ج ۱ ص ۱۶۷ و الإرشاد ج ۱ ص ۱۶۳ و مناقب آل أبى طالب ج ۲ ص ۳۲۸ و المستجاد من الإرشاد ص ۱۰۱ و كشف الغمة ج ۱ ص ۲۳۱.

(۵) البحار ج ۲۱ ص ۸۲ و تفسير فرات ص ۵۹۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۲۱۴

على «عليه السلام» حين سمعوا صهيل خيل المسلمين، فولوا هاربين «۱».

و نص آخر يقول: بل كلمهم على «عليه السلام» ثم واقعهم «۲».

۱۲- وادى اليابس أم وادى الرمل:

و ذكرت بعض الروايات: أن السرية أرسلت إلى وادى اليابس «۳».

و ذكر بعضها: أنها أرسلت إلى وادى الرمل «۴».

هذا هو الحل:

و بعد ما تقدم نقول:

هناك سؤال يقول: ألا يضعف هذا الاختلاف من درجة اعتبار هذه

---

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۸۳ ج ۴۱ ص ۹۳ و تفسير فرات ص ۵۹۲ و مناقب آل أبى طالب ج ۲ ص ۳۲۹.

(۲) الإرشاد للمفيد ج ۱ ص ۱۱۴- ۱۱۷ و البحار ج ۲۱ ص ۸۰- ۸۲ و ج ۴۱ ص ۹۲ و عن إعلام الورى ص ۱۱۶ و ۱۱۷ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۵۷۴- ۵۷۶.

(۳) البحار ج ۲۱ ص ۶۸ و شجرة طوبى ج ۲ ص ۲۹۵ و تفسير القمى ج ۲ ص ۴۳۴ و تفسير فرات ص ۵۹۹ و التفسير الصافى ج ۵ ص ۳۶۲ و التفسير الأصفى ج ۲ ص ۱۴۶۹ و بحوث فى تاريخ القرآن للزرندى ص ۵۱ و تأويل الآيات ج ۲ ص ۸۴۴.

(۴) مستدرك الوسائل ج ۴ ص ۱۶۱ و البحار ج ۲۰ ص ۳۰۸ و ج ۲۱ ص ۸۰ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۵۷۴ و إعلام الورى ج ۱ ص ۳۸۲ و كشف الغمة ج ۱ ص ۲۳۰ و الإرشاد ج ۱ ص ۱۶۲ و المستجاد فى الإرشاد ص ۱۰۰ و مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۷۴ و النص و الإجتهاد ص ۳۳۶ و كشف اليقين ص ۱۵۱ و تأويل الآيات ج ۲ ص ۸۴۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۲۱۵

الروايات، و يسقطها عن صلاحية الاعتماد عليها؟!

و يمكن أن نجيب: أن هذه الاختلافات لا تصل إلى حد التناقض و الاختلاف.

إذ يمكن أن يعترض عمرو بن العاص على على «عليه السلام»، ثم يحرض أبا بكر و عمر على ثنى عزيمة على «عليه السلام»، على مواصلة مسيره ذاك ..

و يمكن أن يعترض أبو بكر و عمر على على «عليه السلام» مرتين، مرة على المسير المخيف، و مرة أخرى على المنزل المخيف.

و يمكن أن يخبر جبرئيل بجمع الأعداء، ثم يخبر به ذلك الأعرابى مرة أخرى.

و يمكن أن يكبس على «عليه السلام» المشركين، و هم غارون. ثم تكون أول معرفتهم بالمهاجمين هو حين سمعوا صهيل الخيل، فهربوا فأوقع بهم على «عليه السلام» ..

و يمكن أن يكون قد واقعهم فى اليوم الأول، فقتل منهم ستة أو سبعة فانهزموا، ثم لما استقر بهم المقام عاد فهاجمهم فى فجر اليوم التالى، فقتل منهم مائة و عشرين رجلا ..

و يمكن أن يكون هناك واد واحد يسمى بوادى اليابس تارة، و بوادى الرمل أخرى.

و يمكن أن تذكر بعض النصوص مهاجمة عمر، ثم على لهم .. و تسكت عن مهاجمة أبى بكر و عمرو و خالد .. و لكن راويا آخر يضيف أبا بكر، ثم يضيف راو ثالث عمروا، أو خالدا ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۱۶

و يمكن أن يفاجئهم على «عليه السلام» بالجيش، ثم يكلمهم و يقيم عليهم الحجة، و يحصل بعض المواجهات فيما بينهم، و يقتل منهم ستة، أو سبعة .. ثم يغير عليهم مرة أخرى بعد ذلك، فى وقت السحر أو حين طلوع الفجر.

و يمكن أن تجتمع سليم، و قضاعة، و لخم، و جذام .. فيروى أحد الرواة وجود هذا الفريق، و يهمل الإشارة إلى من عداه .. و لهذا الإهمال أسبابه التى تختلف من شخص لآخر أيضا، ثم يذكر راو آخرن ذلك الفريق، و يهمل من عداه.

و يمكن أن تكون هناك مهمات عديدة لبعث واحد، مثل أن يواجه الأعداء المتربصين من جهة، و أن يستنفر العرب إلى الشام أيضا ..

و يمكن: أن يعبر عن الصبح و الفجر بالسحر، و كذلك العكس لتقارب الوقتين و اتصالهما، خصوصا و أن الناس يتسامحون فى مثل هذه الاختلافات.

و يمكن: أن تتعدد التعابير بتعدد الهجمات، فإحداها كانت عند السحر، و الأخرى عند الصبح و هكذا ..

و يمكن: أن يتحدث أحدهم عن أن عدد الجيش هو سبع مائة، و يكون نظره إلى أول دفعة، ينتدبها، و يغض الرسول «صلى اللّه عليه و آله» الطرف عن ذكر العدد النهائى.

إختلافات لا حل لها:

اشارة

و تبقى هناك اختلافات لا مجال لحلها على الطريقة المتقدمة .. بل تحتاج

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۱۷

إلى حلول أخرى قد يكون من بينها الحكم على الرواية بالتحريف و التزييف، إذا قامت الأدلة و الشواهد الأخرى على ذلك ..

و قد يكون من بينها أيضا الحكم بتعدد الواقعة، إذا كان ذلك ممكنا، حتى و إن استلزم ذلك نسبة الوهم و الخطأ إلى بعض الناقلين، حيث ظنوا بأن تلك الوقائع واحدة، لمجرد رؤيتهم لبعض مفردات التشابه فيما بينها.

فأقحموا توضيحات و تفسيرات من عند أنفسهم، ظنا منهم أنهم يسهلون فهم الأمور على من بعدهم ..

و لعل مما يصلح شاهدا على ما نقول: هذا التشابه الشديد فيما بين السرايا، ثم هذا التشابه بين مضامين عدد من الأحاديث أيضا .. حتى إنك تجد أمرا واحدا يذكر فى العديد من المواقع و المواضع ..

و من شواهد إقحام الرواة تفسيراتهم الخاطئة فى النص ما يذكر فى ولادة الحسنين «عليهما السلام»، من أن أسماء كانت حاضرة آنئذ،

و أتت بهما إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

و المراد هو: أسماء بنت يزيد الأنصارية، أو أسماء أخرى منهم، و لكن الرواة أقحموا كلمة «بنت عميس» من عند أنفسهم، ربما لارتكاز ذلك فى أنفسهم، أو بهدف التوضيح، مع أن أسماء بنت عميس كانت حين ولادة الحسنين «عليهما السلام» مع زوجها جعفر بن أبى طالب فى الحبشة ..

و قد يسأل سائل هنا: عن السبب فى أن كثيرا من مؤرخى أهل السنة، و المتصدين لمعالجة رواياتهم منهم، حين يلاحظون وجود بعض الاختلافات بين الروايات يبادرون إلى الحكم بتعدد الواقعة ..

و لكنهم لم يذكروا شيئا من ذلك فى غزوة ذات السلاسل.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۱۸

و الجواب: أن ذلك يعود إلى أنهم قد قصروا نظرهم فى هذه الغزوة على مروياتهم هم، و التى تحصر الموضوع فى عمرو بن العاص، و ادعاء أنه دوّخ بلاد قضاعة، و عاد منتصرا .. و لم يكترثوا بالروايات الأخرى التى وردت فى مصنفات سائر المسلمين، و لا سيما شيعة و اتباع خط و نهج أهل البيت «عليهم السلام».

۱- عدد أفراد السرية:

و قد روى المؤرخون المتعاطفون مع عمرو بن العاص، و أبى عبيدة و غيرهما، و المهتمون بحفظ ماء وجههم: أن عدد أفراد سرية ذات السلاسل بلغ خمس مائة مقاتل، مائتان منهم جاء بهم أبو عبيدة مددا لعمرو بن العاص. و قد تقدم ذلك فى فصل سابق «۱».

أما الروايات الأخرى فتقول: إن العدد قد بلغ أربعة آلاف مقاتل «۲».

و رواية أخرى تقول: كانوا سبع مائة مقاتل «۳».

---

(۱) راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۶۷ و ۱۶۸ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۷۰ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۱۷۵ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۷۱ و عن فتح البارى ج ۸ ص ۵۹ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۱۳۱ و غير ذلك كثير.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۶۷- ۷۳ و تفسير القمى ج ۲ ص و تفسير فرات ص ۵۹۹ و التفسير الصافى ج ۵ ص ۳۶۲ و تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۶۵۲ و تأويل الآيات ج ۲ ص ۸۴۴.

(۳) البحار ج ۲۱ ص ۸۰ و ۸۲ و الإرشاد للمفيد ج ۱ ص ۱۱۴ و ۱۱۷ و عن إعلام الورى ص ۱۱۶ و ۱۱۷ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۵۷۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۱۹

و هناك نص يقول: إنه أرسل عليا «عليه السلام» فى ثمانين من أهل الصفة، أخرجتهم له القرعة «۱».

۲- المقتولون مع أبى بكر:

إن بعض الروايات تصرح: بأن أبا بكر قد عاد إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» دون أن يباشر قتالا، و كذلك عمر- و هى رواية القمى ..

و رواية أخرى ذكرت: أن أولئك القوم خرجوا إلى أبى بكر، فهزموه، و قتلوا من المسلمين جمعا كثيرا «۲».

۳- اختلاف التاريخ:

هناك من يقول: إنها كانت قبل مؤتة- كابن إسحاق-.

و قيل: بعدها.

و قيل: كانت سنة سبع.

و قيل: ثمان، فى جمادى الآخرة ..

و كل ذلك قد تقدم.

---

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۷۷- ۷۹ و ۸۳ و ۸۴ و ج ۳۶ ص ۱۷۸ و راجع: الإرشاد للمفيد ج ۱ ص ۱۶۴- ۱۶۶ و تفسير فرات ص ۵۹۲ و المستجاد فى الإرشاد ص ۱۰۱ و كشف اليقين ص ۱۵۱ و تأويل الآيات ج ۲ ص ۸۴۰ و كشف الغمة ج ۱ ص ۲۳.

(۲) الإرشاد للمفيد ج ۱ ص ۱۶۳ البحار ج ۲۱ ص ۷۸ عنه و مناقب آل أبى طالب ج ۲ ص ۳۲۸ و المستجاد من الإرشاد ص ۱۰۱ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۵۷۷ و كشف الغمة ج ۱ ص ۲۳۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۲۰

فإن كانت سنة سبع، فذلك لا يتلاءم مع القول: بأن عمرو بن العاص قد اسلم أول سنة ثمان، و أنه قد حضر هذه الغزوة، و كان له دور فيها ..

و ذكرها المفيد رحمه اللّه بعد غزوة تبوك، و ذكرها على وجه آخر- على ما فى بعض النسخ القديمة- بعد غزوة بنى قريظة، و قبل غزوة بنى المصطلق «۱».

قال المجلسى نقلا عن المفيد: و قد كان من أمير المؤمنين عليه السلام فى غزوة وادى الرمل- و يقال: إنها كانت تسمى بغزوة السلسلة «۲».

۴- بعدها عن المدينة:

و هل تبعد عن المدينة اثنتا عشرة مرحلة «۳».

أربع عشرة مرحلة؟ «۴».

أو تبعد عنها خمس مراحل فقط؟ «۵».

---

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۸۰.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۸۰ و مستدرك الوسائل ج ۴ ص ۱۶۱ و الإرشاد ج ۱ ص ۱۱۳ و بيت الأحزان ص ۲۷.

(۳) معجم البلدان ج ۲ ص ۱۵ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۴۷۹ و كتاب العين للفراهيدى ج ۵ ص ۳۴۲.

(۴) راجع: فتح البارى ج ۸ ص ۴۴۸ و شرح النووى (ط دار الكتاب العربى) ج ۱۵ ص ۴۵ و (ط دار الفكر) ص ۵۸ و تحفة الأحوذى (ط دار الفكر) ج ۵ ص ۳۱۲ و ج ۸ ص ۴۰۵ و (ط دار الكتب العلمية) ج ۵ ص ۳۱۰ و ج ۸ ص ۴۰۲ و شجرة طوبى ج ۲ ص ۳۱۲ و عون المعبود ج ۱ ص ۱۷۴ و عمدة القارى ج ۹ ص ۶۴ و مجمع البحرين ج ۱ ص ۲۶۵.

(۵) البحار ج ۲۱ ص ۷۷ و الخرايج و الجرايح ج ۱ ص ۱۶۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۲۲۱

و فى جميع الأحوال نقول: إنه يمكن اعتماد الرواية التى تقول: إن المكان كان قريبا من المدينة .. و ذلك للرواية التى تقول: «كان المشركون قد أقاموا رقباء على جبالهم، ينظرون إلى كل عسكر يخرج إليهم من المدينة على الجادة، فيأخذون حذرهم الخ ..» «۱».

و فى نص آخر: أنه «صلى اللّه عليه و آله» أرسلهم لغزوة بنى سليم، فإنهم قريب من الحرة «۲».

هل هناك اكثر من سرية؟!:

و هذه الاختلافات فى الموارد الأربعة المتقدمة تدعونا للتفكير بجدية فى اعتبارها مبررا لتقوية احتمال تعدد الحادثة، و أن هذه الحوادث قد تشابهت فى بعض عناصرها.

إلا أن يحمل هذا الاختلاف على وهم وقع فيه الرواة، أو عبث مارسوه، لغاية فى أنفسهم .. و فى جميع الأحوال نقول:

إنه لا بد لنا من وقفات تدبر و تأمل فى النصوص المذكورة، فلاحظ ما نذكره فيما يلى:

---

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۷۷ و الخرايج و الجرايح ج ۱ ص ۱۶۷.

(۲) الإرشاد للمفيد ج ۱ ص ۱۶۳- ۱۶۵ و البحار ج ۲۱ ص ۷۷- ۷۹ و ۸۳ و ۸۴ عنه، و عن تفسير فرات ص ۵۹۲ و المستجاد من الإرشاد ص ۱۰۱ و كشف الغمة ج ۱ ص ۲۳۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۲۲۲

الإغارة قبل الاحتجاج أم بعده؟!

و نريد أن نرجح هنا: أن عليا صلوات اللّه و سلامه عليه قد فاجأ الأعداء فى اليوم الأول، و دعاهم إلى ما فيه لهم خير و صلاح، و فلاح و نجاح، فأصروا، فواقعهم، فقتل منهم ستة أو سبعة، ثم أغار عليهم فى سحر الليلة الثانية، أو حين الفجر، فأوقع بهم، و قتل منهم مئة و عشرين رجلا، و أسر منهم مئة و عشرين ناهدا، و غنم ما شاء اللّه ..

نقول هذا لأننا نعرف: أن عليا «عليه السلام» لم يكن يحارب قوما إلا بعد أن ينذرهم، و يحذرهم، و يحتج عليهم، فإذا أصروا على العناد و الحرب واقعهم ..

و قد أوصاه النبى «صلى اللّه عليه و آله» بذلك- فيما روى- فقال له: «يا على لا تقاتل أحدا حتى تدعوه إلى الإسلام الخ ..» «۱».

بل لقد روى عن الصادق «عليه السلام» أنه قال: ما بيّت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عدوا قط ليلا «۲».

---

(۱) البحار ج ۱۹ ص ۱۶۷ و ج ۹۷ ص ۳۴ و ج ۹۸ ص ۳۶۴ و الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ۱۱ ص ۳۰ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ۱۵ ص ۴۳ و فى هامشه عن فروع الكافى ج ۱ ص ۲۳۵ و ۳۳۷ و عن تهذيب الأحكام ج ۲ ص ۴۷ و الكافى ج ۵ ص ۳۶ و مستدرك الوسائل ج ۱۱ ص ۳۰ و ج ۱۷ ص ۲۱۰ و كتاب النوادر ص ۱۴۰ و مستدرك سفينة البحار ج ۱۰ ص ۵۰۲ و منتهى المطلب (ط ق) ج ۲ ص ۹۰۴ و تذكرة الفقهاء (ط ج) ج ۹ ص ۴۴ و ۴۵ و رياض المسائل (ط ج) ج ۱ ص ۴۸۶ و ۴۹۳ و مشكاة الأنوار ص ۱۹۳.

(۲) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ۱۱ ص ۴۶ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ۱۵ ص ۶۳-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۲۲۳

و روى عنه «عليه السلام» قال: كان أمير المؤمنين «عليه السلام» لا يقاتل حتى تزول الشمس.

و يقول: تفتح أبواب السماء، و تقبل الرحمة، و ينزل النصر.

و يقول: هو أقرب إلى الليل، و أجدر أن يقلّ القتل، و يرجع الطالب، و يفلت المنهزم «۱».

فهل يصح بعد هذا كله، أن يقال: إنه قد فاجأهم، و قتل و سبا، و غنم، قبل أن يحتج عليهم ..

و قد يقال: إن قتال على «عليه السلام» لهؤلاء القوم إنما كان بعد أن غزوا، و قوتلوا، و قاتلوا، و ذلك حين سار إليهم أبو بكر، و عمر، و عمرو، و لا يجب دعوتهم فى مثل هذه الحال، كما دلت عليه الرواية عن الإمام الصادق «عليه السلام» «۲».

- و فى هامشه عن فروع الكافى ج ۱ ص ۳۳۴ و عن تهذيب الأحكام ج ۲ ص ۵۶ و منتهى المطلب (ط ق) ج ۲ ص ۹۰۹ و تذكرة الفقهاء (ط ق) ج ۱ ص ۴۱۲ و رياض المسائل (ط ق) ج ۱ ص ۴۸۹ و (ط ج) ج ۷ ص ۵۱۱ و جواهر الكلام ج ۲۱ ص ۸۲ و تهذيب الأحكام ج ۶ ص ۱۷۴.

(۱) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ۱۱ ص ۴۶ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ۱۵ ص ۶۳ و فى هامشه عن الكافى (الفروع) ج ۱ ص ۳۳۵ و عن علل الشرايع ج ۲ ص ۶۰۳ و عن تهذيب الأحكام ج ۲ ص ۵۶ و البحار ج ۳۳ ص ۴۵۳ و ج ۹۷ ص ۲۲ و الكافى للحلبى ص ۲۵۶ و رياض المسائل (ط ج) ج ۷ ص ۵۱۱ و جواهر الكلام ج ۲۱ ص ۸۱ و الكافى للكلينى ج ۵ ص ۲۸.

(۲) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ۱۱ ص ۳۰ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ۱۵-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۲۲۴

بل لقد ذكرت بعض الروايات: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» أمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم، و أنه صلوات اللّه و سلامه عليه قد فعل ذلك .. و قد ذكرنا ذلك فيما تقدم.

تحرزوا!! انهزموا!!

فى الحديث رقم (۲) المذكور فى صدر هذا الفصل، يلاحظ: أن الرواية تحاول أن تتحاشى التصريح بهزيمة أبى بكر و عمر، فتقول: «حتى إذا صار بها بقرب المشركين اتصل بهم خبرهم، فتحرزوا، و لم يصل المسلمون إليهم ..»

و هذا معنا: أن أبا بكر و عمر لم ينهزما بالراية، بل لم تجر حرب و لا صدام فيما بينهم و بين المشركين، لأن المشركين تحرزوا منهم.

و أما حين يصل الأمر إلى عمرو بن العاص فإن الحديث يصرح بهزيمة عمرو ..

فما هذا الحنان على أبى بكر و عمر، الذى لا يستحقه حتى عمرو بن العاص، مع أنه هو الآخر أيضا من أوليائهم و أحبائهم؟!

على أنك تلاحظ: أنهم حين يصلون إلى عمرو، لا يشيرون إلى تحرز المشركين، الذين كانوا أيضا يراقبون العساكر التى تخرج من المدينة ..

- ص ۴۳ و فى هامشه عن فروع الكافى ج ۱ ص ۳۳۲ و عن تهذيب الأحكام ج ۲ ص ۴۵ و راجع: جواهر الكلام ج ۲۱ ص ۱۸ و الكافى (ط دار الكتب الإسلامية) ج ۵ ص ۲۰ و تهذيب الأحكام (ط دار الكتب الإسلامية) ج ۶ ص ۱۳۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۲۲۵

فإن كانوا قد تحرزوا من أبى بكر و عمر، فلما ذا لم يتحرزوا من عمرو ..

لكى يرجع عمرو كما رجع صاحباه من دون أن يصل المسلمون إليهم؟!.

و إن كانوا لم يتحرزوا و هاجموا عمروا و من معه، فلما ذا لم يهاجموا أبا بكر و من معه، و عمر و من معه .. و تركوهم يرجعون قبل

أن يصلوا إليهم؟!.

القائد فقط هو السبب:

و ذكرت الروايـة المتقدمة برقم (۲) أيضـا: أنه «صـلى اللّه عليه و آله» لم يزد على أن «أخـذ الرايـة لعلى، و ضم إليه أبا بكر، و عمر، و عمرو بن العاص، و من كان معه فى تلك السـرية». فتحقق النصر العظيم على يده صلوات اللّه و سلامه عليه، مع أنه لم يجر أى تعديل، سوى أنه أعطى القيادة لأمير المؤمنين على «عليه السلام» ..

و هذا يشير إلى: أن العيب، أو فقل التقصير كان من القادة بالدرجة الأولى ..

بل يمكن القول: إن هزيمـة نفس هـذا الجيش ثلاث مرات متواليـة، من شأنها أن تجعل احتمالات الهزيمـة فى المرة الرابعة أقوى، لأن تلك الهزائم قد حطمت معنوياته و زادت من جرأة جيش الأعداء عليه، و من شراسته ضده.

و هـذا الأمر لا بـد من أن يؤثر فى زيادة الأمور صـعوبة، من حيث أنه يهيئ الأجواء لهزيمـة أتعس، و لمقاومـة من قبل الأعـداء أشد و أشرس.

و لكن النتائج قد جاءت على عكس ذلك تماما، و كان النصر على يد سيد الوصيين، و قائد الغر المحجلين، إلى جنات النعيم كما هو معلوم ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۲۶

حسد عمرو أشرّ من الهزيمة و أضرّ:

و بعد، فقد يمكن أن يلتمس للمهزوم عذر، و لو كان باهتا و ضعيفا، و لو بادعاء أن يكون خوفه على نفسه، و شدة الوجل و الوهل قد أذهله عن تكليفه الشرعى، و أضعف عزيمة التصدى و الصمود لديه .. ثم هو قد يراجع نفسه، و يندم على ما فرط منه، و يكون ما بدر منه حافزا له على أن يرمى نفسه فى أشد الأخطار، ليكفر عن ذنبه، و ليرضى بذلك ربه ..

و لكن أن يبـادر الإنسـان الـذى يعيش فى محيـط الأـمن و الأمـان، إلى العمـل على تضـييع النصـر، و إلحـاق الهزيمـة بنفسه، و بجيش المسـلمين لمجرد الاسـتجابة لرذيلة الحسد التى تحركت فى نفسه، فذلك يدل على خلل عميق فى الدين، و فى واقع الإيمان فى عمق ذاته ..

استجابة الشيخين لابن العاص:

و الذى يثير دهشة كل منصف: أن ينقاد أبو بكر و عمر لابن العاص، و أن يجيبا طلبه فى العمل على ثنى على «عليه السـلام» عن عزمه، و حمله على التراجع عن خطته فى مهاجمة العدو!!

فهـل همـا لم يلتفتـا إلى حقيقـة مـا يرمى إليه ابن العاص؟!. و كيف يكون ذلك و الحال: أن محبيهما ما زالوا يصـفونهما بالحصافـة و الحكمة و التبصر ..

و إن كانا قد التفتا إلى هذا الخطأ، ثم طاوعاه، و رضـيا بأن يكونا أداة بيده لتنفيذ مآربه، فالأمر يصـبح أدهى و أمر، و أتعس و أضـر، و لا نريد أن نقول أكثر من ذلك.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۲۷

أمير المؤمنين عليه السّلام يتهم:

و يظهر من جواب أمير المؤمنين «عليه السلام» لهؤلاء المعترضين: أنه يعتبر اتباعه «عليه السلام» إطاعة للّه و لرسوله «صلى اللّه عليه و آله»، و أن الاعتراض عليه عصيان للّه و لرسوله ..

و هو يصرح: بأن إصرارهم على اعتراضهم سوف ينتج طردهم من صفوف الجيش الذى يقوده «عليه السلام». و عليهم أن يواجهوا عاقبة فعلهم هذا، و أن يقدموا تفسيرا مقبولا و مرضيا لدى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ..

و إذا أضيف إلى ذلك جوابه الآخر، المتضمن لأمرهم بلزوم رحالهم، و الكف عما لا يعنيهم، فإنه يكون قد أفهمهم:

۱- أنه سوف يكون حازما فى موقفه هذا بنحو لا مجال فيه لأى جدل، أو اعتراض، لأنه فى موقف لا مجال لغير الحزم فيه، و سيكون إفساح المجال للجدل، و للتشكيك، و الأخذ و الرد فيه سببا فى خلق مشكلات و نشوء عراقيل قد تؤثر على المهمة التى انتدبه الرسول «صلى اللّه عليه و آله» لإنجازها.

۲- إن الانضباط فى المهمات القتالية، و الكون فى المواقع المحددة من قبل القيادة، يعطى القدرة على التخطيط، و الطمأنينة لسلامة التنفيذ، و يمكّن من تحقيق النتائج، بعيدا عن المفاجآت التى يهيئ لها الخلل فى الإعداد و الاستعداد ..

۳- إن تدخل الجنود فيما لا يعنيهم، و خصوصا فيما يرتبط بالقرارات الحربية للقيادة .. معناه: أن يفقد القائد قدرته على التأثير فى فرض تنفيذ قراراته.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۲۸

۴- إنه «عليه السلام» قد عرّف الناس: أن هذا الاعتراض يهدف إلى تهيئة الأجواء لعصيان أوامر القائد، و التمرد على قراراته، و ليس من مصلحة المعترضين أن يظهر هذا الأمر للناس، و لذلك فلم يعد أمامهم أى خيار سوى التراجع عن موقفهم ..

۵- إنه قد عرفهم و عرف الناس: أن ما يتذرعون به من أنهم يعرفون أمرا لم يكن على عارفا به غير صحيح، فهو عالم بما يصنع، و لذلك لا مجال لتضليل الناس بذرائع من هذا القبيل.

خطة على عليه السّلام:

إن حذر القوم الذين يراد مهاجمتهم، و استعدادهم لا بد أن يكون له أسبابه الواقعية .. و هى أحد أمرين هما:

۱- أن يكون لهم عين فى المسلمين، يرسل إليهم بما يجرى، و يعلمهم بتوجه السرية نحوهم، و بطبيعة تحركاتها ..

۲- أن يكون لهم رقباء فى الجبال المشرفة، يخبرونهم بما يرونه، فيحتاطون و يستعدون للأمر قبل وقوعه، اعتمادا على ما يبلغونهم إياه من مشاهدات، أو معلومات.

و قد كان سلوك على «عليه السلام» لطريق آخر يكفى لتعريف أولئك القادة الذين هزموا أو هربوا بأن عليا «عليه السلام» يتصرف بحكمة، و بدقة بالغة ..

و لأجل ذلك عرف عمرو بن العاص: أنه «عليه السلام» سيظفر بهم ..

فكيف لم يعرف بذلك أبو بكر و عمر؟ و لعل وضوح هذا الأمر و بداهته قد

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۲۹

جعل عليا «عليه السلام» يعتبر المعترضين يسعون إلى مجرد الخلاف عليه، و أنهم يريدون معصية اللّه و رسوله بذلك ..

تبييت العدو ليس غدرا:

و قد ذكرت الروايات المتقدمة، و سواها: أنه «عليه السلام»، قد بيت المشركين و كبسهم، و هم غارون فظفر بهم ..

و نعتقد: أن ذلك قد كان بعد الاحتجاج عليهم كما دلت عليه رواية القمى الآتية، التى ذكرت: أنه «صلى اللّه عليه و آله» أمرا أبا بكر «أن إذا رآهم أن يعرض عليهم الإسلام، فإن تابعوا و إلا واقعهم».

كما أنه سيأتى: أنه «صلى اللّه عليه و آله» ما كان يقاتل قوما حتى يدعوهم، و يحتج عليهم. و على كل حال، فإن عليا «عليه السلام»، بعد أن فرض عليهم المعركة، فى الموقع و المكان و الوقت و الزمان، الذى أحب و أراد، لم يعد يمكنهم التخلى عن مواقعهم إلى أى موقع آخر، لأن ذلك معناه: الاستيلاء على كل ما لديهم، و على منازلهم و أموالهم، بل هو قادر على سبى نسائهم و أطفالهم ..

فإذا أبوا الاستجابة لأى منطق، و رفضوا الانصياع لأى خيار مقبول أو معقول، و اختاروا طريق البغى و العدوان، فلا مانع من أن يكبسهم و هم غارون فى أى وقت شاء ..

و ليس فى هذا العمل أية مخالفة للشرايع، أو الأخلاق، بل هو العمل الحكيم الذى يؤيده الخلق الإنسانى، و يرضاه الشرع، و تقره العقول .. لأنه ليس من حق العدو المحارب، المعتدى و الظالم أن يعتبر نفسه فى مأمن، فى الوقت الذى يعطى لنفسه الحق بالغدر بالآخرين، و يرخص لنفسه فى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص: ۲۳۰

تبييتهم، و الفتك فيهم، ظلما و عتوا، و بغيا و علوا ..

بل إن أخذ ذلك الظالم على حين غرة من شأنه أن يقلل من عدد القتلى فى صفوف المهاجمين، و فى صفوف الأعداء أنفسهم، لأن ذلك يسقط قدرتهم على المقاومة. و ينتهى الأمر بالاستسلام.

و إذا كان الاستسلام لأهل الدين. فإن معاملتهم لا بد أن تخضع لأحكام الشرع، وفق ما تفرضه الأخلاق الفاضلة، و تقضى به العقول، و لن يكون متأثرا بالأهواء و النزوات و الميول ..

تسمية الغزوة بذات السلاسل:

و قد أظهرت الرواية الثانية المتقدمة: أن سبب تسمية الغزوة بذات السلاسل: هو أنهم حين أسروا الرجال شدوهم بالحبال كالسلاسل، و قيل:

هو اسم ماء يقال له: السلاسل.

و يظهر من أبى عبيد البكرى: أن السلاسل رمل بالبادية، يكون بعضه على بعض كأنه السلسلة «۱»، و لعل هذا هو مرادهم حين قالوا: إن الأعداء قد اجتمعوا بوادى الرمل «۲»، فراجع.

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۷۲ و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۰ و عن فتح البارى ج ۷ ص ۱۹ و تحفة الحوذى ج ۱۰ ص ۲۶۰.

(۲) راجع: البحار ج ۲۰ ص ۳۰۸ و ج ۲۱ ص ۷۷ و الإرشاد للمفيد ج ۱ ص ۱۶۲ و مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۷۴ و المستجاد من الإرشاد ص ۱۰۰ و موسوعة التاريخ الإسلامى ج ۲ ص ۵۷۴ و كشف الغمة ج ۱ ص ۲۳۰ و كشف اليقين ص ۱۵۱ و تأويل الأحاديث ج ۲ ص ۸۴۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص: ۲۳۱

مع احتمال أن تكون هناك أكثر من سرية، و يكون بعضها إلى وادى الرمل، و بعضها إلى مواضع أخرى.

محاباة لعمر؟!

و قد صرحت الرواية الثالثة: بأن الأعداء قد قتلوا جماعة كثيرة من المسلمين، حينما كانت قيادة المسلمين لأبى بكر ..
و لكن الرواية تسكت عن قتل المسلمين حين استلم القيادة عمر بن الخطاب، و تكتفى بذكر هزيمته .. ثم لما وصل الأمر إلى عمرو بن العاص، عادت للتصريح بالهزيمة، و بقتل جماعة من المسلمين!!.
فما هذه المحاباة لعمر فى هذا النص على حساب رفيقيه، أبى بكر، و عمرو بن العاص؟!.

على عليه السّلام كرار غير فرار:

و قد صرحت الرواية الثالثة أيضا: بأن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد وصف عليا «عليه السلام» بأنه كرار غير فرار ..
و هذا الوصف هو نفسه: هو الذى أطلقه النبى «صلى اللّه عليه و آله» على على «عليه السلام» يوم خيبر، بعد أن هزم أبو بكر، ثم عمر. و أعطى «صلى اللّه عليه و آله» الراية لعلى «عليه السلام»، فرجع بالفتح.
و قد شرحنا هناك هذا النص، فراجع غزوة خيبر الفصل الثالث.

ما جرى فى خيبر لم يزل يتكرر:

و اللافت و العجيب: أن فرار هؤلاء القوم بالراية و الجيش، ثم حصول
الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۳۲
الفتح على يد أمير المؤمنين على «عليه السلام» قد تكرر مرات عديدة ..
فإنا للّه .. و إنا إليه راجعون ..
فقد حصل ذلك فى:
۱- قريظة.
۲- فى خيبر.
۳- فى فدك.
۴- فى وادى الرمل بمشاركة عمرو بن العاص.
۵- أو فى ذات السلاسل قرب المدينة و مشاركة خالد.
۶- و ربما فى بنى سليم.
۷- و ربما فى قضاعة فى بلاد الشام.
فهل هذه صدف .. أم أن النبى الحاضر يرى ما لا يراه الغائب و يريد لهذا الأمر أن يتكرر، و أن يعرف الناس الحقيقة.

على عليه السّلام يقبّل قدمى النبى صلّى اللّه عليه و آله:

و ذكرت الرواية الرابعة المتقدمة: أن عليا «عليه السلام» أهوى إلى قدمى النبى «صلى اللّه عليه و آله» يقبلهما ..
و هذا يدحض المزاعم التى تقول بعدم جواز التبرك بالأنبياء «عليهم السلام»، و بآثارهم، لأن عليا «عليه السلام»، إنما فعل ذلك طلبا لرضى اللّه سبحانه، و رغبة فى ثوابه .. و التماسا للبركة، التى تعنى المزيد من العطاء الهنىء و الخير النامى، و المقام السامى ..

و علينا أن لا ننسى: أن هذا يشير إلى ترابية أمير المؤمنين «عليه السلام»،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۳۳

و شدة خضوعه للّه سبحانه، و لرسوله «صلى اللّه عليه و آله»، لم يكن يرى نفسه زميلا لمحمد. كما أنه يشير إلى صفاء ذاته، و طهارة روحه، و خلوص نواياه ..

و نجد فى مقابل ذلك: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» نفسه، كان يتبرك بالعرق الذى يكون على وجه على «عليه السلام» «۱».

اللّه و رسوله عنك راضيان:

و قد كانت الجائزة العظمى التى نالها على «عليه السلام» هى أن اللّه تعالى و رسوله «صلى اللّه عليه و آله» راضيان عنه .. و تكون هذه الكلمات هى البشارة الكبرى التى يبكى على «عليه السلام» فرحا بها و شوقا إليها ..

فهو إذن لا يطمع بالقصور، و لا بالحور، و لا تهمه الجنان و لا يفرحه كل ما فيها، بمقدار ما يهمه و يفرحه رضى اللّه تعالى، و رضى رسوله، وفقا

---

(۱) راجع: مستدرك الوسائل ج ۱۷ ص ۳۳۵ و مناقب أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفى ج ۱ ص ۳۹۴ و المسترشد للطبرى ص ۶۰۲ و مائة منقبة لمحمد بن أحمد القمى (ابن شاذان) ص ۵۸ و التحصين للسيد ابن طاووس ص ۵۵۵ و اليقين للسيد ابن طاووس ص ۱۷۹ و ۱۹۶ و ۱۹۷ و ۲۴۳ و ۳۶۷ و البحار ج ۳۷ ص ۳۰۰ و ۳۲۴ و ج ۳۸ ص ۲ و ج ۴۰ ص ۱۵ و ۸۲ و ۳۱۵ و ج ۸۹ ص ۹۱ و كتاب الأربعين للشيرازى ص ۵۵ و حلية الأبرار ج ۲ ص ۴۴۶ و كتاب الأربعين للماحوزى ص ۲۴۹ و مناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيروانى ص ۱۱۶ و الغدير ج ۸ ص ۸۷ و مستدرك سفينة البحار ج ۷ ص ۱۹۴ و ۳۸۱ و الإمام على «عليه السلام» للهمدانى ص ۹۲ و ۱۴۸ و تفسير فرات ص ۴۰۶ و المناقب للخوارزمى ص ۸۵ و كشف الغمة ج ۱ ص ۱۱۲ و كشف اليقين ص ۲۶۶ و تأويل الآيات ج ۱ ص ۱۸۵ و تنبيه الغافلين ص ۲۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۳۴

لقوله تعالى: .. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ «۱».

و قوله تعالى: يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً «۲».

---

(۱) الآية ۸ من سورة البينة.

(۲) الآيتان ۲۷ و ۲۸ من سورة الفجر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۳۵

الفصل السابع: رواية القمى توضح .. بل تصرح

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۳۷

ذات السلاسل برواية القمى:

و قد روى القمى عن جعفر بن أحمد، عن عبيد بن موسى، عن الحسن بن على بن أبى حمزة، عن أبيه، عن أبى بصير، عن أبى عبد اللّه «عليه السلام»- ما ملخصه-:

إن أهل وادى يابس اجتمعوا اثنى عشر ألف فارس، و تعاقدوا، و تعاهدوا، و تواثقوا: أن لا يتخلف رجل عن رجل، و لا يغدر بصاحبه، و لا- يخذل أحد أحدا، و لا- يفر عن صاحبه، حتى يموتوا كلهم، و يقتلوا محمدا «صلى اللّه عليه و آله»، و على بن أبى طالب «عليه السلام».

فنزل جبرئيل «عليه السلام» على النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و أخبره بالأمر، و أمره أن يبعث أبا بكر فى أربعة آلاف فارس، من المهاجرين و الأنصار.

فخطب «صلى اللّه عليه و آله» الناس، و أخبرهم بما أخبره به جبرئيل «عليه السلام» عن أهل وادى اليابس، و أن جبرئيل أمره بأن يسير إليهم أبو بكر بأربعة آلاف فارس.

ثم أمرهم أن يتجهزوا للمسير مع أبى بكر يوم الإثنين، فلما حان وقت المسير أمر «صلى اللّه عليه و آله» أبا بكر: «أن إذا رآهم أن يعرض عليهم

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۳۸

الإسلام، فإن تابعوا، و إلا واقعهم، فقتل مقاتليهم، و سبى ذراريهم، و استباح أموالهم، و خرب ضياعهم، و ديارهم».

فسار أبو بكر بهم سيرا رفيقا، حتى نزل قريبا منهم، فخرج إليه منهم مئتا فارس، و هم مدججون بالسلاح، فسألوهم: من أين أقبلوا؟ و إلى أين يريدون؟ ثم طلبوا مقابلة صاحبهم.

فخرج إليهم أبو بكر، فسألوه، فأخبرهم بما جاء له.

فقالوا: أما و اللات و العزى، لولا رحم ماسة، و قرابة قريبة لقتلناك و جميع أصحابك قتلة تكون حديثا لمن يكون بعدكم، فارجع أنت و من معك، و ارتجوا العافية، فإنما نريد صاحبكم بعينه، و أخاه على بن أبى طالب.

فقال أبو بكر لأصحابه: يا قوم، القوم أكثر منكم أضعافا، و أعدّ منكم، و قد نأت داركم عن إخوانكم من المسلمين، فارجعوا نعلم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بحال القوم.

فقالوا جميعا: خالفت يا أبا بكر رسول اللّه، و ما أمرك به، فاتق اللّه و واقع القوم، و لا تخالف قول رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

فقال: إنى أعلم ما لا تعلمون. الشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

و رجعوا إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله»، فأعلن على المنبر: أن أبا بكر قد عصى أمره، و أنه لما سمع كلامهم: «انتفخ صدره، و دخله الرعب منهم» ثم قال «صلى اللّه عليه و آله»:

«و إن جبرئيل «عليه السلام» أمرنى عن اللّه: أن أبعث إليهم عمر مكانه فى أصحابه، فى أربعة آلاف فارس، فسر يا عمر على اسم اللّه، و لا تعمل كما عمل أبو بكر أخوك، فإنه عصى اللّه و عصانى».

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۳۹

و أمره بما أمر به أبا بكر.

فسار بهم يقتصد بهم فى سيرهم، حتى نزل قريبا من القوم، و خرج إليه مئتا رجل، و قالوا له و لأصحابه مثل مقالتهم لأبى بكر.

فانصرف، و انصرف الناس معه، و كاد أن يطير قلبه مما رأى من عدة القوم و جمعهم، و رجع يهرب منهم.

فنزل جبرئيل «عليه السلام» و أخبر محمدا بما صنع عمر ..

فصعد «صلى اللّه عليه و آله»، و أخبرهم بما صنع عمر، و أنه خالف أمره و عصاه ..

فلما قدم عمر قال «صلى اللّه عليه و آله»: «يا عمر، عصيت اللّه فى عرشه، و عصيتنى، و خالفت قولى، و عملت برأيك، ألا قبح اللّه

رأيك».

ثم ذكر: أن جبرئيل «عليه السلام» أمره أن يرسل عليا «عليه السلام» مع الأربعة آلاف، و أن اللّه يفتح عليه و على أصحابه، ثم دعاه و أخبره بذلك ..

فخرج على «عليه السلام» فسار بأصحابه سيرا غير سير أبى بكر و عمر، فقد أعنف بهم فى السير، حتى خافوا أن ينقطعوا من التعب، و تحفى دوابهم، فقال لهم: لا- تخافوا، فإن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قد أمرنى بأمر، و أخبرنى: أن اللّه سيفتح علىّ، و عليكم، فأبشروا، فإنكم على خير، و إلى خير.

فطابت نفوسهم و قلوبهم، و واصلوا سيرهم التّعب، حتى نزلوا بالقرب منهم ..

فخرج إليه منهم مائتا رجل شاكين بالسلاح، فلما رآهم على «عليه

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص: ۲۴۰

السلام» خرج إليهم فى نفر من أصحابه، فقالوا لهم: من أنتم؟ و من أين أنتم؟ و من أين أقبلتم؟ و أين تريدون؟

قال: أنا على بن أبى طالب، ابن عم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و أخوه و رسوله إليكم، أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا اللّه، و أن محمدا عبده و رسوله، و لكم ما للمسلمين، و عليكم ما عليهم من خير و شر.

فقالوا له: إياك أردنا، و أنت طلبتنا، قد سمعنا مقالتك، فاستعد للحرب العوان، و اعلم أنّا قاتلوك و قاتلوا أصحابك، و الموعود فيما بيننا و بينك غدا ضحوة، و قد أعذرنا فيما بيننا و بينك.

فقال لهم على «عليه السلام»: ويلكم تهددونى بكثرتكم و جمعكم؟! فأنا أستعين باللّه و ملائكته و المسلمين عليكم، و لا حول و لا قوة إلا باللّه العلى العظيم.

فانصرفوا إلى مراكزهم، و انصرف على «عليه السلام» إلى مركزه. فلما جنه الليل أمر أصحابه أن يحسنوا إلى دوابهم، و يقضموا، و يسرجوا.

فلما انشق عمود الصبح صلى بالناس بغلس، ثم غار عليهم بأصحابه، فلم يعلموا حتى وطئتهم الخيل، فما أدرك آخر أصحابه حتى قتل مقاتليهم، و سبى ذراريهم، و استباح أموالهم، و خرب ديارهم، و أقبل بالأسارى و الأموال معه.

و نزل جبرئيل فأخبر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بما فتح اللّه على على «عليه السلام» و جماعة المسلمين، فصعد المنبر، فحمد اللّه، و أثنى عليه، و أخبر الناس بما فتح اللّه على المسلمين، و أعلمهم أنه لم يصب منهم إلا رجلان.

و نزل فخرج يستقبل عليا «عليه السلام» فى جميع أهل المدينة من

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص: ۲۴۱

المسلمين حتى لقيه على أميال من المدينة.

فلما رآه على مقبلا نزل عن دابته، و نزل النبى «صلى اللّه عليه و آله» حتى التزمه، و قبل ما بين عينيه.

فنزل جماعة المسلمين إلى على «عليه السلام» حيث نزل رسول اللّه، و أقبل بالغنيمة و الأسارى، و ما رزقهم اللّه من أهل وادى اليابس.

ثم قال جعفر بن محمد «عليهما السلام»: ما غنم المسلمون مثلها قط إلا أن تكون خيبرا، فإنها مثل خيبر.

فأنزل اللّه تبارك و تعالى فى ذلك اليوم: وَ الْعادِياتِ ضَبْحاً .. إلى آخر الرواية «۱».

و نقول:

إن لنا هنا وقفات نجملها على النحو التالى:

وادى اليابس:

إن كانت غزوة وادى اليابس هى نفس غزوة ذات السلاسل، كما يفهم من تطابق أحداثهما، فتكون وادى اليابس وراء وادى القرى، التى كانت من أرض الشام، و ليست من أرض المدينة، كما يظهر من كلام السمهودى «۲».

---

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۶۷- ۷۳ و تفسير القمى ج ۲ ص ۴۳۴- ۴۳۸ و تفسير فرات ص ۵۹۹- ۶۰۲ و البرهان (تفسير) ج ۴ ص ۴۹۵- ۴۹۷ و نور الثقلين ج ۵ ص ۶۵۲- ۶۵۵ و التفسير الصافى ج ۵ ص ۳۶۱- ۳۶۵ و تأويل الآيات ص ۸۴۴- ۸۴۸.

(۲) وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۳۲۹ و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۴۲

و يظهر من كلامه أيضا: أن دومة الجندل بوادى القرى، و هى تبعد عن المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة «۱».

لماذا يعادون عليا عليه السّلام؟!

إذا كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قد جاء بما أغاظهم، من حيث أن فيه نقضا لما هم عليه من دين الآباء و الأجداد، فلما ذا هذا الحقد على على «عليه السلام»؟! أليس من أجل أنهم رأوا نكايته فى أعداء اللّه، و شدته فى دين اللّه، و نصرته المؤثرة لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»؟! .. حتى لقد هزم الشرك فى بلاد العرب، و أذل عزه، و أبار كيده، و تبر ما علاه، و حطم و هدم ما بناه ..

أربعة آلاف:

قد تقدم: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد بعث أربعة آلاف فارس مع أبى بكر، ثم مع عمر بن الخطاب.

فقد يقال: إن ذلك موضع ريب، لأن المسلمين كانوا من القلة بحيث لا يمكن أن يجهزوا هذا العدد الكبير .. و إنما كانت خيبر قبل ذلك بسنة، و لم

---

(۱) راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۹ عن ابن سعد، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۷ و سيرة مغلطاى ص ۵۴ و نهاية الإرب ج ۱۷ ص ۱۶۳ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۰۸ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۲ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۲ ص ۶۲ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۳ و التنبيه و الإشراف ص ۲۱۴ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۶. و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۳۲۸ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۳۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۹۴ و البدء و التاريخ ج ۴ ص ۲۱۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۴۳

يجهز لها النبى «صلى اللّه عليه و آله» سوى ألف و خمس مئة مقاتل ..

و يجاب: بأن المسلمين قد كثروا بعد خيبر بصورة ظاهرة، مكنت النبى «صلى اللّه عليه و آله» من إرسال ثلاثة آلاف مقاتل إلى مؤتة، و إنما كانت ذات السلاسل بعدها بأكثر من سنة ..

و ربما يكون «صلى اللّه عليه و آله» قد استنفر العرب لحربهم- كما تقدم فى بعض النصوص- فاستجابوا له لأكثر من سبب يقنعهم بأن من مصلحتهم مجاراة النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى ما يريد .. خصوصا بعد سقوط خيبر، و بعد الحديبية، و عمرة القضاء، و غزوة مؤتة.

تخريب الضياع و الديار:

و قد ذكر النص المتقدم: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد أمر أبا بكر بتخريب الضياع و الديار ..

و هذا يتنافى مع سياسته «صلى اللّه عليه و آله»، و مع وصاياه لبعوثه، و ما أكثرها .. و قد تقدمت وصيته للجيش الذى أرسله إلى مؤتة، و فيها: «و لا تقربن نخلا، و لا تقطعن شجرا، و لا تهدمن بيتا» «۱».

لما ذا هذا السير الرفيق؟!

و قد ذكرت الرواية المتقدمة: أن أبا بكر قد سار بأصحابه سيرا رفيقا.

---

(۱) السنن الكبرى للبيهقى ج ۹ ص ۶۹ و البحار ج ۲۱ ص ۶۰ عن المعتزلى، و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۴۶ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۵۸ و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۶۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۴۴

و هذا يعطيهم نفحة راحة تشعرهم بحب الدنيا، و الرغبة بتجنب ضرب السيوف، و ملاقات الحتوف، و عزوف أنفسهم عن تحمل المشاق و المتاعب.

و سيصبح من الصعب عليهم الانتقال المفاجئ من هذا النعيم و الهناء، إلى مواجهة الأخطار و البلاء، و الشقاء و العناء.

الإحسان إلى دوابهم:

و ذكرت الرواية: أن عليا «عليه السلام» قد أمر أصحابه فى الليلة التى شن الغارة على أعدائه فى صبيحتها: أن يحسنوا إلى دوابهم .. و ذلك بإنزال أحمالها عنها، و تقديم الماء و العلف لها. و جعلها فى مكان مريح، و إبعاد جلها عنها، و نحو ذلك.

و هذا يجعلها أكثر حيوية و فاعلية فى موقع النزال، فلا ينتابها التعب بسرعة، و لا يعرضها لحمل أكثر مما تطيق ..

على نفسها جنت براقش:

و بعد أن أعلن الأعداء الحرب على أمير المؤمنين «عليه السلام» و من معه، و قالوا: إنهم قاتلوه و من معه .. أصبح من المحتم عليهم أن يتوقعوا من الطرف الآخر أن يهتبل أية فرصة لإيراد ضربته القاصمة بهم. و ربما يواجههم بكثير من الأمور الخادعة، و الضربات الموجعة ..

و لا يلام على «عليه السلام» فى الإغارة عليهم فى أية ساعة غفلة يرصدها فيهم، بل ذلك هو غاية الحزم، و التدبير الذكى، الذى يستحق عليه الثناء و التقدير، لأنه يحفظ بذلك أهل الإيمان، و يوقع بأهل البغى و الطغيان، و يبطل كيدهم، و يخلص الناس من شرهم ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۴۵

السرعة .. و المفاجأة:

و يلاحظ هنا: سرعة حسم على «عليه السلام» لأمر الحرب لصالح أهل الإسلام، و قد ألحق بأعدائه أفدح الخسائر، من دون أن تلحق بأهل الإيمان خسائر تذكر، حيث لم يصب منهم إلا رجلان ..

أبو بكر يخوف أصحابه:

و إذا عدنا بالحديث إلى أبى بكر، فلا بد أن يستوقفنا تخويفه لأصحابه بكثرة عدد و بحسن عدة أعدائهم؟! ..

ألم يكن يعلم: أنه لم يكن لهم فى كل حروبهم السابقة- رغم كثرتها- أية فرصة للتكافؤ مع أعدائهم فى العدد و العدة؟! بل كانت كلها أبعد عن هذا الأمر، مما هى عليه فى هذه السرية؟

فقد كان الجيش الذى يقوده أبو بكر أكبر جيش جهزه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» حتى ذلك الوقت، حيث بلغ أربعة آلاف مقاتل حسبما ذكرته الرواية المشار إليها.

فلماذا يثير أمامهم حتى مجرد احتمال الحاجة إلى المدد و العون؟!. و هل حدث فى أى من الحروب الكثيرة و الخطيرة السابقة، أن أمدوا أى سرية و جيش بمال، أو رجال؟!.

لا نريد إلا محمدا و عليا!!

و الغريب فى الأمر: أن يعلن هؤلاء الناس لأبى بكر: أنهم لا يريدون إلا شخص رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و نفس على «عليه السلام». ثم

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۴۶

يرضى أبو بكر بالرجوع عنهم، و لا تثور حفيظته، و لا يزيد تصميمه على حربهم و قتالهم، بل ظنهم أن يسلّم أصحاب محمد محمدا «صلى اللّه عليه و آله» لأعدائه ليقتلوه. إن لم نقل: إنه قد صدق ظنهم فعلا.

و بذلك يكون قد أظهر للناس: أن المسلمين لا يدافعون عن دينهم و نبيهم، و إنما كل همهم هو حفظ أنفسهم، حين يجدون أنهم هم المستهدفون بالحرب .. فلو حادت الأمور عنهم، فربما لا يدخلون فى الحرب بجد و حماس كهذا الذى يعاينه الناس منهم ..

بل إذا كان هذان الشخصان، و هما النبى «صلى اللّه عليه و آله» و على «عليه السلام» يشكلان مشكلة حقيقية لأتباعهما، فقد يفكر هؤلاء الأتباع بحلول وسط، تزيل أية مشكلة بينهم و بين الناس، و قد يفكرون بالتخلى عن محمد و على صلوات اللّه و سلامه عليهما فى يوم من الأيام.

و لا ندرى إن كان أبو بكر قد فكر بالسبب الذى دعا هؤلاء الأعداء، للحرص على قتل النبى «صلى اللّه عليه و آله» و على «عليه السلام»، مع أنه ربما لا يكون فيما بينهما و بينهم أية مشكلة، إذ لم يكن لهم عندهم ما يعتبره أهل الجاهلية ثارات و لا غير ذلك ..

و إذا كان النبى «صلى اللّه عليه و آله» هو صاحب الدعوة، و كانت هى ذنبه الأكبر عند أهل الشرك. فلما ذا الحقد على على «عليه السلام»؟! الذى هو تابع لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، كسائر الصحابة الذين كانوا معه ..

الشاهد يرى ما لا يرى الغائب:

و أغرب ما سمعناه هنا: أن يقول أبو بكر لأصحابه: «الشاهد يرى ما

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۴۷

لا يرى الغائب»، فأى شىء رآه أبو بكر لم يره أصحابه الذين كانوا معه؟! ..

و هل كانت هناك أمور غائبة حقا؟! أم أن كل شىء كان واضحا، و مكشوفا للناس كلهم؟!

و ما الذى علمه أبو بكر، و جهله غيره، ليصح له القول: «إنى أعلم ما لا تعلمون»؟!

و ليس لنا أن نؤيد احتمال أن تكون هناك اتصالات، أو اتفاقات سرية بين أبى بكر هو و بين أهل وادى اليابس .. لم يعلم و لم

يشارك بها سواه، و غاب عنها جميع من كانوا معه.

و ذلك لأن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد أزال هذا الاحتمال حين رجع أبو بكر، فصعد «صلى اللّه عليه و آله» المنبر، و خطب الناس، و أخبرهم بأن سبب هزيمة أبى بكر هو الخوف و الجبن، فقد قال فى خطبته:

«فلما سمع كلامهم، و ما استبقلوه به انتفخ صدره، و دخله الرعب منهم، و ترك قولى، و لم يطع أمرى».

و مهما يكن من أمر، فإن إحالة أبى بكر الأمر على مجهول دليل على أنه لم يكن قادرا على التبرير المقنع و المعقول.

فارجعوا نعلم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

و الذى زاد الأمر تعقيدا: أن أبا بكر لم يجد بين أربعة آلاف رجل حتى رجلا واحدا يوافقه على ما يريد ..

بل أعلنوا جميعا: أن قراره هذا يخالف أمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و أن عليه أن يتقى اللّه، و لا يصر على رأيه. فإن أمر رسول اللّه «صلى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۴۸

اللّه عليه و آله» كان محددا و واضحا.

و الأهم من ذلك: أن ما زعم أنه يريد أن يخبر به رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، كان نفس الرسول «صلى اللّه عليه و آله» قد أخبره به علنا، و فى خطبة عامة على المنبر فى المسجد، و قد سمعها الجميع، فذكر لهم «صلى اللّه عليه و آله» عدد الأعداء الذين يرسلهم إليهم، و بما تعاقدوا عليه بصورة تفصيلية ..

كما أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد أزاح احتمال أن يكون قد عرف ذلك من حملة الأخبار و من الأرصاد، الذين قد يهمون، و يخطئون، و قد يكذبون أيضا- فأخبرهم «صلى اللّه عليه و آله» بأن جبرئيل «عليه السلام» هو الذى أخبره.

بل إنه «صلى اللّه عليه و آله» قد أخبرهم بأن جبرئيل أيضا هو الذى أمره بإرسال أبى بكر فى أربعة آلاف ..

و ذلك يعنى: أن أبا بكر قد تمرد على الأمر الإلهى، و لذلك استحق أن يخطب النبى «صلى اللّه عليه و آله» الناس، و يخبرهم بمخالفة أبى بكر لأمر اللّه تعالى.

و ملاحظة أخيرة و هامة نذكرها هنا، و هى: أنه إذا كان جبرئيل هو الذى نقل الأمر الإلهى بإرسال أبى بكر، فذلك يعنى أن اللّه سبحانه هو الذى يريد أن يرى الناس هزيمة أبى بكر، و جبنه، و مخالفته لأمر اللّه تعالى، و أمر رسوله .. لأن اللّه يعلم بما سيكون من أبى بكر ..

فهل المقصود هو تعريف الناس بأن أبا بكر ليس أهلا، لما يسعى للحصول عليه؟ أم أن ثمة سرا آخر؟!

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۴۹

عمر أخو أبى بكر، و على عليه السّلام أخو النبى صلّى اللّه عليه و آله:

و قد ورد فى كلام رسول اللّه قوله لعمر: «و لا تعمل كما عمل أبو بكر أخوك».

و لكنه وصف عليا «عليه السلام» على المنبر أيضا فى الخطبة الأولى بأنه أخوه، فقال: «حتى يقتلونى، و أخى على بن أبى طالب».

كما أن عليا «عليه السلام» قد وصف نفسه لأهل وادى اليابس بقوله:

«ابن عم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و أخوه». و أهل الوادى أيضا وصفوه بالأخوة لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» كما ظهر من قولهم لأبى بكر ..

و قد عمل كل واحد من الأخوين ما يناسب عمل أخيه، و أخلاقه، و حالاته ..

فالرسول «صلى اللّه عليه و آله» المطيع للّه سبحانه و تعالى فى كل شىء كان له أخ مثله فى ذلك ..

و أبو بكر الذى عصى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» رغم التنبيه و التحذير، له أخ مثله فى ذلك أيضا.

و اللافت: أن عمر قد سار فى أصحابه سيرا رفيقا، كما سار بهم أبو بكر، ثم هرب من الأعداء كما هرب، و عاش الرعب و الخوف كما عاش.

كما أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» حين حذره من أن يعمل مثل عمل أخيه، كأنه أشار إلى أن أخوته له هى التى تثير هذا التوقع منه، و هذا يدل على أن هذه الأخوة قد جاءت على أساس ملاحظة قواسم مشتركة بين الرجلين، ينشأ عنها توافق فى السلوك و فى المواقف ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۲۵۰

ذنب عمر أعظم:

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۲۰ ۲۵۰ ذنب عمر أعظم: ..... ص : ۲۵۰

و قد اظهرت كلمات النبى «صلى اللّه عليه و آله» التى واجه بها عمر بن الخطاب أن الذنب الذى ارتكبه عمر كان أعظم عند اللّه من ذنب أبى بكر ..

و ذلك للأسباب التالية:

۱- إنه قد جاء بعد التنبيه و التأكيد.

۲- إنه بعد ظهور كونه معصية للّه سبحانه، و لرسوله.

۳- و بعد التنديد العلنى بهذا العمل الشنيع ..

فلا مجال بعد هذا كله لتوهم أن شيئا ما قد خفى على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و أنه يريد أن يعلمه به، و لا مجال أيضا لاحتمال أن تكون بعض الأمور التى أخبر عنها قد جاءت على سبيل الحدس و التخمين .. و لا مجال أخيرا لاحتمال أن تأتى الأحكام مختلفة و متفاوتة من واقعة لأخرى، أو من حال إلى حال ..

الفتح على يد على عليه السّلام:

و قد أخبر جبرئيل: أن اللّه تعالى يفتح على على «عليه السلام» و على أصحابه .. مبينا بكل هذه الأحداث المتتابعة: أن هناك سياسة إلهية لتعريف الناس بأن اللّه سبحانه و تعالى يرعى مسيرة هذه الرسالة، و يواكب تحركات من يدبرون فى الخفاء للعبث بالتدبير الإلهى، و سوق الأمور باتجاه آخر، يخدم مصالحهم، و يحقق طموحاتهم ..

و لأجل ذلك اختار اللّه أبا بكر أولا ثم اختار عمر ثانيا ليظهر للملأ أنهما ليسا فى الموقع الذى يضعان نفسيهما فيه، و لم يكونا مؤهلين لما يطمحان

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۲۵۱

للاستئثار به، و سلبه من صاحبه الشرعى ..

ثم اختار عليا «عليه السلام» ثالثا. مع التصريح بان الفتح سيكون على يديه، ليعلمهم: أن اللّه مطلع على دخائل نفوسهم، و اللّه قد اختاره لعلمه بأنه هو الذى يوصل السفينة إلى شاطئ السلام.

الفتح لعلى عليه السّلام و أصحابه:

و قد وجدنا: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد اكتفى بتبديل القائد، و أما الجيش نفسه، فأبقاه على ما هو عليه، و لم يستبدل منه حتى رجلا واحدا، و قد كانت الهزيمة من نصيب هذا الجيش مرتين متواليتين، مع نفس العدو و مع تقارب الزمان و فى نفس المكان، و فى نفس الظروف، و بنفس الأسلوب، و بعين الكلمات التى استخدمت، و نفس الخطاب و الجواب ..

و كان النصر حليفا لهذا الجيش نفسه، مع ذلك العدو بالذات، و فى نفس الحالات، و فى الزمان و المكان عينه، رغم أن القائدين الأولين قد سارا بهذا الجيش سيرا رفيقا، أو مقتصدا يحببهم بقائدهم. أما الأمير الثالث، فقد بهم فى السير، حتى خافوا أن ينقطعوا من التعب، و أن تحفى دوابهم .. و لا بد أن يثقل أمر هذا القائد عليهم، و تتجافى عنه قلوبهم، و لا يندفعون فى محبته، و فى طاعته بالمقدار الذى يحظى به اللذان سبقاه ..

و لكن النتائج جاءت معاكسة تماما، فقد تحقق النصر، و كان الفتح و العز و الكرامة نصيبهم معه، و كانت الهزيمة و المذلة، و المعصية للّه فى عرشه و لرسوله مع ذينك الأولين.

و هذا مثل للبشر جميعا، يحمل لهم العبرة، و العظة، و يدعوهم للتأمل

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۵۲

العميق، و الفكر الدقيق، حملته لنا كلمته «صلى اللّه عليه و آله» لعلى «عليه السلام» عن جبرئيل: «فأخبرنى: أن اللّه يفتح عليه، و على أصحابه» ..

فقد نسب الفتح إلى اللّه، الذى حبا به عليا «عليه السلام» و أصحابه معا، مع أن الإنسان العادى قد يتوقع تخصيص الفتح بعلى دون أصحابه، الذين هزموا مع القائدين اللذين سبقاه ..

و لكن اللّه و رسوله يريدان لنا أن ندرك حقيقة أن القيادة الصالحة، هى التى تعطى المواقف، و تغير من أحوال الرعية، و تؤثر فى توجهاتها و مواقفها، و تعطيها صلابة فى الدين، و ورعا فى يقين، و تحملها على الصراط المستقيم، و لو لم تصدر لها أمرا، أو تفرض عليها قرارا، أو تبتز منها موقفا.

و هى التى تثير حميتها و إباءها، و تمنحها نفحة الشجاعة و الإقدام، أو التخاذل و الإحجام ..

و قد ظهر ذلك فى هذه الغزوة بصورة جلية و واضحة، فقد ساقهم موقف أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى مواقع العزة و الكرامة و الإباء، و أعطاهم نفحة من نفحات الشجاعة، و الشعور بالكرامة. ففتح اللّه عليه و عليهم، وفق ما قاله الرسول الأكرم و الأعظم «صلى اللّه عليه و آله» له و لهم.

تطمينات على عليه السّلام لأصحابه:

و حين سار على «عليه السلام» باصحابه ذلك السير الحثيث الذى أتعبهم، فإنه يكون قد أفهمهم بذلك بأن ثمة جدية حقيقية فى إنجاز أمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على أحسن وجه و أتمه.

و لعلهم أصبحوا يتخوفون من أن يكون للتعب الذى لحقهم فى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۵۳

مسيرهم هذا دورا فى خسارتهم الحرب التى يترقبونها .. فأراد «عليه السلام» أن يطمئنهم، و لكن لا بالوعود المادية و لا بالخطب الحماسية، بل بإعطائهم جرعة إيمانية روحية تتولى هى شحذ عزائمهم، و تقوية ضعفهم، و تعطيهم المزيد من الرضا و السعادة و البهجة، و ذلك بالاعتماد على الغيب الذى يربطهم باللّه سبحانه، و برسوله.

فذكر لهم قول رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بصيغة الإخبار من النبى الكريم «صلى اللّه عليه و آله» لهم بالفتح العظيم.

و الخبر من النبى «صلى اللّه عليه و آله» معناه: أن اللّه سبحانه هو الذى عرف رسوله به، و أطلعه على غيبه .. فليس الأمر مجرد تفاؤل، و لا هو كلام لمجرد التشجيع، و إثارة الحماس ..

و لذلك يصرح النص المتقدم: بأن نفوسهم قد طابت و قلوبهم قد اطمأنت، و واصلوا سيرهم الشاق، و زالت عنهم الوساوس و المخاوف ..

على عليه السّلام أخو النبى و رسوله إليكم:

و لم نعهد فى الذين آخى النبى «صلى اللّه عليه و آله» بينهم أن يذكروا هذه الأخوة فى مواقع إبلاغ رسائل الحرب و القتال، لا سيما و أنها أخوة أنشأها و جعلها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و ليست أخوة نسب ..

و لكن عليا «عليه السلام» قد فعل ذلك، و أبلغ هذا العدو المحارب بهذه الحقيقة، حين قال لهم: إنه أخو النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و رسوله إليهم.

و لعله أراد أن يفهمهم أن موقفه منهم يحدده موقفهم من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» .. و أنه لا مجال للفصل فى حسابات الربح و الخسارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۵۴

بين على كشخص، و بين على الشريك مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى الأخوة، و فى العمل على حفظ الرسالة، من خلال حفظ الرسول، فإن ذلك هو الذى يوصل إلى حفظ هذا الدين و الذود عن حياضه.

على عليه السّلام لا يحتكر النصر:

و رغم أن عليا «عليه السلام» قد حقق المعجزات فى تاريخه الجهادى الطويل، و لا سيما حين قلع باب خيبر، و جعله ترسا يدفع به ضرب السيوف، و طعن الرماح، ثم حمله جاعلا منه معبرا للجيش، بالإضافة إلى أعظم الإنجازات القتالية فى بدر، و أحد، و الأحزاب، و قريظة، و النضير، و ما إلى ذلك ..

و لكنه لا يتهدد الأعداء بقوته، و لا يذكر لهم مواقفه هذه، بل هو يكتفى باستنكار تهديد الأعداء له، ثم هو يستعين باللّه، و بالملائكة، و بالمسلمين عليهم، و يخبرهم أن كل حول و قوة لديه إنما هو من اللّه، و به سبحانه و تعالى ..

و هذا يعطى المسلمين نفحة روحية، و يذكرهم بنصر اللّه لهم فى بدر، حين أمدهم بالملائكة فى سائر المواطن. و لا بد أن يحدث هذا التذكير بلبلة حقيقية فى قلوب الكافرين، و طمأنينة و سكينة فى قلوب المؤمنين، لأن له سابقة أثبتت صحة هذا المنطق و قوته، و ظهرت نتائجه نصرا مؤزرا فى حروب صعبة و هائلة، لا بد أن تبقى الأجيال تتمثله كحدث تاريخى فريد، و كيوم من أيام الإسلام مجيد ..

و لا بد أن يترك إشراك على «عليه السلام» للمسلمين فى هذا العمل

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۵۵

الجهادى أثرا طيبا فى نفوسهم .. لأن الذى يعطيهم هذا الوسام هو نفس على الذى لا يرتاب أحد فى مقامه الجهادى و الإيمانى العظيم، و لا يشك أحد فى صدقه، و فى تجربته، و فى خبرته بالحرب، و لشهادته هذه قيمة كبيرة لديهم، و لا بد أن يهتم كل أحد فى أن يحصل على أدنى لفتة من على، أعظم مجاهد على وجه الأرض، فكيف بما هو أكثر من ذلك ..

يضاف إلى ذلك: أن هـذا المنطق العلوى، الـذى أوضح: أن اللّه و ملائكته سوف يساهمون فى تسـجيل هذا النصـر، لا بد أن يصـعّب على المتخاذلين، و على غيرهم اتخاذ قرار الانسـحاب من المعركـة، و سـيفرض على الجميع بـذل جهد، و درجة تحمل و صبر أعلى و أكبر مما اعتادوا عليه فى الحالات الأخرى ..

هل خرّب على عليه السّلام ديارهم؟!

و أما ما ذكرته الروايـة: من أن عليا «عليه السـلام» قـد خرب ديار الأعداء .. فلا بد من التروى فى قبوله .. إذ قد يقال: إن أوامره «صـلى اللّه عليه و آله» بعـدم التعرض للـديار و الأشـجار، حسـبما تقـدم فى غزوة مؤتـة لا يتلاءم مع هـذا الـذى ورد فى هـذه الروايـة .. إلا إذا فرضت الحرب نفسها إجراءات تؤدى إلى شىء من ذلك، من حيث توقف تحقيق النصر، على ذلك ..

و كـذا إذا احتـاج حفـظ أرواح المسـلمين، أو احتاج المسـلمون أنفسـهم إلى قطع السبيل على أعـدائهم و منعهم من تجديـد القوى، و معاودة الفساد و الإفساد، و خلق المتاعب و العبث بأمن أهل الإسلام ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۵۶

أصول الحرب فى سورة العاديات:

و قـد ذكرت الروايـات المختلفـة، و هـذه الروايـة أيضا: أن سورة العاديات قـد نزلت فى هـذه الغزوة- غزوة ذات السـلاسل- أو وادى اليابس-.

و الـذى يلاحـظ سـير الأحـداث فيها، و يلاحظ أيضا ما حكته سورة «و العاديات» نفسـها، سـيجد: أن هـذه السورة قـد تضـمنت أصول الحرب كلها .. و أن عليا «عليه السلام» قد راعاها فى هذه الغزوة بالذات ..

و نحن نشير إلى ذلك باختصار فيما يلى:

۱- إنه حين يقسم اللّه سـبحانه بأمر بعينه، فذلك يعنى أن لهذا الأمر أهمية كبيرة، و أنه محبوب و مطلوب له تعالى، لأن له موقعا كبيرا و أساسيا فى المنظومة التى يريد اللّه سبحانه لها أن تؤثر فى إنجاز الأهداف الإلهية الكبرى فى إيصال الإنسان، و ما فى هذا الكون إلى كماله ..

۲- و حين أقسم اللّه تبارك و تعالى بالعاديات، و بالموريات، الـخ .. فإنه لم يخرج عن هـذه القاعدة؛ فالخيل التى تعدو فى سبيل اللّه، و تسرع فى هذا العدو إلى الحد الذى تضبح معه بأنفاسها، كما قال تعالى: وَ الْعادِياتِ ضَبْحاً «۱». فإنها تكون قد بلغت أقصى مدى فى سرعة الحركة، التى لها دور هام و حاسم فى الحرب.

و قد فسر الضبح: بأنه «صوت أنفاس الفرس، تشبيها بالضباح، و هو صوت الثعلب.

و قيل: هو حفيف العدو، و قد يقال ذلك: للعدو.

---

(۱) الآية ۱ من سورة العاديات.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۵۷

و قيل: الضبح كالضبع، و هو مد الضبع فى العدو الخ ..» «۱». أى حتى لا يجد مزيدا «۲».

و المراد بالضبع هنا: وسط العضد بلحمه، أو العضد كله، أو الإبط «۳».

و قيل: الضبح: صوت أجواف الخيل إذا عدت، ليس بصهيل و لا حمحمة «۴».

۳- إن عدو الخيل هذا يشير إلى أنها دائمة الإنتقال من مكان إلى مكان، و أنه انتقال سريع، و هذا من شأنه أن يحرم العدو من فرصة رصدها فى مكان بعينه، و أن يفقده القدرة على التخطيط لأى عمل يمثل لها خطرا، أو يلحق بها ضررا ..

۴- إن شدة اندفاع الخيل فى هجمتها تحتم على ذلك العدوّ أن يتراجع عن موقعه، و أن يتخلى عن حالة الثبات و الطمأنينة، دون أن يملك قدرة العودة إلى ذلك الموقع، و هذه حركة لا يختارها المحارب، الذى يملك زمام المبادرة، و يكون له الإختيار.

---

(۱) المفردات للراغب ص ۲۹۲.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۶۶ عن مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۲۸ و ۵۲۹ و (ط مؤسسة الأعلمى) ص ۴۲۱ و ۴۲۲.

(۳) راجع أقرب الموارد، مادة: ضبع و راجع: بدائع الصنائع ج ۱ ص ۲۱۰ و كتاب العين ج ۱ ص ۲۸۴ و لسان العرب ج ۸ ص ۲۱۶.

(۴) البحار ج ۲۱ ص ۶۶ عن مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۲۸ و ۵۲۹ و (ط مؤسسة الأعلمى) ص ۴۲۱ و ۴۲۲ و كتاب العين للفراهيدى ج ۳ ص ۱۱۰ و لسان العرب ج ۲ ص ۵۴۳ و القاموس المحيط ج ۱ ص ۲۲۶ و تاج العروس ج ۲ ص ۱۸۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۲۵۸

فحالة الضعف و الوهن التى ظهرت لديه هى التى فرضت عليه هذه الحركة التخاذلية.

۵- إنه إذا صاحب هذا الاندفاع القوى للخيل كيفيات و حالات خاصة، مثل الأصوات أو الهيئات المخيفة، و منها صوت ضبح الخيل الذى يدعوهم لتصور حجم اندفاع عدوهم نحوهم، ثم صاحب ذلك لمعات نارية خاطفة و كثيرة، حين تقدح الخيل الشرر بحوافرها، فسوف يتشارك لدى ذلك العدوّ السمع و البصر فى رسم صورة الخطر الداهم، و ما يحمله من عنف، يزعزع ثباته، و يهزمه فى عمق وجوده.

بل قد يوجب قدح النار تحت حوافر الخيل نشوء حالة تضليلية، من خلال تلهى أفراد العدو بالنظر إليها، و إثارة التكهنات حولها، فتتهيأ الفرصة لمفاجأتهم بالقتال المرير، و الضارى.

هذا كله، عدا عن أن قدح النار من حوافر الخيل، من شانه أن يبهج روح فرسانها و يقوى من اندفاعهم، ما دام أنه ناتج عن حركتهم و فعلهم.

۶- و يأتى بعد ذلك كله عنصر المفاجأة بالقتال، بشتى أنواعه، التى يحتاج العدو فى تحرزه منها إلى حركات متفاوتة فى مداها و فى اتجاهاتها، شريطة أن تكون بالغة السرعة، و قوية التأثير ..

و لن يكون الإنتقال إلى هذه الحركات سهلا و ميسورا، إلا لأقل القليل من الناس.

فكيف إذا كان هؤلاء المقاتلين فى صفوف العدو، لا يقومون بعمل قد اختاروه لأنفسهم، بل تكون حركتهم مجرد رد فعل، يفقدون معه أى خيار، أو اختيار لموقع القتال و لأسلوبه، فضلا عن عجزهم عن استهداف أى نقطة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۲۵۹

بالقتال، فضلا عن الضعف الذى سوف يعترى طبيعة حركاتهم القتالية نفسها ..

و الخلاصة: أن هذه المفاجأة بالقتال لا بد أن تربكهم، و تمنعهم من التأمل و من التدبر و التدبير، و تدارك خطة مدروسة لمواجهة الموقف.

۷- إن للتوقيت و تحديد ساعة الصفر أهمية بالغة فى النجاح فى الحرب، فإن المفاجأة إذا كانت فى وقت الصبح على قاعدة: فَالْمُغِيراتِ صُبْحاً «۱»، فلا بد أن تكون فرص النجاح أكبر و أوفر، لأن الفريق الذى لم يكلف بمهمات قتالية، و لو بمثل الرصد و الحراسة، يميل فى هذه الساعة إلى أن يخلد للراحة، ظنا منه أن غيره يشاركه فى هذا الميل، فينسجم ظنه هذا مع رغبته تلك، و يستسلم من ثم لأحلامه اللذيذة، و تأخذه سنة الكرى، و هو أكثر طمأنينة، و أبعد عن التفكير فيما يزعج و يثير.

و أما المكلف بالرصد أو بالحراسة، فإنه إذا كان قد سهر الليل، حتى بلغ ساعات الصباح الأولى، فلا بد أن يتنفس هذا الساهر المرهق فى هذا الوقت الصعداء، و يحسب أنه قد أنهى مهمته، و أن عليه أن يستريح، و يعوض جسده عن هذا السهر الطويل، بالنوم المستغرق و العميق ..

و هذا كله يجعل المفاجأة لهؤلاء و أولئك كبيرة و خطيرة؛ حيث يكون الراصد و الحارس فى أقصى حالات الإرهاق، و يكون غيره من الناس مستغرقا فى أحلامه، و لن يكون قادرا على الإنتقال من حالة الإسترخاء الشديد بأقصى درجاته إلى حالة الإستنفار، بل إلى الدخول فى أعنف

---

(۱) الآية ۳ من سورة العاديات.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص: ۲۶۰

حالات الحركات القتالية، التى لا يقتصر الأمر فيها على أن يفكر فى الأسلوب و فى الطريقة القتالية التى يختارها و حسب. بل عليه أن يفكر فى اكتشاف الحركة القتالية للعدو أولا، ثم يعود إلى نفسه ليفكر فيما يمتلكه من وسائل دفعها، و فى كيفية استعمال تلك الوسائل بما يناسب حركة العدو هذه ..

و فى سياق آخر نقول:

إن المغير يعرف هدفه، و قد حدده و رسم خطة للتعامل معه، و هو ينفذ ما رسم.

أما الذين يغير غيرهم عليهم، فلا يعرفون شيئا عن مواقع المهاجمين أو عن خطتهم، أو حالاتهم، و ليس لديهم أية وسيلة لكشف ذلك فيهم، لأن العين و هى حاسة الرؤية تكون معطلة بسبب الظلمة، و النور الضئيل الذى ربما يكون قد بدأ ينتشر إنما هو فى مستوى محدود، و لا يغير من الواقع شيئا ..

بل إنه حتى فى حالات الحرب فى العصور الحديثة، فمن جهة تكون أجهزة الرصد غير ذات أثر، فيما بين طلوع الفجر و طلوع الشمس، و كذلك بعد غياب الشمس إلى مضى حوالى ساعة من أول الليل، و من جهة تكون العين المجردة محجوبة بالظلمة، أو تكون دائرة عملها محاصرة و محدودة بمقدار النور الذى استطاع أن يقتحم جحافل الظلام، و أن يتسلل إلى ثنايا تراكماته المهيمنة ..

۸- و هنا يأتى دور النقع و الغبار، الذى يثور فى ساحة المعركة، بسبب سرعة حركة الخيل المغيرة، ليكون الساتر، و المانع من الاستفادة من كمية

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص: ۲۶۱

النور الضئيلة، التى تسللت إلى الأفق فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

كما أن لهذا النقع دورا فى إرباك حركة العدو، و فى التأثير على مخيلته، و يهيء الفرصة لتوهم كيفيات و صور قتالية ضخمة و مهولة، لا وجود لها فى الواقع.

و من شأن هذا أيضا أن يزيد ذلك العدو ضعفا و وهنا، و يؤكد هزيمته الروحية، و ربما يكون سببا فى مبادرته إلى هدر طاقات، و بذل جهد فى غير الاتجاه الصحيح.

۹- ثم يأتى دور تلك الخيل العادية فى الالتفاف على العدو، و محاصرته بسرعة حسبما أشير إليه فى قوله تعالى: فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً «۱»، حتى إذا رأى العدو أنه يواجه القتال فى كل اتجاه، فإنه لا بد أن يصاب بالإحباط، و باليأس من أن تتيح له المقاومة شيئا ذا بال، و ستتأكد لديه القناعة بأنه لا فائدة من الاستمرار فيها، لأن حصادها لن يكون فى هذه الحال سوى أن يصبح طعمة للسيوف، و أن يلاقى الحتوف، و فى مثل هذه الحال سيرى: أن الاستسلام هو الأرجح و الأصلح.

و قد أظهرت النصوص المنقولة، و كذلك نزول هذه السورة المباركة فى هذه المناسبة: أن عليا «عليه السلام» قد طبق هذه الأمور كلها

فى غزوة ذات السلاسل.

فصلوات اللّه و سلامه على على، سيد الوصيين، و قائد الغر المحجلين، إلى جنات النعيم.

---

(۱) الآية ۵ من سورة العاديات.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۶۲

سرية على عليه السّلام إلى بنى خثعم:

عن سلمان الفارسى رحمه اللّه قال: بينما أجمع ما كنا حول النبى «صلى اللّه عليه و آله» ما خلا أمير المؤمنين على بن أبى طالب «عليه السلام» إذ أقبل أعرابى بدوى، فتخطى صفوف المهاجرين و الأنصار حتى جثا بين يدى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فسأله النبى عن نفسه، و ما جاء به، فأخبره أنه رجل من بنى لجيم.

فقال النبى «صلى اللّه عليه و آله»: «ما وراك بما جاء لجيم»؟

قال: يا رسول اللّه خلفت خثعم، و قد تهيأوا و عبأوا كتائبهم، و خلفت الرايات تخفق فوق رؤسهم، يقدمهم الحارث بن مكيدة الخثعمى فى خمسمائة من رجال خثعم، يتألّون باللّات و العزى أن لا يرجعوا حتى يردوا المدينة، فيقتلوك و من معك يا رسول اللّه.

قال: فدمعت عينا النبى «صلى اللّه عليه و آله» حتى أبكى جميع أصحابه، ثم قال: «يا معشر الناس سمعتم مقالة الاعرابى»؟

قالوا: كلّ قد سمعنا يا رسول اللّه.

قال: «فمن منكم يخرج إلى هؤلاء القوم قبل أن يطؤنا فى ديارنا و حريمنا، لعل اللّه يفتح على يديه، و أضمن له على اللّه الجنة؟

قال: فو اللّه ما قال أحد: أنا يا رسول اللّه.

قال: فقام النبى «صلى اللّه عليه و آله» على قدميه و هو يقول: «معاشر أصحابى هل سمعتم مقالة الأعرابى»؟

قالوا: كلّ قد سمعنا يا رسول اللّه.

قال: «فمن منكم يخرج إليهم قبل أن يطؤنا فى ديارنا و حريمنا، لعل اللّه

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۶۳

أن يفتح على يديه، و أضمن له على اللّه اثنى عشر قصرا فى الجنة».

قال: فو اللّه ما قال أحد: أنا يا رسول.

قال: فبينما النبى «صلى اللّه عليه و آله» واقف إذ أقبل أمير المؤمنين على بن أبى طالب «عليه السلام»، فلما نظر إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» واقفا و دموعه تنحدر كأنها جمان انقطع سلكه على خديه لم يتمالك أن رمى بنفسه عن بعيره إلى الأرض، ثم أقبل يسعى نحو النبى «صلى اللّه عليه و آله» يمسح بردائه الدموع عن وجه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و هو يقول:

ما الذى أبكاك؟ لا أبكى اللّه، عينيك يا حبيب اللّه! هل نزل فى أمتك شيء من السماء؟

قال: «يا على، ما نزل فيهم إلا خير، و لكن هذا الأعرابى حدثنى عن رجال خثعم بأنهم قد عبأوا كتائبهم.

ثم ذكر له ما جرى، فطلب منه أن يصف له القصور، فوصفها له.

فقال: أمير المؤمنين على بن أبى طالب «عليه السلام»: فداك أمى و أبى يا رسول اللّه، أنا لهم.

فقال النبى «صلى اللّه عليه و آله»: «يا على، هذا لك و أنت له، أنجد إلى القوم».

فجهزه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى خمسين و مائة رجل من الأنصار و المهاجرين، فقام ابن عباس رضى اللّه عنه و قال: فداك أبى و أمى يا رسول اللّه تجهز ابن عمى فى خمسين و مائة رجل من العرب إلى خمسمائة رجل و فيهم الحارث بن مكيدة يعد

بخسمائة فارس؟!

فقال النبى «صلى اللّه عليه و آله»: «امط عنى يا ابن عباس، فو الذى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۶۴

بعثنى بالحق لو كانوا على عدد الثرى و علىّ وحده لأعطى اللّه عليهم النصر حتى يأتينا بسبيهم أجمعين».

فجهزه النبى «صلى اللّه عليه و آله» و هو يقول: «اذهب يا حبيبى، حفظ اللّه من تحتك، و من فوقك، و عن يمينك، و عن شمالك، اللّه خليفتى عليك».

فسار على «عليه السلام» بمن معه حتى نزلوا بواد خلف المدينة بثلاثة أميال يقال له: وادى ذى خشب، قال: فوردوا الوادى ليلا، فضلوا الطريق، قال: فرفع أمير المؤمنين على بن أبى طالب «عليه السلام» رأسه إلى السماء و هو يقول: يا هادى كل ضال، و يا مفرج كل مغموم، لا تقو علينا ظالما، و لا تظفر بنا عدونا، و اعهدنا إلى سبيل الرشاد.

قال: فإذا الخيل يقدح بحوافرها من الحجارة النار، حتى عرفوا الطريق فسلكوه، فأنزل اللّه على نبيه محمد: وَ الْعادِياتِ ضَبْحاً .. يعنى الخيل فَالْمُورِياتِ قَدْحاً قال: قدحت الخيل بحوافرها من الحجارة النار فَالْمُغِيراتِ صُبْحاً قال: صبحهم على مع طلوع الفجر.

و كان لا يسبقه أحد إلى الأذان، فلما سمع المشركون الاذان قال بعضهم لبعض: ينبغى أن يكون راعى فى رؤوس هذه الجبال يذكر اللّه.

فلما أن قال: أشهد أن محمدا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

قال بعضهم لبعض: ينبغى أن يكون الراعى من أصحاب الساحر الكذاب.

و كان أمير المؤمنين على بن أبى طالب «عليه السلام» لا يقاتل حتى تطلع الشمس، و تنزل ملائكة النهار.

قال: فلما أن دخل النهار، التفت أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۶۵

صاحب راية النبى «صلى اللّه عليه و آله» فقال له: ارفعها.

فلما أن رفعها، و رآها المشركون عرفوها، و قال بعضهم لبعض: هذا عدوكم الذى جئتم تطلبونه، هذا محمد و أصحابه.

قال: فخرج غلام من المشركين، من أشدهم بأسا، و أكفرهم كفرا، فنادى أصحاب النبى: يا أصحاب الساحر الكذاب، أيكم محمد؟ فليبرز إلىّ.

فخرج إليه أمير المؤمنين على بن أبى طالب «عليه السلام» و هو يقول:

ثكلتك أمك أنت الساحر الكذاب، محمد جاء بالحق من عند الحق، قال له:

من أنت؟

قال: أنا على بن أبى طالب، أخو رسول اللّه، و ابن عمه، و زوج ابنته.

قال: لك هذه المنزلة من محمد؟

قال له على: نعم.

قال: فأنت و محمد شرع واحد، ما كنت أبالى لقيتك أو لقيت محمدا، ثم شد على على و هو يقول:

لا قيت يا على ضيغماقرما كريما فى الوغا معلّما

ليث شديد من رجال خثعماينصر دينا معلما و محكما فأجابه على بن أبى طالب «عليه السلام» و هو يقول:

لا قيت قرنا حدثا و ضيغما «۱»ليثا شديدا فى الوغا غشمشما

أنا على سأبير خثعمابكل خطّىّ يرى النقع دما

و كل صارم يثبت الضرب فينعما «۲»_____»

(۱) هذا الشعر ورد كذلك، و لا يخفى عدم استقامة الوزن فى هذا الشطر.

(۲) هذا الشطر غير مستقيم الوزن.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۶۶

ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه، فاختلف بينهما ضربتان، فضربه على «عليه السلام» ضربة فقتله، و عجل اللّه بروحه إلى النار، ثم نادى أمير المؤمنين «عليه السلام»: هل من مبارز؟

فبرز أخ للمقتول، و حمل كل واحد منهما على صاحبه، فضربه أمير المؤمنين «عليه السلام» ضربة، فقتله و عجل اللّه بروحه إلى النار، ثم نادى على «عليه السلام»: هل من مبارز؟

فبرز له الحارث بن مكيدة و كان صاحب الجمع، و هو يعد بخمسمائة فارس، و هو الذى أنزل اللّه فيه: إِنَّ الْإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ، قال: كفور وَ إِنَّهُ عَلى ذلِكَ لَشَهِيدٌ قال: شهيد عليه بالكفر وَ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب «عليه السلام»: يعنى باتباعه محمدا.

فلما برز الحارث، حمل كل واحد منهما على صاحبه، فضربه على ضربة فقتله، و عجل اللّه بروحه إلى النار.

ثم نادى على «عليه السلام»: هل من مبارز؟

فبرز إليه ابن عمه يقال له: عمرو بن الفتاك، و هو يقول:

أنا عمرو و أبى الفتاكو بيدى نصل سيف هتاك

أقطع به الرؤس لمن أرى كذاك

فأجابه أمير المؤمنين «عليه السلام» و هو يقول:

هاكها مترعة دهاقاكأس دهاق مزجت زعاقا

إنى امرؤ إذا ما لاقاأقد الهام و أجذ ساقا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۶۷

ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه، فضربه على «عليه السلام» ضربة فقتله، و عجل اللّه بروحه إلى النار، ثم نادى على «عليه السلام»: هل من مبارز؟

فلم يبرز إليه أحد، فشد أمير المؤمنين «عليه السلام» عليهم حتى توسط جمعهم، فذلك قول اللّه: فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً، فقتل على «عليه السلام» مقاتليهم، و سبى ذراريهم، و أخذ أموالهم، و أقبل بسبيهم إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

فبلغ ذلك النبى، فخرج و جميع أصحابه حتى استقبل على «عليه السلام» على ثلاثة أميال من المدينة.

و أقبل النبى «صلى اللّه عليه و آله» يمسح الغبار عن وجه أمير المؤمنين على بن أبى طالب «عليه السلام» بردائه، و يقبل بين عينيه و يبكى، و هو يقول:

«الحمد للّه يا على الذى شد بك أزرى، و قوّى بك ظهرى، يا على، إننى سألت اللّه فيك كما سأل أخى موسى بن عمران صلوات اللّه و سلامه عليه أن يشرك هارون فى أمره، و قد سألت ربى أن يشد بك أزرى» ثم التفت إلى أصحابه و هو يقول:

«معاشر أصحابى لا تلومونى فى حب على بن أبى طالب «عليه السلام»، فإنما حبى عليا من أمر اللّه، و اللّه أمرنى أن أحب عليا و أدنيه، يا على من أحبك فقد أحبنى و من أحبنى فقد أحب اللّه، و من أحب اللّه أحبه اللّه، و حقيق على اللّه أن يسكن محبيه الجنة، يا على من أبغضك فقد أبغضنى، و من أبغضنى فقد أبغض اللّه، و من أبغض اللّه أبغضه و لعنه، و حقيق على

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۶۸

اللّه أن يقفه يوم القيامة موقف البغضاء، و لا يقبل منه صرفا و لا عدلا» «۱».

و نقول:

إننا بغض النظر عن ركاكة الرجز الذى ذكرته الرواية، و عدم استقامة أوزان عدد من فقراته نشير إلى ما يلى:

إعتراض ابن عباس:

قد ذكرت الرواية: أن ابن عباس قد قام، فقال لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «فداك أبى و أمى يا رسول اللّه، تجهز ابن عمى فى خمسين و مائة رجل من العرب، إلى خمسمائة رجل، و فيهم الحارث بن مكيدة، يعد بخمسمائة فارس»؟!

فقال «صلى اللّه عليه و آله»: «أمط عنى يا بن عباس الخ ..» «۲».

و نقول:

أولا: إن من البعيد أن يصدر ذلك عن ابن عباس، الذى ولد سنة الهجرة، أو قبلها بثلاث سنوات، فيكون عمره فى غزوة ذات السلاسل ثمانى سنوات أو أحد عشرة سنة على أبعد تقدير .. و لا يتوقع من صبى بهذه السن أن يواجه النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله» بهذا الاعتراض. و أن يجيبه النبى «صلى اللّه عليه و آله» بهذا الجواب.

فإن هذا الجواب، خصوصا قول «صلى اللّه عليه و آله»: «أمط عنى يا بن عباس» يستبطن درجة من القسوة على طفل بهذه السن ..

---

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۸۴ و ۹۰ عن تفسير فرات ص ۵۹۳- ۵۹۸.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۸۷ و تفسير فرات ص ۵۹۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۲۶۹

كما أن نفس هذا الذى اعترض به ابن عباس و المتضمن لتفصيل و استدلال، و جرأة، إنما يتوقع من أناس نشأوا فى بيئة غير صالحة، و ممن لا يلزمون أنفسهم بمقتضيات الأدب مع النبى الكريم «صلى اللّه عليه و آله» ..

ثانيا: إنهم يزعمون: أن العباس هاجر قبل الفتح بقليل و هو موضع ريب و شك، بل هو قد أسلم يوم فتح مكة، قال فى الإستيعاب: «أظهر إسلامه يوم فتح مكة، و شهد حنينا و الطائف و تبوك» «۱».

و قال البلاذرى: «لقى العباس النبى «صلى اللّه عليه و آله» بذى الحليفة،- قال ابن هشام: لقيه بالجحفة- و هو يريد مكة، و قد أظهر إسلامه. فأمر النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن يمضى ثقله إلى المدينة، و قال له: هجرتك يا عم آخر هجرة، كما أن نبوتى آخر نبوة» «۲».

و نظن أن أحفاده العباسيين هم الذين حاولوا: أن ينيلوه فضل الهجرة و لو بأن يلتقى بالنبى «صلى اللّه عليه و آله» بذى الحليفة، إذ لا هجرة بعد الفتح. مع أنهم قد غفلوا عن أنه كان لا يزال حين الفتح فى مكة، و هو الذى ضغط على أبى سفيان لكى يظهر الإسلام قبل ضرب عنقه، و ذلك حين

---

(۱) الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ۳ ص ۹۵ و راجع: الجوهر النقى ج ۹ ص ۱۰۶ و عن ذخائر العقبى ص ۱۹۱ و مغنى المحتاج ج ۴ ص ۲۳۹ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۱ ص ۹۸.

(۲) السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۸۵۹ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۳۴ و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۲۵۵ و سبل الهدى و الرشاد ج ۲ ص ۲۱۳ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۲۸ و مواقف الشيعة ج ۱ ص ۱۷۱ عن عيون الخبار لابن قتيبة ج ۱ ص ۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۲۷۰

استعرض هو و إياه كتائب المسلمين الآتية لفتح مكة فراجع «۱».

فإذا كان العباس آنئذ لا يزال يعيش فى مكة، و لم يهاجر إلى المدينة إلا بعد الفتح. و كانت عائلته معه، فمن أين؟ و كيف ظهر ابن عباس فى هذه الغزوة التى سبقت فتح مكة؟

ثالثا: أليس قد عاد الناس لتوّهم من غزوة خيبر، التى كان جيش المسلمين فيها حوالى ألف و خمس مئة مقاتل، فى مقابل عشرة آلاف من اليهود فضلا عن غيرهم؟

و كان قد شاع و ذاع أيضا ما حاق بالمشركين على يد المسلمين فى بدر، و أحد، و الأحزاب، و فى سائر المواقف، مع قلة عدد المسلمين فى أكثر المعارك، و كثرة عدد أعدائهم، الذين كثيرا ما كانوا يزيدونهم بأضعاف، و قد كان النصر حليفهم باستمرار ..

رابعا: إذا كان ابن مكيدة يعد بخمس مئة فارس، فإن عليا «عليه السلام» يعد بالألوف، و هو قالع باب خيبر، و فاتح حصونها بالأمس وحده، و هو قاتل عمرو بن عبد ود، الذى كان يعدّ يعد بألف فارس، و هو هازم جيش الشرك فى حرب أحد وحده، إلى غير ذلك مما هو ذائع و شائع.

عدد جموع الأعداء:

و قالوا لقد كان العدد الذى جمعه بنو خثعم لمهاجمة المدينة هو خمس مئة

---

(۱) راجع: مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۷۸ و البحار ج ۲۱ ص ۱۲۸ و ۱۲۹ و مستدرك سفينة البحار ج ۸ ص ۱۰۸ و ۱۰۹ و إعلام الورى ج ۱ ص ۲۲۰ و ۲۲۱ و قصص الأنبياء ص ۳۴۶ و ۳۴۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۲۷۱

من رجل كما ورد فى بعض الروايات «۱».

و نقول:

ألا يمكن أن يقال: إن خمس مئة رجل قد لا يجرؤون على مهاجمة المدينة، بعد أن هزم اللّه يهود خيبر، و هم أكثر من عشرة آلاف، بتلك الطريقة المخزية كما تقدم، و هزم اللّه المشركين يوم الأحزاب، و هم ألوف، و هزمهم اللّه أيضا فى بدر و فى أحد، و فى سائر المشاهد؟!

إلا إن كان الهدف هو أخذ المسلمين على حين غرة، قد تنتهى بقتل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و انفراط جمع المسلمين. و لكنه احتمال بعيد، فإن الإسلام قد انتشر و شاع و ذاع، و كثر له الأتباع فى جميع الأصقاع، و لا بد أن يوجب قتل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ثورة جميع الناس ضد بنى خثعم.

إن هذا يقوى احتمال تعدد هذه الواقعة، و تعدد فرار أولئك القوم، أعنى أبا بكر، و عمر، قد جاء ليزيل به أية شبهة فى عدم صحة ما يدّعونه لأنفسهم من فضل و كرامات، و مواقف و بطولات، فظهرت هزيمتهم فى المواقف المختلفة لكى لا يتخيل أحد: أن ما جرى لهم فى بنى قريظة، ثم فى خيبر، ثم فى فدك، و قد كان مجرد حالة عفوية، طارئة، فرضتها معطيات مفاجئة، لم يكونوا يظنون أنهم سوف يواجهونها ..

يضاف إلى ذلك كله، فرارهم المتوالى فى سرية وادى يابس، و سرية ذات السلاسل، و ربما وادى الرمل، و سوى ذلك مما يتأكد احتماله لدى

---

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۸۵ و ۸۶ و ۸۸ و تفسير فرات ص ۵۹۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۷۲

الباحث المنصف «۱».

بكاء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

ثم إن الرواية المتقدمة قد ذكرت: بكاء النبى «صلى اللّه عليه و آله» حتى أبكى جميع أصحابه، و ذلك حين أخبره ذلك الرجل بما عزم عليه بنو خثعم.

و السؤال هو: لماذا هذا البكاء يا ترى؟!

إننا لا يمكن أن نحتمل: أن يكون بكاء الخوف، أو بكاء الضعف، فإن هذا مما لا بد من تنزيه رسول اللّه عنه .. علما أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد واجه أضعاف هذا العدد من الأعداء فى وقت كان المسلمون فيه فى غاية القلة، و الضعف من حيث العدة و العدد. و لم ينس المسلمون بعد ما جرى فى خيبر، و الأحزاب، و بدر، و أحد، و سوى ذلك ..

كما أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد أضحى قادرا على حشد اضعاف ما حشده بنو خثعم ..

و حتى لو كان هذا الأمر يستوجب البكاء، و لنفترض: أنه بكى إشفاقا على بعض أصحابه من أن يصيبهم سوء، أو لغير ذلك من أسباب ..

و لكن هل يصح أن يكون هذا البكاء علنيا و على رؤوس الأشهاد؟!

و ألا يوجب هذا البكاء و الإبكاء و هنا فى المسلمين، و إطماعا لأعدائهم بهم؟! فيكون بالتالى نقضا للفرض، و تضييعا بل تفريطا خطيرا، و غير مقبول؟!

---

(۱) تقدم مصادر ذلك.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۷۳

الإحجام غير المفهوم:

و لا ندرى لماذا يحجم المسلمون عن الخروج إلى أولئك القوم، فلا يجيبون رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»؟!

و لماذا زهدوا بالجنة التى ضمنها لهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، مع كثرة جموعهم، و قلة عدوهم؟!

كيف و قد جهز «صلى اللّه عليه و آله» إلى مؤتة بالأمس ثلاثة آلاف مقاتل.

و جهز قبلها ألفا و خمس مائة مقاتل إلى خيبر، و مثلها إلى الحديبية قبل ذلك .. ثم لا يجرؤ أحد من أصحابه على إجابته، و المبادرة إلى امتثال أمره؟!

مئة و خمسون فقط:

و أما بالنسبة لاقتصار النبى «صلى اللّه عليه و آله» على مائة و خمسين رجلا فى مقابل خمس مئة، و منهم بطل يعد بخمس مئة فارس.

نلاحظ: أن الرواية أشارت إلى أن ثمة من التفت إلى هذا الأمر، و سأل عنه، و قد سمت الرواية ابن عباس، و قالت: إنه سأل عن أنه إذا كان بإمكان النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن يجهز الألوف إلى الحرب، فلماذا اكتفى بمائة و خمسين رجلا؟!

فأجابه «صلى اللّه عليه و آله» بأنه يريد أن يظهر أثر على «عليه السلام»، و شجاعته، و مدى استعداده للتضحية؟! و أنه لو ارسله وحده

فإن اللّه ينصره عليهم.

و ذلك ليؤكد للناس: أنه «عليه السلام» محل عناية اللّه و رعايته، و أنه مؤيد بنصره عز و جل .. و ما ذلك إلا لشدة تفانيه فى ذات اللّه، و حرصه على الفوز برضاه تبارك و تعالى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۷۴

الضلال عن الطريق و الاهتداء إليها:

ثم إننا نستبعد: أن يكون على «عليه السلام»، و من معه ما لبثوا أن ضلوا عن الطريق و هم أهل البلاد، و يعرفون شعابها و مسالكها ..

و لو فرض: أن بعضهم قد وقع فى الشبهة، فإن من الطبيعى أن يكون بين هذا العدد من الناس الكثيرون ممن يعرفون الطريق، و يرشدون رفقاءهم إليها، و يدلونهم عليها ..

يضاف إلى ذلك: أن عليا «عليه السلام» قائدهم هو الذى سلك المسالك الوعرة و الغامضة فى سرية ذات السلاسل، حتى إن ذلك قد حرك عمرو بن العاص، و كذلك خالد بن الوليد لتوسيط أبى بكر و عمر لديه، ليرجع بهم إلى الجادة، فأجابهم أنه يعلم ما يصنع ..

فلماذا لا يرشدهم على العارف بغوامض الطرق، و الواقف على المسالك الصعبة، إلى طريق الجادة، حتى احتاجوا إلى قدح النار من حوافر خيولهم؟!

و حتى لو قبلنا بأنهم قد ضلوا الطريق .. فإن حديث معرفتهم الطريق بسبب قدح النار من حوافر الخيل، يبقى هو الآخر موضع ريب، فإن قدح الشرر لا يوجب رؤية الطريق، و تمييز معالمها، كما أنه لا يوجب اشتعال النار، إلى حد أن تكشف ما حولها ..

إلا- إن كان المقصود: أن سيره على الحجارة الذى أوجب قدح الشرر من حوافر الخيل قد عرّفهم بأنهم يسيرون على الطريق. مع افتراض أن يكون وجود الحجارة دليلا على الطريق، باعتبار أن سائر المسالك لا حجارة فيها ..

و لكن هذا يبقى مجرد احتمال، قد يعرض له التأييد أو التفنيد، بحسب ما يعرض له من أدلة أو شواهد. بل هو احتمال بعيد، و افتراض غير سديد.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۷۵

لا يقاتل حتى تطلع الشمس:

و أما ما ذكرته الرواية: من أن عليا «عليه السلام» كان لا يقاتل حتى تطلع الشمس، و تنزل ملائكة النهار ..

فلعله اشتباه من الراوى، و ذلك لما يلى:

۱- إن ملائكة النهار تنزل من حين طلوع الفجر، كما روى عن الإمام الصادق «عليه السلام» فى تفسير قوله تعالى: إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً «۱»، يعنى صلاة الفجر، تشهده ملائكة الليل، و ملائكة النهار «۲».

---

(۱) الآية ۷۸ من سورة الإسراء.

(۲) راجع: البحار ج ۵ ص ۳۲۱ و ج ۹ ص ۲۹۶ و ج ۱۱ ص ۱۱۷ و ۱۱۸ و ج ۵۳ ص ۲۱۲ و ج ۷۳ ص ۲۵۴ و ۲۶۳ و ج ۷۷ ص ۳۰ و ۷۲ و ۷۳ و ۹۹ و ۱۰۲ و مستدرك سفينة البحار ج ۶ ص ۳۲۹ و ج ۸ ص ۱۳۲ و عن مسند أحمد ج ۲ ص ۴۷۴ و راجع: فقه الرضا «عليه السلام» ص ۷۲ و المعتبر للمحقق الحلى ج ۲ ص ۱۷ و منتهى المطلب (ط ق) ج ۱ ص ۱۹۶ و (ط ج) ج ۴ ص ۲۵ و ۲۷ و

تـذكرة الفقهاء (ط ق) ج ۱ ص ۷۲ و (ط ج) ج ۲ ص ۲۷۳ و الـذكرى ص ۱۱۳ و ۱۲۲ و مـدارك الأحكام ج ۳ ص ۲۴ و الحبل المتين ص ۱۲۲ و مفتاح الفلاح ص ۴ و الحدائق الناضرة ج ۶ ص ۲۰۷ و مستند الشيعة ج ۴ ص ۵۳ و جواهر الكلام ج ۷ ص ۱۶۸ و مسند زيد بن على ص ۹۹ و المبسوط للسرخسى ج ۱ ص ۱۵۷ و فقه السنة ج ۱ ص ۹۷ و ۱۵۷ و المحاسن ج ۲ ص ۳۲۳ و الكافى ج ۳ ص ۲۸۳ و ۴۸۷ و ج ۸ ص ۳۴۱ و من لا يحضره الفقيه ج ۱ ص ۲۲۲ و ۴۵۵ و علل الشرايع ج ۲ ص ۳۲۴ و ۳۳۶ و أمالى الصدوق ص ۲۵۴ و ثواب الأعمـال ص ۱۳۶ و الإستبصار ج ۱ ص ۲۷۵ و تهذيب الأحكام ج ۲ ص ۳۷ و روضة الواعظين ص ۳۱۷ و مختصر بصائر الدرجات ص ۱۳۱ و الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ۱ ص ۲۷۳ و ج ۴-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۲۷۶

۲- قد تقدم: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» ما بيّت عدوا قط ليلا ..

بل إن عليا «عليه السلام» كان لا يقاتل إلا بعد زوال الشمس ظهرا، و قد تقدم ذلك ..

لماذا لا يقاتل إلا بعد الزوال؟!

و قد شرح أمير المؤمنين «عليه السلام» نفسه أسباب عدم قتاله إلا بعد

- ص ۵۰ و ۵۲ و ۵۳ و ۲۱۲ و ۲۱۳ و (ط دار الإسـلامية) ج ۱ ص ۲۶۱ و ج ۳ ص ۳۵ و ۳۶ و ۳۷ و ۶۰ و ۱۵۴ و ۱۵۵ و مستدرك الوسائل ج ۳ ص ۵۱ و ۱۲۰ و ۱۲۴ و ۱۶۴ و ج ۴ ص ۷۵ و الإختصاص ص ۳۶ و أمالى ص ۶۹۵ و عوالى اللآلـى ج ۱ ص ۴۲۱ و حليـة الأبرار ج ۱ ص ۱۶۰ و سـنن ابن ماجـة ج ۱ ص ۲۲۰ و سـنن الترمـذى ج ۴ ص ۳۶۴ و المسـتدرك للحـاكم ج ۱ ص ۲۱۱ و المصنف للصنعانى ج ۱ ص ۵۲۳ و عن السنن الكبرى للنسائى ج ۶ ص ۳۸۱ و صحيح ابن خزيمة ج ۲ ص ۳۶۵ و صحيح ابن حبان ج ۵ ص ۴۰۹ و كتاب الدعاء للطبرانى ص ۵۹ و تفسير أبو حمزة الثمالى ص ۲۳۶ و تفسير القمى ج ۲ ص ۲۵ و التبيان ج ۶ ص ۵۰۹ و مجمع البيـان ج ۲ ص ۱۲۸ و ج ۶ ص ۲۸۳ و تفسـير جوامع الجامع ج ۲ ص ۳۸۲ و فقـه القرآن ج ۱ ص ۸۲ و ۱۱۴ و تفسير غريب القرآن ص ۱۹۷ و التفسير الصافى ج ۳ ص ۲۱۰ و التفسير الأصفى ج ۱ ص ۶۹۲ و نور الثقلين ج ۳ ص ۲۰۱ و جامع البيان ج ۱۵ ص ۱۷۳ و ۱۷۴ و ۱۷۵ و ۱۷۶ و معانى القرآن ج ۴ ص ۱۸۳ و زاد المسير ج ۵ ص ۵۳ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۰ ص ۳۰۶ و تفسير القرآن العظيم ج ۱ ص ۱۳ و ۵۳ و تفسير الجلالين ص ۳۷۴ و عن الدر المنثور ج ۴ ص ۳۹۶ و عن فتح القدير ج ۳ ص ۲۵۱ و ۲۵۵ و عن البداية و النهاية ج ۱ ص ۵۶ و سبل الهدى و الرشاد ج ۹ ص ۱۵۰ و النهاية فى غريب الحديث ج ۲ ص ۵۱۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۲۷۷

زوال الشمس .. فركز على الأسباب التالية:

۱- إن هـذا الوقت أقرب إلى الليـل، فـإذا ذاق المقاتلون طعم القتال، و عرفوا أنه ليس مجرد نزهـة، بل فيه آلام و مصائب، و كوارث و نوائب، ثم جنهم الليل، فإنهم سوف يعيـدون النظر فى حساباتهم، و سـيقيّمون الأمور وفق أمور عينيـة ملموسـة، لم تعد مجرد تصورات غائمة، تكتنفها الكثير من التخيلات التى تقلل من وضوحها، و تهون من أمرها.

فالألم المتصور و المفترض لا يؤثر فى قرار الإنسان بمقـدار ما إذا أصبح ماثلا و حاضـرا، و المصاب الـذى تسـمع به أو تقرأ عنه ليس تأثير بمقدار المصاب الذى تراه و تعيشه، و تعانى منه ما تعانى ..

فقـد يـدفعك خيال مّا، أو يهيجك هائـج حميـة أو عصبيـة، أو يـدعوك داعى طمع، أو جشع، أو تزين لك أحلام ورديـة، ترتكز إلى حسابات خاطئـة أن تقتحم أتون الحرب .. فتبادر إلى ذلك .. فإذا مسّك شـىء من بلاياها و زراياها، يرجع إليك صوابك، و تلتمس الخلاص، و لات حين مناص .. ثم تطحنك رحى الحرب فيما تطحن، و تحطم ما صـلب منك، و تلتهم ما رقّ و لان. و تجـد نفسـك

غير قادر على استرجاع ما ذهب، و لا استدراك ما يأتى، و تفرض عليك تلك الحرب كل تبعاتها، و تحملك ما أردته و ما لم ترده من جرائمها و موبقاتها، و تلقى عليك بكلاكلها و أثقالها، و تبوء بكل مخزياتها ..

۲- إن هذا الوقت القصير، الذى هو بداية القتال، يكون فيه رجال الحرب على درجة عالية من اليقظة، و النشاط و الحذر، و يريد كل منهم أن يختبر قدرات العدو، و أن يكتشف مكامن قوته، و مواضع ضعفه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۷۸

فالإقدام فيه محدود، و الحذر فيه على أشده .. و لا تتوفر فيه دواع للاستقتال و طلب الموت، إذ لم يستحر القتل فيه بالأحبة، و لا وقع الأسر بعد على الأبناء و الإخوة، و لا السبى أو العدوان على رموز الشرف، و مواضع الغيرة ..

فلا موجب إذن لثورة حماس الشجعان. ليلقوا بأنفسهم فى المهالك، طلبا للثار، أو لأجل محو العار.

و إذا كانت الأمور لا تزال فى حدودها المعقولة هذه، فيمكن للعاقل أن يثوب إليه رشده فى الليلة التى تعقب هذه البداية، و يكون- فى هذه الحال- مدركا بعمق حقيقة ما هو فيه، و نتائج ما يقدم عليه، فيوازن بين الحالين، و يتخذ القرار الرشيد، و الموقف السديد ..

۳- و إذا كان هناك من يلاحق مهزوما فسيمنعه حلول الليل من مواصلة سعيه.

۴- و لا ضير فى أن ينجو ذلك المهزوم، فإن هزيمته النفسية، تكفيه هو الآخر ليعيد حساباته، و يستأنف حياته، بنمط جديد، و حزر شديد.

كما أن المطلوب المهم هو دفع شره، و التخلص من أذاه .. و قد حصل ذلك فعلا .. و ليس المطلوب هو قتله، أو أسره، إلا إذا كان دفع شره يحتاج إلى ذلك.

و هذا هو ما قاله على «عليه السلام»: «هو أقرب إلى الليل، و أجدر أن يقل القتل، و يرجع الطالب، و يفلت المنهزم» «۱».

---

(۱) الوسائل ج ۱۱ ص ۴۶ و فى هامشه عن الكافى (الفروع) ج ۱ ص ۳۳۵ و عن تهذيب-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۷۹

إن الإنسان لربه لكنود فى من نزلت؟!

و قد ذكرت الرواية المتقدمة أن قوله تعالى: إِنَّ الْإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ «۱» قد نزل فى الحارث بن مكيدة، إلى أن قال تعالى: وَ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ «۲».

قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب «عليه السلام»: يعنى باتباعه محمدا «۳».

و قيل: المراد عمرو بن العاص «۴».

و قيل: غير ذلك ..

و نقول:

إن هذا الاختلاف لا ضير فيه، إذ لعل السورة قد نزلت أكثر من مرة.

و لهذا نظائر كثيرة، حسبما أشرنا إليه فى موارد أخرى فى هذا الكتاب، و فى غيره.

غير أن تفسير آية: وَ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ «۵» بعلى «عليه السلام». لا

- الأحكام ج ۲ ص ۲۵۶ و عن علل الشرايع ج ۲ ص ۶۰۳ و البحار ج ۳۳ ص ۴۵۳ و ج ۹۷ ص ۲۲ و الكافى للحلبى ص ۲۵۶ و منتهى المطلب (ط ق) ج ۲ ص ۹۹۷ و التحفة السنية (مخطوط) ص ۱۹۹ و رياض المسائل (ط ق) ج ۱ ص ۴۸۹ و (ط ج) ج ۷ ص ۵۱۱ و

جواهر الكلام ج ۲۱ ص ۸۱ و الكافى (ط دار الكتب الإسلامية) ج ۶ ص ۱۷۳ و الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ۱۵ ص ۶۳ و (ط دار الإسلامية) ج ۱۱ ص ۴۷ و البحار ج ۱۱ ص ۴۵۳ و ج ۹۴ ص ۲۲.

(۱) الآية ۶ من سورة العاديات.

(۲) الآية ۸ من سورة العاديات.

(۳) البحار ج ۲۱ ص ۸۸ و ۸۹ عن تفسير فرات ج ۱ ص ۱۶.

(۴) البحار ج ۲۱ ص ۷۷ عن الخرايج و الجرايح.

(۵) الآية ۸ من سورة العاديات.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص: ۲۸۰

يلائم سياق الآيات. حيث يظهر من السياق أن حب ذلك الكنود للخير، أى أن حبه للنعم الدنيوية، مثل المال، و الجاه، و البقاء على قيد الحياة، شديد، و لذلك خاف الذين أرسلهم النبى «صلى اللّه عليه و آله» أولا على أنفسهم، و حسدوا عليا «عليه السلام»، و حاولوا إحباط مسعاه فى تحقيق النصر ..

ثم ذكرت الآيات أن هؤلاء المحبين للدنيا سيرون فى يوم القيامة كيف أن اللّه سيظهر ما أضمروه فى صدورهم، و سيفضح ما انطوت عليه قلوبهم.

أَ فَلا يَعْلَمُ إِذا بُعْثِرَ ما فِي الْقُبُورِ، وَ حُصِّلَ ما فِي الصُّدُورِ، إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ «۱».

---

(۱) الآيات ۹- ۱۱ من سورة العاديات.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص: ۲۸۱

الفصل الثامن: سرايا حدثت .. إلى فتح مكة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص: ۲۸۳

سرية أبى قتادة إلى بطن إضم:

و فى أول شهر رمضان سنة ثمان أراد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» التوجه الى مكة لفتحها، بعث أبا قتادة الحارث بن ربعى فى ثمانية نفر إلى بطن إضم «۱»، ليظن ظان أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» توجه إلى تلك الناحية، و لأن تذهب بذلك الأخبار «۲».

و قال بعضهم: بعثنا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إلى إضم [فى نفر من المسلمين]، أميرنا أبو قتادة الحارث بن ربعى، و فينا محلم بن جثامة الليثى، و أنا. فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم مر بنا عامر بن الأضبط

---

(۱) بطن إضم: بين ذى خشب و ذى المروة، على ثلاثة برد من المدينة.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۱ و ج ۶ ص ۱۹۰ عن محمد بن إسحاق، و محمد بن عمر، و ابن سعد، و ابن أبى شيبة، و الإمام أحمد، و الترمذى، و حسنه، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و الخرائطى فى مكارم الأخلاق، و الطبرانى، و أبى نعيم، و البيهقى فى دلائلهما، عن عبد اللّه بن أبى حدرد، و الطبرانى عن جندب البجلى، و ابن جرير عن ابن عمر، و ابن أبى حاتم عن الحسن،

و عبد الرزاق، و ابن جرير. و راجع:

تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۶ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۵ و راجع: تاريخ مدينة دمشق ج ۶۷ ص ۱۴۹ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۷۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۸۴

الأشجعى على قعود له، و معه متيع له، و وطب من لبن.

قال: فلما مر بنا سلم علينا بتحية الإسلام فأمسكنا عنه، و حمل عليه محلم بن جثامة فقتله لشىء كان بينه و بينه، و سلبه بعيره و متيعه.

فلما قدمنا على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و أخبرناه الخبر نزل فينا:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَياةِ الدُّنْيا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغانِمُ كَثِيرَةٌ .. «۱».

فانصرف القوم و لم يلقوا جمعا، حتى انتهوا إلى ذى خشب. فبلغهم أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قد توجه إلى مكة، فأخذوا على بيين حتى لحقوا برسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بالسقيا «۲».

فقال النبى «صلى اللّه عليه و آله» لمحلم: «أقتلته بعد ما قال آمنت باللّه»؟

و فى حديث ابن عمر، و الحسن: فجاء محلم فى بردين، فجلس بين يدى رسول اللّه (ليستغفر له)، فقال «صلى اللّه عليه و آله»: «أقتلته بعد ما قال إنى مسلم»؟

قال: يا رسول اللّه، إنما قالها متعوذا.

قال «صلى اللّه عليه و آله»: «أفلا شققت عن قلبه»؟

قال: لم يا رسول اللّه؟

قال: «لتعلم أصادق هو أم كاذب».

قال: و كنت عالما بذلك يا رسول اللّه. هل قلبه إلا مضغة من لحم؟

---

(۱) الآية ۹۴ من سورة النساء.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۹۰ و عن مراصد الاطلاع ج ۲ ص ۷۲. و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۶ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۵ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۲ ص ۱۳۳ و تاريخ مدينة دمشق ج ۶۷ ص ۱۵۰ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۷۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۸۵

قال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «إنما كان ينبئ عنه لسانه».

و فى رواية: فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «لا ما فى قلبه تعلم، و لا لسانه صدقت».

فقال: استغفر لى يا رسول اللّه.

فقال: «لا غفر اللّه لك».

فقام و هو يتلقى دموعه ببرديه. فما مضت سابعة حتى مات «۱».

و فى حديث ابن إسحاق: فما لبث أن مات، فحفر له أصحابه، فأصبح و قد لفظته الأرض، ثم عادوا و حفروا له، فأصبح و قد لفظته الأرض إلى جنب قبره «۲».

قال الحسن: لا أدرى كم قال أصحاب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» كم دفناه، مرتين، أو ثلاثا؟! «۳».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۹۰ و قال فى هامشه: ذكره السيوطى فى الدر ج ۲ ص ۲۰۱ و عزاه لابن أبى حاتم، و البيهقى فى الدلائل، عن الحسن. و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۶ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۵ و راجع: مجمع الزوائد ج ۱ ص ۲۷ و المفاريد عن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ص ۴۳ و مسند ابى يعلى ج ۳ ص ۹۲ و المعجم الكبير ج ۲ ص ۱۷۷ و عن الدر المنثور ج ۲ ص ۲۰۱ و راجع ص ۲۰۲ و أسباب نزول الآيات ص ۱۱۶.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۹۱ و راجع: أسباب نزول الآيات ص ۱۱۶ و أحكام القرآن للجصاص ج ۲ ص ۳۰۹ و عن الدر المنثور ج ۲ ص ۲۰۱.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۹۱ و راجع: أسباب نزول الآيات ص ۱۱۶ و عن الدر المنثور ج ۲ ص ۲۰۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۸۶

و فى حديث جندب، و قتادة: أما ذلك فوقع ثلاث مرات، كل ذلك لا تقبله الأرض، فجاؤوا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فذكروا ذلك له، فقال:

«إن الأرض تقبل من هو شر من صاحبكم، و لكن اللّه تعالى [يريد أن] يعظكم»، فأخذوا برجليه فألقوه فى بعض الشعاب، و ألقوا عليه الحجارة.

و سيأتى فى غزوة حنين حكومته «صلى اللّه عليه و آله» بين عيينة بن حصن، و الأقرع بن حابس فى دم عامر بن الأضبط «۱».

نقول:

إن لنا مع هذا الذى ذكروه وقفات، نذكرها فى ضمن العناوين التالية:

توضيح لا بد منه:

إن الذى يقرأ ما تقدم يحتاج إلى إضافات و توضيحات تفيده فى استكمال ملامح صورة ما جرى، فيحتاج إلى أن يقال له: إن تلك السرية تبدو و كأنها سرية استطلاعية للجيش الكبير المجتمع، الذى يريد التحرك نحو مقصد لم يفصح عنه قائده ..

فإذا كانت السرية الاستطلاعية قد توجهت إلى هدف مّا، فمن

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۴ و ۳۳۹ ج ۶ ص ۱۹۱ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۶ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۵ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۹ ص ۱۱۶ و عن أسد الغابة ج ۲ ص ۲۸۲ و ج ۴ ص ۴۱۳ و عن جامع البيان ج ۵ ص ۳۰۱ و عن تفسير القرآن العظيم ج ۱ ص ۵۵۲ و عن الدر المنثور ج ۲ ص ۲۰۰ و عن فتح القدير ج ۱ ص ۵۰۲ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۵۷ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۲۶ و أحكام القرآن للجصاص ج ۲ ص ۳۰۹ و تفسير الثعالبى ج ۲ ص ۲۸۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۸۷

الطبيعى أن يظن المراقب للأحداث أن الهدف هو التمهيد، و رصد الطرق و المسالك التى سيسلكها ذلك الجيش، أو يمر بالقرب منها. لكى لا تفاجئه كمائن العدو بهجمات قد تؤثر على تماسكه، و على معنوياته ..

و ربما يكون الهدف من السرايا الاستطلاعية هو تحديد الهدف الأقصى، الذى يراد تسديد الضربة القوية له ..

هل كان أبو قتادة عالما بهدف النبى صلّى اللّه عليه و آله:

و يظهر من ثنايا النصوص التى نقلناها: أن أبا قتادة و من معه ما كانوا يعلمون إلى أين سيتوجه النبى «صلى اللّه عليه و آله» ..

و لذلك قال: فلما انتهوا إلى ذى خشب بلغهم: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قد توجه إلى مكة، فلحقوا به.

و هذا معناه: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد مارس أقصى درجات الحيطة و الحذر، حتى إن نفس سراياه كانوا لا يعلمون بالهدف الذى يريد توجيه الضربة إليه، و لا يعلمون بخطته الحربية، و لا بمقاصد تحركاته، حتى بعناوينها العامة ..

و بذلك يكون قد أعطى درسا عمليا فيما يرتبط بالأسرار الحربية، على قاعدة ما روى عن أمير المؤمنين فى قوله لأصحابه: «إن لكم علىّ أن لا أخفى عنكم سرا إلا فى حرب» «۱».

---

(۱) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ۳ ص ۷۹ و الأمالى للشيخ الطوسى ص ۲۱۷ و البحار ج ۳۳ ص ۷۶ و ۴۶۹ و ج ۷۲ ص ۳۵۴ و نهج السعادة ج ۴ ص ۲۲۹ و ميزان الحكمة ج ۱ ص ۱۲۴ و شرح نهج البلاغة ج ۱۷ ص ۱۶ و وقعة صفين للمنقرى ص ۱۰۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۸۸

نصرت بالرعب:

قلنا فى بعض المواضع من هذا الكتاب: إن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» كان يريد أن يفتح مكة من دون إراقة محجمة من دم فيها، و ذلك حفاظا منه «صلى اللّه عليه و آله» على قدسية البيت الحرام، الذى يريده اللّه حرما آمنا، حتى حين يتخطف الناس من حوله.

فكان أن انتهج سياسة تعرّف أولئك الطغاة، بقوة الإسلام الحقيقية، و تزيل عن أعينهم غشاء الغرور و العنجهية، ليروا الحقائق على ما هى عليه، بعيدا عن التحجيم تارة، و عن التضخيم أخرى ..

حتى إذا اتضح لهم ذلك دب الرعب فى قلوبهم، و لم يجدوا عن التراجع عن تلك المواقف المخزية محيصا، و بذلك يتابع الإسلام مسيرته الظافرة، و يمارس حقه الطبيعى فى الدعوة إلى اللّه تعالى.

و هذا بالذات هو ما عناه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بقوله:

«نصرت بالرعب».

و حين كان «صلى اللّه عليه و آله» من جهة أخرى يمارس أسلوب المفاجأة، فإنما كان يريد أن يظهر جانبا آخر من قوة الإسلام، من حيث أن أسلوب الحرب، و طبيعة الحركة فيها من شأنه أن يضيف المزيد من القدرات المؤثرة فى إضعاف العدو، و فى هزيمته الروحية، و فى زيادة اندفاع القوات المهاجمة له، التى تريد تحقيق النصر عليه ..

و لذلك بعث رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أبا قتادة فى ثمانية نفر إلى بطن إضم، ليظن ظان أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يفكر فى التحرك بذلك الاتجاه. أو أنه يفكر فى معالجة القضايا القريبة منه، و ليس له همة فيما

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۸۹

هو أبعد من ذلك.

حتى إذا اطمأن العدو، و انصرف ليفكر فى شأن آخر، باغته رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بجيش قد لا يجرؤ أو لا يقدر على مواجهته حتى و هو فى أقصى درجات الاستعداد، فكيف يواجهه فى حال الغفلة و الاستنامة ..

بل إنه حتى لو كان العدو ملتفتا إلى حركة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» باتجاه مواقعه، فإن شعوره بأن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قادر على فتح أكثر من جبهة فى آن واحد، حتى لو كانت إحدى هذه الجبهات هى أعتى قوى الشرك فى الحجاز كله، فإن ذلك سيفسح المجال لخياله ليسرح فى آفاق القدرات التى توفرت لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، الذى جرّبت الحرب معه مرات و مرات، و خسرها كل من جربها.

ابن جثامة تلفظه الأرض:

و قد زعموا: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد رفض أن يستغفر لابن جثامة و أن الأرض قد لفظته.

و نقول:

إننا نتحفظ على قولهم هذا:

فأولا: قد قيل: إن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قد استغفر له بعد دعائه عليه «۱».

ثانيا: إن ابن جثامة قد مات بحمص أيام ابن الزبير «۲».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۵.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۹۰

ثالثا: إنهم يقولون: إن رجلا لفظته الأرض اسمه فليت «۱». فلعلهم استعاروا هذه الحادثة من ذلك الرجل و اتحفوا بها ابن جثامة لأسباب لا يهمنا التعرف عليها.

رابعا: لماذا يستغفر النبى «صلى اللّه عليه و آله» لأسامة، كما يدعون، و يرفض أن يستغفر لابن جثامة؟!

ما معنى أن يطلب «صلى اللّه عليه و آله» من اللّه أن لا يغفر لابن جثامة، الذى كان يبكى، و يظهر الندامة، مع أن اللّه قد أرسله رحمة للعالمين.

و مع أنه قد كان يمكنه أن يجرى عليه الأحكام الشرعية التى تتعلق بالقاتل، إن وجده مدانا فيما أقدم عليه.

ثم إن اللّه هو الذى يتولى حسابه على نواياه، إن كان صادقا فى توبته، أو غير صادق فيها.

ملاحظة أخيرة:

و يلاحظ هنا: أن هذه القصة تشبه فى عناصرها، و سياقاتها قصة أسامة بن زيد، التى تقدم الحديث عنها فى الجزء السابق من هذا الكتاب.

فكيف لم يتعظ محلم بن جثامة بما جرى لأسامة؟!

و هل يمكن أن نعتبر أن الشدة التى أظهرها النبى الكريم «صلى اللّه عليه و آله» على محلم بن جثامة، ترجع إلى أن ما جرى لأسامة كان يجب أن يردع ابن جثامة و غيره عن ارتكاب نفس المخالفة، فضلا عن أن يقدم نفس العذر.

---

(۱) راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۱۰ ص ۲۲۲ عن الروض الأنف.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۹۱

سرية واحدة أم سريتان؟!:

قد أورد الواقدى سرية أبى قتادة إلى خضرة، و ابن أبى حدرد إلى الغابة فى سياق واحد، معتبرا إياهما سرية واحدة ..

لكنه فى السيرة الحلبية جعلهما سريتين.

و نحن لا نريد أن نبذل المزيد من الجهد فى تحقيق ذلك، و لا سيما بملاحظة ما يرد على كثير من المواضع فيهما من الإشكالات التى تزيد فى و هنهما، و إبعادهما عن درجة الاعتماد ..

غير أن لنا الحق فى أن نقدم تصورا لما جرى، ربما يكون قادرا على حل الإشكال فيما يرتبط بوحدة القضية أو تعددها .. و هو: أن يكون ابن أبى حدرد و رجلان آخران قد كلفوا بمهمة قتل رفاعة بن قيس، فوافق ذلك مسير أبى قتادة، فضمهم إليه .. فأنجز ابن أبى حدرد ما كلفه به الرسول، فى طريق الذهاب أو العودة، و شارك فى سرية أبى قتادة، فأصاب ما أصاب من الغنائم فى السريتين .. و لأجل ذلك آثرنا الفصل بينهما، و كأنهما سريتان مستقلتان.

و لكن المهم هو إثبات أصل وجود كثير من هذه السرايا، و منها سرية أبى قتادة، و سرية قتل ابن أبى حدرد لرفاعة .. فضلا عن لزوم إثبات توافق المواقع و المواضع التى يقيم فيها هؤلاء و أولئك، و إمكانية الإلتقاء فى طرقها و مسالكها.

إذ لو كانت هذه القبيلة أو الموقع فى الشرق، و ذاك فى الغرب، فإن هذا التصور يسقط عن الاعتبار.

غير أن علينا هنا أن نذكر ما ذكروه، ثم نشير إلى مواضع النظر فيما

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۲۹۲

زعموه، فنقول:

إننا نورد النصوص التى تتحدث عن هذه القضية و تلك أولا، ثم نعقب عليها بما يقتضيه المقام .. فلاحظ ما يلى:

سرية أبى قتادة إلى خضرة:

عن عبد اللّه بن أبى حدرد الأسلمى قال: تزوجت ابنة سراقة بن حارثة النجارى و قد قتل ببدر، فلم أصب شيئا من الدنيا كان أحب إلى من نكاحها، و أصدقتها مائتى درهم، فلم أجد شيئا أسوقه إليها، فقلت: على اللّه تعالى و رسوله «صلى اللّه عليه و آله» المعول.

فجئت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فأخبرته، فقال: «كم سقت إليها»؟

فقلت: مائتى درهم يا رسول اللّه.

فقال: «سبحان اللّه، و اللّه لو كنتم تغترفونه من ناحية بطحان- و فى رواية- «لو كنتم تغترفون الدراهم من واديكم هذا ما زدتم».

فقلت: يا رسول اللّه أعنّى على صداقها.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «ما وافقت عندنا شيئا أعينك به، و لكن قد أجمعت أن أبعث أبا قتادة فى أربعة عشر رجلا فى سرية، فهل لك أن تخرج فيها؟ فإنى أرجو أن يغنمك اللّه مهر امرأتك.

فقلت: نعم «۱».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۸۵ عن ابن إسحاق، و أحمد و الواقدى و قال فى هامشه: أخرجه أحمد فى المسند ج ۳ ص ۴۴۸ و البيهقى فى السنن ج ۷ ص ۲۳۵-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۲۹۳

و فى حديث محمد بن عمر، و أحمد. و اللفظ للأول: فخرجنا، و معنا سلاحنا من النبل و السيوف، فكنا ستة عشر رجلا بأبى قتادة، و هو أميرنا.

فبعثنا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إلى غطفان نحو نجد.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «سيروا الليل، و اكمنوا النهار، و شنوا الغارة، و لا تقتلوا النساء و الصبيان».

قال: فخرجنا حتى جئنا ناحية غطفان «۱».

و فى حديث أحمد: فخرجنا حتى جئنا الحاضر ممسين، فلما ذهبت فحمة العشاء، قال محمد بن عمر، قال: و خطبنا أبو قتادة، و أوصانا بتقوى اللّه تعالى. و ألّف بين كل رجلين، و قال:

«لا يفارق كل رجل زميله حتى يقتل أو يرجع إلى فيخبرنى خبره، و لا يأتين رجل فأسأله عن صاحبه، فيقول: لا علم لى به، و إذا كبرت فكبروا، و إذا حملت فاحملوا، و لا تمعنوا فى الطلب».

فأحطنا بالحاضر، فسمعت رجلا يصرخ: يا خضرة، فتفاءلت و قلت:

لأصيبن خيرا، و لأجمعن إلى امرأتى، و قد أتيناهم ليلا.

قال: فجرد أبو قتادة سيفه و كبر، و جردنا سيوفنا و كبرنا معه، فشددنا

- و الحاكم فى المستدرك ج ۲ ص ۱۷۸ و ذكره الهيثمى فى المجمع ج ۴ ص ۲۸۲ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۷۷ و ۷۷۸ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۴ و عن مسند أحمد (ط دار صادر) ج ۶ ص ۱۱ و مجمع الزوائد (ط دار الكتب العلمية) ج ۶ ص ۲۰۶ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۷ ص ۳۴۱.

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۸۵ عن ابن إسحاق، و أحمد و الواقدى و راجع:

المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۷۸ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۹۴

على الحاضر و قاتلنا رجالا، و إذا أنا برجل طويل قد جرد سيفه و هو يمشى القهقرى، مرة يقبل على بوجهه، و مرة يدبر عنى بوجهه، كأنه يريد أن يستطردنى فأتبعه، ثم يقول: يا مسلم، هلم إلى الجنة فأتبعه.

ثم قال: إن صاحبكم لذو مكيدة، أمره هذا الأمر. و هو يقول: الجنة الجنة. يتهكم بنا.

فعرفت أنه مستقتل، فخرجت فى أثره، و ناديت: أين صاحبى؟

فقال: لا تبعد، فقد نهانا أميرنا عن أن نمعن فى الطلب، فأدركته، و ملت عليه فقتلته، و أخذت سيفه.

و قد جعل زميلى يناديني أين تذهب؟ إنى و اللّه إن ذهبت إلى أبى قتادة فسألنى عنك أخبرته.

قال: فلقيته قبل أبى قتادة.

فقلت: أسأل الأمير عنى؟

قال: نعم، و قد تغيظ على و عليك.

و أخبرنى أنهم قد جمعوا الغنائم، و قتلوا من أشرافهم.

فجئت أبا قتادة فلامنى، فقلت: قتلت رجلا كان من أمره كذا و كذا، و أخبرته بقوله كله.

ثم سقنا النعم، و حملنا النساء و جفون السيوف معلقة بالأقتاب، فأصبحت و بعيرى مقطور بامرأة كأنها ظبى. فجعلت تكثر الالتفات خلفها و تبكى، فقلت: إلى أى شيء تنظرين؟

قالت: أنظر و اللّه إلى رجل لئن كان حيا لاستنقذنا منكم.

فوقع فى نفسى أنه هو الذى قتلت.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۹۵

فقلت: قد و اللّه قتلته، و هذا و اللّه سيفه معلق بالقتب.

قالت: فألق إلى غمده.

فقلت: هذا غمد سيفه.

قالت: فشمه إن كنت صادقا.

قال: فشمته فطبق.

قال: فبكت، و يئست «۱».

و عن ابن عمر قال: بعث رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» سرية قبل نجد، فخرجت فيها، فغنمنا إبلا و غنما كثيرة، فبلغت سهماننا اثنى عشر بعيرا، فنفلنا أميرنا بعيرا بعيرا كل إنسان، ثم قدمنا على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فقسم علينا غنيمتنا، فأصاب كل رجل منا اثنا عشر بعيرا بعد الخمس، و ما حاسبنا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بالذى أعطانا صاحبنا، و لا عاب عليه ما صنع «۲».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۸۵ و ۱۸۶ عن أحمد و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۴ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۷۸ و ۷۷۹ و عن مسند أحمد ج ۶ ص ۱۱ و ۱۲ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۲۰۶ و ۲۰۷ و عن عون المعبود ج ۴ ص ۵۹ و ۶۰ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۷ ص ۳۴۱.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۸۷ و المجموع ج ۱۹ ص ۳۸۳ و نيل الأوطار ج ۸ ص ۱۰۸ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۶ ص ۳۱۲ و المصنف للصنعانى ج ۵ ص ۱۹۰ و راجع صحيح ابن حبان ج ۱۱ ص ۱۶۴ و المعجم الأوسط ج ۵ ص ۱۵۵ و المعجم الكبير ج ۱۲ ص ۲۹۴ و الجامع لأحكام القرآن ج ۷ ص ۳۶۲ و عن الدر المنثور ج ۳ ص ۱۶۰ و الطبقات الكبرى ج ۴ ص ۱۴۶ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۷۴ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۵۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۹۶

و فى رواية: نفلنا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بعيرا بعيرا، فكان لكل إنسان ثلاثة عشر بعيرا «۱».

قال عبد اللّه بن أبى حدرد: فأتينا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و جئت برأس رفاعة أحمله معى، فأعطانى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من تلك الإبل ثلاثة عشرة بعيرا، فدخلت بزوجتى، و رزقنى اللّه خيرا كثيرا «۲».

و عند محمد بن عمر، عن جعفر بن عمر: و قالوا: غابوا خمس عشرة ليلة، و جاؤوا بمائتى بعير، و ألف شاة، و سبوا سبيا كثيرا، و جمعوا الغنائم،

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۸۷ عن أحمد، و البخارى، و مسلم، و أبى داود و قال فى هامشه: أخرجه البخارى ج ۷ ص ۶۵۳ كتاب المغازى و صحيح مسلم ج ۳ ص ۳۶۸ و أحمد فى المسند ج ۲ ص ۱۰- ۶۲ و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۷۹ و ۷۸۰ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۶ و المغنى ج ۱ ص ۴۱۷ و الشرح الكبير ج ۱۰ ص ۷۴۱ و نيل الأوطار ج ۸ ص ۱۰۸ و ۱۰۹ و سنن أبى داود ج ۱ ص ۶۲۳ و السنن الكبرى ج ۶ ص ۳۱۲ و عن فتح البارى ج ۶ ص ۱۶۹ و عن عون المعبود ج ۷ ص ۲۹۸ و المصنف لابن أبى شيبة ج ۸ ص ۵۱۸ و مسند الشاميين ج ۴ ص ۱۴۲ و كنز العمال ج ۴ ص ۵۳۶ و الجامع لأحكام القرآن ج ۷ ص ۳۶۲ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۷۴ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۵۴.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۸۷ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۶ و ۷۷ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۲۳ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۵۵ و عن أسد الغابة ج ۳ ص ۳۳۵ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۱۰۴۶ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۸۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۹۷

فأخرجوا الخمس، فعزلوه، و عدل البعير بعشر من الغنم «۱».

قال الديار بكرى: فقتل من أشرافهم، و سبى سبيا كثيرا، و استاق النعم، فكانت الأبل مائتى بعير، و الغنم ألفى شاة، و كانت غيبته خمس عشرة ليلة «۲».

و نقول:

المهور الغالية:

و الـذى لا مجال للإغماض عنه: هو أن النبى «صـلى اللّه عليه و آله» قد اسـتكثر المهر الذى أعطاه ابن أبى حدرد لزوجته، و وجه له ما يشبه اللوم لمجرد أنه أصدق زوجته ماءتى درهم ..

و نقول:

۱- إن النبى نفسه «صـلى اللّه عليه و آله» قد أصدق زوجاته- كما يقول هؤلاء أنفسـهم- ضـعف هذا المبلغ أو أزيد من ذلك .. فلماذا يعترض على غيره فى أمر هو قد سنه للناس؟! و للناس فى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أسوة حسنة ..

۲- على أن ما يزعم أنه قـد قاله لابن أبى حـدرد: «لو كنتم تغترفون الدراهم من واديكم هذا ما زدتم»، غير ظاهر الوجه على المسـتوى العملى، فإن عمر بن الخطاب قد أمهر زوجته أم كلثوم أربعين ألف درهم، أو عشرة

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۸۷ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۸۰.

(۲) تاريـخ الخميس ج ۲ ص ۷۶ و الطبقـات الكبرى ج ۲ ص ۱۳۲ و عن عيون الأـثر ج ۲ ص ۱۷۶ و تاريـخ مدينة دمشق ج ۶۷ ص ۱۴۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۹۸

آلاف دينار، أو أربعين ألف دينار «۱».

ثم زادت المهور، و تنامت حتى بلغت مئات الألوف و الملايين.

---

(۱) راجع: تاريـخ اليعقوبى ج ۲ ص ۱۴۹ و ۱۵۰ و راجع: جواهر الكلاـم ج ۳۱ ص ۱۵ و المبسوط للشـيخ الطوسى و السرائر ج ۳ ص ۶۳۷ ط جماعة المدرسـين و الوسائل ط مؤسسة آل البيت ج ۲۱ باب ۹ من أبواب المهور و الفتوحات الإسلامية ج ۲ ص ۴۵۵ و ۴۵۶ و أسد الغابة ج ۵ ص ۶۱۵ و الذريـة الطاهرة للدولابى ص ۱۶۰ و الإصابة ج ۴ ص ۴۹۲ و البدايـة و النهاية ج ۷ ص ۱۵۶ و ج ۵ ص ۳۳۰ و ميزان الإعتـدال ج ۲ ص ۴۲۵ و الـدر المنثور ص ۶۲ و تاريـخ الإسـلام للـذهبى عهد الخلفاء الراشدين ص ۱۶۶ و الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ۴ ص ۴۹۱ و الطبقات الكبرى لابن سـعد (ط دار التحرير) ج ۸ ص ۳۴۰ و (ط دار صادر) ص ۴۶۴ و سير أعلام النبلاء ج ۳ ص ۵۰۱ و كنز العمال (ط مؤسسة الرسالـة) ج ۱۳ ص ۶۲۵ عن ابن سـعد، و البيهقى فى السـنن، و ابن أبى شـيبة، و ابن عسـاكر، و ابن عـدى فى الكامل، و تاريـخ الأمم و الملوك ج ۳ ص ۲۷۰ (ط مطبعـة الإسـتقامة) و الكامل فى التاريخ ج ۳ ص ۵۴ و نسـاء أهل البيت لخليل جمعـة ج ۱ ص ۶۶۰ و المجمـوع ج ۱۶ ص ۳۲۷ و ذخـائر العقبى ص ۱۷۰ عـن أبى عمر، و الـدولابى، و ابن السـمان، و إفحام الأعداء و الخصوم ص ۱۶۵ و مختصـر تاريخ دمشق لابن منظور ج ۴ ص ۲۷۰ و ج ۹ ص ۱۶۱ و المصنف لابن أبى شيبة ج ۳ ص ۳۱۹ و شـرح النهج للمعتزلى ج ۱۲ ص ۲۲۷ و عيون الأخبار لابن قتيبـة ج ۴ ص ۷۱ و عمـدة القارى ج ۲۰ ص ۱۳۷ و حياة الحيوان ج ۱ ص ۴۹۴ و سيرة ابن إسحاق ص ۲۴۹ و مختصر تاريخ دمشق ج ۹ ص ۱۶۱ و تهذيب تاريخ دمشق ج ۶ ص ۲۸ و راجع: تاريـخ عمر بن الخطـاب ص ۲۶۷ و نهايـة الأرب ج ۱۹ ص ۳۹۱ و السـيدة زينب لحسن قـاسم ص ۶۴ و نظام الحكومـة النبوية (التراتيب الإدارية) ج ۲ ص ۴۰۵ عن المختار الكنتى فى الأجوبة المهمة، نقلا عن الحافظ الدميرى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۲۹۹

و حـديث زواج بوران بنت الفضـل بن سـهل بالمـأمون، و مـا أنفق فى زفافهـا، و مـا جعل نحلـة لها، مما لا يجهله أى مطلع على كتب

التاريخ «۱».

۳- قد أحل اللّه سبحانه أن يعطى الرجل للمرأة من المهر ما شاء. و إن كان يستحب تقليل المهر .. و لكن لا يلام و لا يجبه من لم يعمل بالمستحب ..

۴- إن مقدار المهر و خصوصياته قد تفرضه ظروف خارجة عن اختيار الزوج، و قد يكون منها رغبة الزوجة، أو رغبة أهلها بتكثير المهر لأسباب خاصة بهم .. فلا يستحق الزوج هذا التأنيب أو اللوم، إلا إذا ثبت أنه هو قد بادر إلى ذلك على سبيل المباهاة، أو الشطط ..

تبييت العدو:

و قد ذكرت تلك الرواية: أن المسلمين أغاروا على القوم ليلا .. مع أنه قد تقدم: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ما بيت عدوا ليلا ..

فإذا كان هو لم يفعل ذلك تنزها عنه، فهل يسمح به لسراياه و بعوثه؟!

الغنائم و الأسرى:

و الذى يثير الشبهة أيضا هذه الغنائم الكثيرة، التى بلغت ألفى شاة، و ماءتى بعير، بل أكثر، بالإضافة إلى الأسرى و السبايا، هو أن الغانمين كانوا ستة عشر رجلا فقط .. فكيف استطاعوا أن يحافظوا على كل هذه الغنائم، و كل هذا السبى من محاولات أصحابها، استرجاعها، أو اقتطاع جزء أو أجزاء منها، من أى جهة أرادوا ..

---

(۱) الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور ص ۱۰۲ و ۱۰۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۳۰۰

فإن ستة عشر رجلا إذا تفرقوا حول ذلك الحشد العظيم من الغنائم و غيرها، و صاروا أفرادا متباعدين حولها، فإن هجوم أى جماعة من أية جهة كانت، سوف يكون ناجحا فى استعادة ذلك السلب و السبايا، أو فى استعادة كثير منه.

علما بأن كثرة هذه الإبل و الغنم، إن لم تكن تشير إلى كثرة المالكين لها، فإن مجرد كونهم من قبائل غطفان يكفى على هذه الكثرة فيهم، و معها الجرأة أيضا ..

فقد عرفنا: أن عيينة بن حصن الغطفانى كان يتحرك فى المنطقة كلها من منطلق كونه قوة رئيسة فيها، حتى لقد كان المناوئون للإسلام يعرضون عليه أثمانا باهظة جدا، إذا نصرهم بالألوف من الغطفانيين الذين كانوا تحت أمره و بأمرته.

إذن .. فكيف يمكن أن نتصور ستة عشر رجلا يغيرون على غطفان، و هى فى بلاد بعيدة عن المدينة- حتى لقد غاب المسلمون فى سريتهم إليها خمس عشرة ليلة- ثم يأخذون سبايا و غنائم بهذا الحجم العظيم، و لا يبادر الأهل و الأصحاب، و أهل النجدة من تلك القبيلة لنجدة من حل بهم المصاب؟! و استرجاع كل أو بعض ما أخذ من سبايا، و أسلاب؟! خصوصا مع طول المسير، و ليس للمغيرين ظهير و لا مجير، و لا محام و لا نصير!!

الإحاطة بالحاضر:

و إذا كانت الغنائم و السبايا بهذه الكثرة، فإن الدائرة التى يكون فيها الحاضر متسعة، فكيف أحاط ستة عشر رجلا بهم فيها؟! و كيف

تعرّف بعضهم على بعض؟ .. و كيف؟ .. و كيف؟ ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۰۱

يرى وجه مهاجمه فى ظلام الليل:

و قد صرحت الروايات المتقدمة: بأن هجوم أبى قتادة و من معه كان ليلا، بعد ان ذهبت فحمة العشاء، (أى ذهب إقباله و أول سواده «۱») ..

فكيف رأى ابن أبى حدرد الرجل الطويل، و قد جرد سيفه؟! و كيف رآه يمشى القهقرى، و مرة يقبل عليه بوجهه، و مرة يدبر عنه بوجهه؟!

افتراق الزميلين:

و إذا كان هو قد طارد ذلك الرجل الطويل، و ترك صاحبه، فلماذا يتركه صاحبه؟! أو لماذا يترك هو صاحبه؟! و إذا كان يراه يذهب كما تقول الراوية، فلماذا لم يلحق به؟!

الغنائم تحل المشكلات:

ثم إننا لا نستطيع أن نتجاهل ذلك الإنطباع غير المحمود، الذى تتركه الطريقة التى يزعمون أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد عالج بها مشكلة ابن أبى حدرد، من حيث أنه اعتمد فى ذلك على الغنائم التى سوف تحصل عليها تلك السرية، و كأن همه «صلى اللّه عليه و آله» منصرف إلى حل المشكلات بهذا الأسلوب .. و كأن سراياه كانت سرايا تحصيل أموال، و حصول على سبايا و غنائم ..

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۴ و كنز العمال ج ۱ ص ۳۴۰۱ و عون المعبود ج ۷ ص ۱۸۹ و شرح سنن النسائى للسيوطى ج ۱ ص ۲۸۷ و النهاية فى غريب الحديث ج ۳ ص ۴۱۷ و لسان العرب ج ۲ ص ۴۴۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۰۲

و نحن لا نشك فى عدم صحة ذلك، و أنه لا يمكن أن يكون ذلك محط اهتمامات رسول «صلى اللّه عليه و آله»، و لا هو مما يرتكز إليه فى وعوده المالية .. بل كان همه «صلى اللّه عليه و آله» هو الدعوة إلى اللّه. و تحصين المسلمين، و حفظهم من كيد اعدائهم، و المتربصين بهم ..

وعد آخر بسبية متوقعة:

هذا و قد رووا عن عبد اللّه بن أبى حدرد: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» كان قد وعد محمية بن جزء الزبيدى بجارية من أول فىء يفىء اللّه به.

فلما رجع أبو قتادة بالغنائم و السبى التى أخذها من غطفان، فى أرض محارب، جاء محمية بن جزء إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و قال: يا رسول اللّه، إن أبا قتادة قد اصاب جارية وضيئة، و قد كنت وعدتنى جارية من أول فىء يفىء اللّه به عليك.

فأرسل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إلى أبى قتادة، و قال: هب لى الجارية، فوهبها له، فأخذها و دفعها إلى محمية بن جزء «۱».

و نقول:

۱- لماذا يطلب النبى «صلى اللّه عليه و آله» من أبى قتادة أن يهبه الجارية، و لا يطلب منه أن يبيعها له؟! أليس ذلك هو الأنسب، من حيث أنه لا تبقى

---

(۱) راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۸۷ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۸۰ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۶ و راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۲ ص ۱۳۳ و تاريخ مدينة دمشق ج ۶۷ ص ۱۴۹ و عن الإصابة ج ۶ ص ۳۷ و الأعلام للزركلى ج ۷ ص ۱۸۹ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۷۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۰۳

لأحد منة على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»؟! و هو الأولى، من حيث تأكيد اليقين بطيب نفسه عن تلك الجارية الوضيئة، و الرضا بالمال الذى يحصل عليه كثمن لها؟!

۲- لماذا اختار ذلك الرجل الموعود خصوص جارية أبى قتادة الوضيئة، و لم يختر سواها؟!

أو فقل: لماذا يفسح المجال لذلك الشخص ليعيّن هو هذه الجارية أو تلك؟ و لماذا لا يكتفى بمجرد مطالبة النبى «صلى اللّه عليه و آله» بالوفاء بوعده، باستخلاص أية جارية كانت من صاحبها، لكى يعطيه إياها؟

۳- ألم يكن لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» الصفى من المغانم؟ أليس كان من الطبيعى أن تكون الجارية الوضيئة التى قد يثور حولها خلاف حين الاقتسام، هى الصفى لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، لينقطع بذلك دابر الخلاف فيها، و يزول الاحساس بالغبن، و التحاسد لدى سائر المقاتلين الذين لم تكن تلك الجارية من نصيبهم؟!

۴- إن ما يستوقفنا هنا أيضا: أن غطفان لم تحاول اللحاق بأولئك الذين قتلوا رجالها، و سبوا نساءها، و استاقوا نعمها و شاءها، و هم خمسة عشر رجلا فقط، مع أن مسيرهم طويل، و ليس فيهم من يخشاه فوارس غطفان، الذين كانوا يعدون بالمئات و الألوف ..

سرية ابن أبى حدرد إلى الغابة:

و فى هذه السنة كانت سرية عبد اللّه بن أبى حدرد الأسلمى أيضا، و معه رجلان إلى الغابة، لما بلغه «صلى اللّه عليه و آله» أن رفاعة بن قيس يجمع

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۰۴

لحربه، فذهب الرجال الثلاثة إلى رفاعة فقتلوه و هزموا عسكره، و غنموا غنيمة عظيمة. حكاه مغلطاى «۱».

و عن عبد اللّه بن أبى حدرد أنه قال: أقبل رجل اسمه رفاعة بن قيس، أو قيس بن رفاعة فى بطن عظيم من بنى جشم، حتى نزل بقومه، و بمن معه الغابة، يريد أن يجمع قيسا على حرب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و كان ذا اسم و شرف فى جشم.

فدعانى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و رجلين من المسلمين فقال:

«أخرجوا إلى هذا الرجل، حتى تأتونى منه بخبر و علم».

و قدم لنا شارفا عجفاء، يحمل عليها أحدنا، فو اللّه ما قامت به ضعفا، حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم، حتى استقلت، و ما كادت. ثم قال: «تبلغوا عليها و اعتبقوها» «۲».

قال عبد اللّه بن أبى حدرد: فخرجنا، و معنا سلاحنا من النبل و السيوف، حتى إذا جئنا قريبا من الحاضر (عشيشية)، مع غروب الشمس، كمنت فى

---

(۱) راجع: كتاب المحبر ص ۱۲۳ و عن أسد الغابة ج ۳ ص ۳۳۴ و عن تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۱۷ و سبل الهدى و الرشاد

ج ۶ ص ۱۸۵ و عن البدايـة و النهاية ج ۴ ص ۲۵۴ و عن السـيرة النبوية لابم هشام ج ۴ ص ۱۰۶۴ و عن عيون الأـثر ج ۲ ص ۱۷۹ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۲۲ و عن زاد المعاد ج ۱ ص ۱۱۱۹.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۸۶ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۶ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۴ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۱۰۴۶ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۷۹ و عن تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۱۷ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۲۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۰۵

ناحية، و أمرت صاحبى فكمنا فى ناحية أخرى من حاضر القوم، و قلت لهما:

إذا سمعتمانى قد كبرت و شددت فى ناحية العسكر، فكبرا، و شدا معى.

قال: فو اللّه إنا لكذلك ننتظر غرة القوم، أو أن نصيب منهم شيئا، غشينا الليل، فذهبت فحمة العشاء، و كان راعيهم قد أبطأ عليهم حتى تخوفوا عليه.

فقام صاحبهم رفاعة بن قيس، أو قيس بن رفاعة. فأخذ سيفه، فجعله فى عنقه، ثم قال: و اللّه لأتبعن أثر راعينا هذا، فلقد أصابه شر.

فقال بعض من معه: نحن نكفيك فلا تذهب.

فقال: و اللّه لا يذهب إلا أنا.

فقالوا: و نحن معك.

قـال: و اللّه لاـ يتبعنى أحـد منكم. و خرج حـتى مر بى، فلمـا أمكننى نفحته بسـهم، فوضـعته فى فـؤاده، فـو اللّه مـا تكلم، و وثبت إليه، فاحتززت رأسه، و شددت فى ناحية العسكر، و كبرت، و شد صاحباى و كبرا.

فو اللّه ما كان إلا النجاء ممن فيه: عندك، عندك. بكل ما قدروا عليه من نسائهم و أبنائهم، و ما خف معهم من أموالهم، و استقنا إبلا عظيمة، و غنما كثيرة «۱».

ثم ذكر أنه جاء بالغنيمة إلى رسول اللّه فأعانه «صلى اللّه عليه و آله»، منها بثلاثة عشر بعيرا.

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۸۷ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۶ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۴ و عن البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۵۴ و عن السـيرة النبويـة لابن هشام ج ۴ ص ۱۰۴۶ و عن عيون الأـثر ج ۲ ص ۱۷۹ و عن تاريـخ الأـمم و الملوك ج ۲ ص ۳۱۷ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۲۲ و عن زاد المعاد ج ۱ ص ۱۱۱۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۰۶

و نقول:

إن أكثر المفردات التى وردت فى هذه السرية قد جاءت فى غير السياق الطبيعى، فلاحظ على سبيل المثال ما يلى:

۱- إن راوى هـذه الأحـداث هـو ابن أبى حـدرد نفسه، و هـو يـدعى أنه حقق بطولاـت نـادرة، من شأنهـا أن تصـبح حـديث النوادى، للحاضـر، و للبادى، و أن يحتفى الناس ببطلها و بمساعديه، و يصبح الرجل المقدم على الأقران، و أن نسمع الثناء عليه و عليهم من كل شفة و لسان، حتى من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فى ذلك الوقت، و فى كل عصر و زمان ..

و لكن كل ذلك لم يكن ..

۲- إذا كان هناك جمع عظيم مجموع، و مستعد لحرب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و قد هزمه ثلاثة أشخاص فقط، فإن المتوقع من هـذا الجمع العظيم، أن يعيـد الكرة على مهاجميه، بعـد أن يعود إليه صوابه، و أن يلاحق الـذين اسـتاقوا الأبل و الشاء، و أن يراقب حركتهم، و يسعى إلى الانتقام لنفسه، و يستعيد كرامته، و يستنقذ شرفه.

و لكن كل ذلك لم يكن أيضا.

۳- إن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إنما أرسل ابن أبى حدرد و رفيقيه فى مهمة محددة، و هى أن يأتوا من رفاعة بن قيس بخبر، فما معنى أن يشنوا الغارة عليه، و يقتلوه، و لم يأمرهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بذلك ..

۴- ما معنى أن يعطيهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى مهمتهم تلك التى تحتاج إلى النشاط و الحركة السريعة، لكونها مهمة استطلاع شارفا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۰۷

واحدا؟. ثم أن تكون هذه الشارف عجفاء، أى لم تستطع أن تقوم بواحد منهم لشدة ضعفها «۱».

۵- لماذا أصر رفاعة على الخروج فى طلب الراعى، و لم يوكل ذلك إلى بعض قومه؟! ثم لماذا أصر أن يكون وحده؟! فهل كان غاضبا من قومه، لائما لهم على تقصيرهم؟!.

أم أن على الرئيس أن يتولى أمر تفقد رعاته، و أن يبحث عنهم بنفسه؟!

۶- لماذا حمل رأس قيس بن رفاعة معه إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»؟! و هل جرت عادة السرايا أن يأتوا برؤوس الناس إليه «صلى اللّه عليه و آله»؟!

و ما الذى قاله له رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى ذلك؟! هل قبله منه؟ أم اعترض عليه؟! أم سكت عنه؟!.

۷- من هو الذى جمع هذا الجمع العظيم؟! هل هو قيس بن رفاعة؟ أم هو رفاعة بن قيس؟! ..

و هل يكون مثلا من يستطيع أن يجمع هذا الجمع نكرة و مجهولا إلى هذا الحد؟!

۸- لماذا لم يذكر الرواة لنا عن هؤلاء الذين جمعهم رفاعة بن قيس شيئا، فلم تعرف قبائلهم، و لا عرفنا أحدا من الشخصيات التى كانت

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۴ و عن البداية و النهاية ج ۲ ص ۲۵۴ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۱۰۴۶ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۷۹ و عن تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۱۷ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۲۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۸۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۰۸

معهم، أو فى جملة قياداتهم ..

۹- قد ذكروا: أن ابن أبى حدرد زعم: أنه طلب من النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن يعينه فى مهر زوجته، فأرسله فى هذه السرية، و أعانه «صلى اللّه عليه و آله» بثلاثة عشر بعيرا فى صداق زوجته «۱».

ثم ذكروا: أنه حين طلب منه «صلى اللّه عليه و آله» المعونة فى ذلك:

أرسله مع أبى قتادة فى سرية فحصل على ما أراد، فقد روى عن ابن أبى حدرد نفسه أنه قال:

«لما طلبت منه «صلى اللّه عليه و آله» الإعانة فى مهر زوجتى. قال لى: ما وافقت عندنا شيئا أعينك به، و لكن قد أجمعت أن أبعث ابا قتادة فى أربعة عشر رجلا فى سرية، فهل لك أن تخرج فيها».

ثم ذكر خروجه معهم، و أنه قتل ذلك الرجل الذى صار يتهكم به، و أنه رأى فى السبى إمرأة كأنها ظبى، تبين له أنها هى صاحبة ذلك الرجل الذى كان قد قتله، فراجع «۲».

و يلاحظ: أن ثمة تشابها فى مقدار الغنيمة، بين هذه السرية و السرية التى قبلها، فحصته كانت فى كل واحدة منها ثلاثة عشر بعيرا.

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۴ و المستدرك للحاكم ج ۲ ص ۱۷۸ و السنن الكبرى ج ۷ ص ۲۳۵ و مجمع الزوائد ج ۴ ص ۲۸۲ و

عن المصنف لابن أبى شيبة ج ۳ ص ۳۱۹ و بغية الباحث ص ۱۵۸ و المعجم الكبير ج ۲۲ ص ۳۵۲ و عن فيض القدير ج ۵ ص ۴۲۱ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۴ ص ۳۱۰ و عن أسد الغابة ج ۵ ص ۱۶۹ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۸۷.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۴ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۸۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۰۹

سرية أبى عبيدة إلى سيف البحر:

و كانت سرية أبى عبيدة إلى سيف البحر، ليرصدوا عيرا لقريش «۱». فى شهر رجب فى السنة الثامنة للهجرة، و ذلك بعد أن نكثت قريش العهد و قبل الفتح «۲».

قال بعضهم: و كان النكث- كما زعم هؤلاء- فى شهر رمضان «۳».

و لعل الأمر قد اشتبه عليه، فإن الفتح كان فى شهر رمضان، أما النكث فكان قبل ذلك.

و لعله أراد أن يكتب أن الفتح كان فى شهر رمضان، فكتب بدل ذلك، أن النكث كان فيه.

و عند ابن سعد: أن هذه السرية كانت فى سنة ست أو قبلها، قبل الحديبية «۴».

---

(۱) راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۱ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۱۴ و ۳۱۵ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۲۲ و عن صحيح البخارى (ط دار العامرة- إستانبول) ج ۶ ص ۲۲۴ و عن صحيح مسلم ج ۶ ص ۶۲ و مسند الحميدى ج ۲ ص ۵۲۱ و مسند أبى يعلى ج ۲ ص ۴۵۷ و صحيح ابن حبان ج ۱۲ ص ۶۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۷۶ و البحار ج ۲۱ ص ۶۴.

(۲) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۵ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۲ ص ۱۳۲ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۷۳ و تاج العروس ج ۵ ص ۱۲۵.

(۳) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۵ عن ابن العراقى فى شرح التقريب.

(۴) راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۷۹ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۷۴ و ۱۷۵ و عن فتح البارى ج ۸ ص ۶۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۱۰

و على كل حال، فقد قالوا: بعث رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أبا عبيدة بن الجراح فى سرية فيها المهاجرون و الأنصار، و هم ثلاثمائة رجل إلى ساحل البحر، إلى حى من جهينة، فأصابهم جوع شديد، فأمر أبو عبيدة بالزاد فجمع حتى إنهم كانوا ليقتسمون التمرة.

فقيل لجابر: فما يغنى ثلث تمرة.

قال: لقد وجدوا فقدها.

قال: و لم تكن معهم حمولة. إنما كانوا على أقدامهم، و أباعر يحملون عليها زادهم. فأكلوا الخبط، حتى إن شدق أحدهم بمنزلة مشفر البعير العضة.

فمكثنا على ذلك حتى قال قائلهم: لو لقينا عدوا ما كان بنا من حركة إليه. لما بالناس من الجهد.

فقال قيس بن سعد: من يشترى منى تمرا بجزر. يوفينى الجزر ههنا، و أو فيه التمر بالمدينة؟

فجعل عمر يقول: و اعجباه لهذا الغلام، لا مال له، يدّان فى مال غيره.

فوجد رجلا من جهينة، فقال قيس بن سعد: بعنى جزرا و أوفيك سقة من تمر بالمدينة.

قال الجهنى: و اللّه ما أعرفك. و من أنت.

قال: أنا قيس بن سعد بن عبادة بن دليم.

قال الجهنى: ما أعرفنى بنسبك. أما إن بينى و بين سعد خلة، سيد أهل يثرب.

فابتاع منهم خمس جزر، كل جزور بوسقين من تمر. يشرط عليه البدوى تمر ذخيرة مصلبة من تمر آل دليم. الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ۲۰ ۳۱۱ سرية أبى عبيدة إلى سيف البحر: ..... ص : ۳۰۹

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۱۱

قال: يقول قيس: نعم.

قال الجهنى: فأشهد لى.

فأشهد له نفرا من الأنصار، و معهم نفر من المهاجرين.

قال قيس: أشهد من تحب.

فكان فيمن أشهد عمر بن الخطاب، فقال عمر: لا أشهد! هذا يدان و لا مال له. إنما المال لأبيه.

قال الجهنى: و اللّه، ما كان سعد ليخنى بابنه فى سقة من تمر! و أرى وجها حسنا، و فعالا شريفا.

فكان بين عمر و بين قيس كلام حتى أغلظ له قيس الكلام.

و أخذ قيس الجزر فنحرها لهم فى مواطن ثلاثة. كل يوم جزورا. فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره و قال: تريد أن تخفر ذمتك و لا مال لك؟

و قال الواقدى: حدثنى محمد بن يحيى بن سهل، عن أبيه، عن رافع بن خديج، قال: أقبل أبو عبيدة بن الجراح و معه عمر بن الخطاب، فقال:

عزمت عليك ألا تنحر؛ أتريد أن تخفر ذمتك و لا مال لك؟

فقال قيس: يا أبا عبيدة، أترى أبا ثابت و هو يقضى دين الناس، و يحمل الكل، و يطعم فى المجاعة، لا يقضى سقة من تمر لقوم مجاهدين فى سبيل اللّه!

فكاد أبو عبيدة أن يلين له، و يتركه حتى جعل عمر يقول: اعزم عليه! فعزم عليه، فأبى عليه أن ينحر.

فبقيت جزوران معه، حتى وجد القوم الحوت، فقدم بهما قيس المدينة ظهرا يتعاقبون عليها.

و بلغ سعد ما كان أصاب القوم من المجاعة، فقال: إن يكن قيس كما

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۱۲

أعرفه فسوف ينحر للقوم.

فلما قدم قيس لقيه سعد، فقال: ما صنعت فى مجاعة القوم حيث أصابهم؟

قال: نحرت.

قال: أصبت، انحر.

قال: ثم ماذا؟

قال: ثم نحرت.

قال: أصبت، انحر.

قال: ثم ماذا؟

قال: ثم نحرت.

قال: أصبت، انحر.

قال: ثم ماذا؟

قال: نهيت.

قال: و من نهاك؟

قال: أبو عبيدة بن الجراح أميرى.

قال: و لم.

قال: زعم أنه لا مال لى، و إنما المال لأبيك.

فقلت: أبى يقضى عن الأباعد، و يحمل الكل، و يطعم فى المجاعة، و لا يصنع هذا بى.

قال: فلك أربع حوائط.

قال: و كتب له بذلك كتابا.

قال: و أتى بالكتاب إلى أبى عبيدة، فشهد فيه، و أتى عمر فأبى أن يشهد

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۱۳

فيه- و أدنى حائط منها يجذ خمسين و سقا. و قدم البدوى مع قيس فأوفاه سقته، و حمله، و كساه.

فبلغ النبى «صلى اللّه عليه و آله» فعل قيس، فقال: إنه فى بيت جود «۱».

ثم روى الواقدى عن جابر بن عبد اللّه: أن البحر ألقى لهم حوتا مثل الظرب، فأكل الجيش منه اثنتى عشرة ليلة، ثم أمر أبو عبيدة بضلع من أضلاعه فنصب، ثم أمر براحلة فرحلت، ثم مر تحتها فلم يصبها «۲».

حدثنى ابن أبى ذئب، عن أبيه، عن جابر بن عبد اللّه، قال: إن كان الرجل ليجلس فى وقب عينه، و إن كان الراكب ليمر بين ضلعين من أضلاعه على راحلته.

حدثنى عبد اللّه بن الحجازى، عن عمر بن عثمان بن شجاع، قال: لما قدم الأعرابى على سعد بن عبادة، قال: يا أبا ثابت! و اللّه، ما مثل ابنك صنعت، و لا تركت بغير مال؛ فابنك سيد من سادات قومه، نهانى الأمير أن أبيعه.

قلت: لم؟

قال: لا مال له! فلما انتسبت إليك عرفته، فتقدمت لما عرفت أنك تسمو على معالى الأخلاق و جسيمها، و أنك غير مذم بمن لا معرفة له لديك.

---

(۱) راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۷۷- ۱۷۸ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۱۷۴ و ۱۷۵ و عن فتح البارى ج ۸ ص ۶۲ و تاريخ مدينة دمشق ج ۹۴ ص ۴۱۲- ۴۱۵ و سير اعلام النبلاء ج ۳ ص ۱۰۵ و ۱۰۶.

(۲) راجع: مسند ابن الجعد ص ۳۸۷ و صحيح ابن حبان ج ۲ ص ۶۵ و رياض الصالحين للنووى ص ۲۸۱ و عن نصب الراية ج ۶ ص ۷۰ و عن مسند أحمد ج ۳ ص ۳۰۶ و عن صحيح مسلم ج ۶ ص ۶۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۱۴

قال: فأعطى ابنه يومئذ أموالا عظاما «۱».

رصد عير قريش لا يصح:

و نقول:

قد ذكروا: أنه «صلى اللّه عليه و آله» أرسل أبا عبيدة بن الجراح فى ثلاث مائة رجل إلى حى من جهينة فى ساحل البحر.

و قيل: ليرصدوا عيرا لقريش.

قال الحلبى: «و عليه فتكون هذه السرية قبل الهدنة الواقعة فى الحديبية، لما تقدم أنه «صلى اللّه عليه و آله» لم يكن يرصد عيرا لقريش إلى الفتح.

و تعدد سرية الخبط بعيد، فلا يقال: يجوز أن تكون سرية الخبط مرتين:

مرة قبل الهدنة، و مرة بعدها. و من ثم حكم على هذا القول: بأنه و هم الخ ..» «۲».

و نضيف إلى ذلك: أن رصد العير، إن كان لأجل مهاجمتها و أخذها، كان ذلك نقضا للهدنة، و لا يقدم النبى «صلى اللّه عليه و آله» على ذلك أبدا.

و إن كان لمجرد الاستعلام عن مسيرها، و عن حالاتها، فيرد سؤال عن الفائدة فى الحصول على هذه المعلومات.

و سؤال آخر عن سبب تجهيز ثلاث مائة رجل لمجرد مهمة رصد،

---

(۱) المغازى للواقدى ص ۷۷۴- ۷۷۷ و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۲ و ۱۹۳ و راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۷۸ و تاريخ مدينة دمشق (ط دار الكتب العلمية) ج ۵۲ ص ۲۷۰.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۱۵

يكفى فيها أقل من عشر هذا العدد.

و سؤال ثالث يفرض نفسه هنا، عن سبب امتداد إقامة ثلاث مائة شخص ما يقارب الشهرين فى تلك المنطقة النائية.

و سؤال رابع عن سبب قصور أزوادهم عن أن تكفيهم فى هذه المدة التى يحتاجون إليها لتحقيق مراد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و إنجاز المهمة الموكلة إليهم ..

ثم أن نسأل أخيرا .. إذا كانت المهمة قتالية، لمن كان فى ساحل البحر من جهينة، فإن كانوا قد أنجزوها فور وصولهم، فلماذا لم يرجعوا إلى بلادهم مباشرة؟

و لماذا امتدت إقامتهم إلى حين نفذت أزوادهم حتى أكلوا الخبط؟ ثم إلى حين أكلوا شهرا من تلك الدابة البحرية.

و إن كانت تلك المهمة لم تنجز، و لم يباشروا القتال الذى أمروا بمباشرته، فلا بد أن نسأل عن سبب ذلك.

على أن الأغرب من ذلك كله .. أن سرية تمتد تحتاج إلى حوالى شهرين لإنجاز مهمتها، و فيها ثلاث مائة مقاتل، لا يذكر لنا التاريخ أى شيء عما جرى لها، و عن أى شيء من إنجازاتها ..

فلا ندرى هل حققت نصرا، أم منيت بهزيمة .. و إن كانت قد ظفرت بالعدو، فكم قتلت منهم؟ و كم أسرت؟ و ما هى الغنائم التى حصلت عليها؟

و إذا كان ثلاثة أشخاص، أو أربعة عشر شخصا أو نحو ذلك يحققون الإنجازات الكثيرة فى سرايا أخرى، فلماذا لم يستطع هذا العدد الكبير هنا تحقيق أى شيء رغم هذه الكثرة؟!

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۱۶

هدف السرية:

و روى عن جابر أنه قال: إن سبب بعث هذه السرية هو «طلب عير لقريش، و ترصدها. فأقمنا على الساحل حتى فنى زادنا، و أكلنا الخبط حتى تقرحت أشداقنا، ثم إن البحر ألقى إلينا دابة، يقال لها: العنبر، فأكلنا منها نصف شهر حتى صحت أجسامنا» «۱».

و نقول:

إننا لا ندرى ما معنى أن يرسل «صلى اللّه عليه و آله» ثلاث مائة رجل فى طلب عير لقريش مع أنه يكفى لأخذ العير ما هو أقل من هذا العدد بكثير ..

إلا إذا فرض: أن قريشا كانت تجهز مئات المقاتلين لحماية قوافلها الاقتصادية.

و إن كان المطلوب كما صرحت به الرواية هو مجرد ترصد تلك البعير، و ليس المطلوب القتال فإن هذا العدد الكبير لا يناسب حالة الترصد و الاستطلاع، لأنه عدد لا يمكن إخفاؤه لمدة طويلة .. بل هو سوف يطير خبره فى كل اتجاه، و سوف يتحاشى الناس من الاقتراب منه .. و فرض توزعهم فى الشعاب و الجبال ليقوموا بمهمة الرصد، لا يمنع من افتضاح أمرهم مع طول المدة التى تحتاجها مهمة الرصد هذه .. إلا إن كان الهدف

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۵ و راجع: مسند الحميدى ج ۲ ص ۵۲۱ و ۵۲۲ و صحيح ابن حبان ج ۱۲ ص ۶۳ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۲۲ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۱۵ و عن صحيح البخارى ج ۶ ص ۲۳۳ و عن صحيح مسلم ج ۶ ص ۶۱ و ۶۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۱۷

من هذه السرية هو الضغط على قريش من الناحية النفسية، و إيجاد حالة من الخشية و الترقب، و عدم الاستقرار لديها ..

على أن من غير المعقول: فى سرية بهذا الحجم، و تحتاج فى إنجاز مهمتها إلى وقت طويل، أن لا تحمل معها من القوت ما يكفيها طيلة إقامتها إلا أن يكون اعتمادها على الغارة و السلب، و هذا ما لا يقرهم عليه دينهم و خلقهم، و لا يقبله وجدانهم و لا يرضاه منهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» كما أشرنا إليه أكثر من مرة.

عقلاء .. أم حساد؟!:

إن سعد بن عبادة كان رئيس الخزرج، و كان من بيت شرف و أريحية و إباء .. و كان قيس نفسه معروفا بالجود و الكرم أيضا ..

و لسنا نشك فى أن سعدا لا يخذل ولده فى موقف كهذا، بل هو يسر و يفتخر و يتباهى به. و قد قال ذلك الرجل- بائع التمر- نفسه: و اللّه، ما كان سعد ليخنى بابنه فى سقة من تمر.

و لكن اللافت: هو هذا الموقف الحاد الذى اتخذه عمر بن الخطاب، الذى كان يكفيه أن يسدى النصيحة لقيس فيما بينه و بينه. و أما تقبيح عمله على رؤوس الأشهاد، ثم التشكيك بوفاء أبيه له، فلا يرضاه أحد لا سيما و انه يستبطن انتقاصا من سعد و من قيس على حد سواء ..

و لا نريد أن نفسح المجال لخيالنا ليلا حق دوافع هذا الموقف الحاد، فنفترض تارة أن الهدف هو صلاح قيس، و حفظ أموال سعد عن الإهدار و التبذير ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۱۸

ثم نناقش فى ذلك: بأن هذا ليس من التبذير و لا الإهدار، بل هو مال تحفظ به النفوس، و تصان به الأرواح. و إن لم تسخ به نفس سعد بن عبادة، و لم يف بذمة ولده، فلا شك فى أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» نفسه هو الذى سيتولى هذا الوفاء، و لو من بيت مال المسلمين.

و سيكون «صلى اللّه عليه و آله» شاكرا لقيس، مغتبطا بما صنع، لأنه حفظ جيش المسلمين من الضياع، و إبعاد الأذى و المتاعب عنه، حتى لو كانت فى أدنى حالاتها أمر محبوب و مطلوب للّه تعالى، و لرسوله، و لكل عاقل أريب ..

و قد كنا نتوقع أن يبادر عمر نفسه، أو أمير السرية و المسؤول عن حفظها- و هو أبو عبيدة- إلى نفس ما فعله قيس. و لكن الأمور

سارت على عكس ما توقعناه، فهما لم يفعلا شيئا، كما أنهما قد اتفقا على منع غيرهما من فعل أى شىء من ذلك.

و قد زاد الطين بلة، أن عمر بن الخطاب أبى أن يشهد ليس فقط لم يشهد على صفقة قيس مع ذلك الأعرابى على الجزائر التى أخذها ليطعم الجيش، و إنما هو لم يشهد حتى على الكتاب الذى كتبه سعد لولده بالحوائط الأربع، مكافأة له على ما فعل حسبما تقدم.

فهل كان ذلك من حسد اعترى هذا، أو ذاك، أو كليهما؟ أم كان قصر نظر، و عجز عن إدراك هذا الأمر الظاهر البداهة؟ أم أنهم لا يريدون لقيس المعروف بولائه لعلى «عليه السلام» أن يذكر بفضيلة أو مكرمة؟

لا ندرى و لعل الفطن الذكى يدرى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۱۹

عدد الجزائر:

قال البخارى: نحر لهم تسع جزائر، كل يوم ثلاثا «۱».

و قيل: نحر لهم ستة جزائر، كل يوم ثلاثا ثم نهاه أبو عبيدة «۲».

لكن الحلبى يقول: بل نحر ثلاث جزائر، ثم أيد ذلك بما تقدم عن الواقدى، من أنه بقى معه جزوران قدم بهما إلى المدينة.

و نقول:

لا ندرى كيف أيد القول بأنه نحر لهم ثلاث جزائر من قولهم: إنه بقى

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۵ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۲ و (ط دار الفكر) ج ۳ ص ۲۰۱ و راجع: المصنف للصنعانى ج ۴ ص ۵۰۸ و مسند الحميدى ج ۲ ص ۵۲۲ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۲۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۷۷ و السنن الكبرى للبيهقى (ط دار الفكر) ج ۱۴ ص ۱۵۰ و صحيح البخارى (ط دار إحياء التراث العربى) ج ۸ ص ۴۰۷ و عن صحيح مسلم (ط دار الكتب العلمية) ج ۱۳ ص ۷۴ (۴۹۵۶) و سنن النسائى ج ۷ ص ۲۷۳ و السنن الكبرى للنسائى (ط دار الكتب العلمية) ج ۳ ص ۱۶۴ و اللؤلؤ و المرجان ج ۱ ص ۶۲۰ و فتح البارى (ط دار الفكر) ج ۸ ص ۴۰۷ و شرح الزرقانى ج ۴ ص ۲۹۶ و عمدة القارى ج ۱۸ ص ۱۳ و البداية و النهاية (ط مكتبة المعارف) ج ۲ ص ۲۷۶ و زاد المعاد ج ۱ ص ۱۱۴۲

(۲) راجع: البحار ج ۲۱ ص ۶۴ عن الكازرونى فى المنتقى فى مولد المصطفى و راجع:

و صحيح البخارى (ط دار إحياء التراث العربى) ج ۱۱ ص ۳۹ و فتح البارى (ط دار الفكر) ج ۱۱ ص ۳۸ و سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۷۷ و السنن الكبرى للبيهقى (ط دار الفكر) ج ۱۴ ص ۱۵۶ و عمدة القارى ج ۲۱ ص ۱۰۴ و تاريخ مدينة دمشق ج ۵۲ ص ۲۷۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۲۰

معه جزوران .. فلماذا لا ينحر لهم تسعة، و يبقى معه جزوران، فإن المفروض هو: أنه أطعم الجيش ثلاثة أيام ..

و إذا كان عدد الجيش ثلاث مائة رجل، فمن المعلوم: أن الجزور الواحد إنما يكفى مائة رجل .. كما ظهر فى غزوة بدر، حيث كشف النبى «صلى اللّه عليه و آله» عدد جيش المشركين من ذبحهم يوما تسعا، و يوما عشرا، فكان الجيش ما بين تسع مائة إلى ألف .. فهل أطعم قيس فى كل يوم مائة رجل فقط، و أبقى مائتين بلا طعام؟!

مبالغات لا مبرر لها:

و قد أفاضوا ما شاءت لهم قرائحهم فى وصف دابة العنبر، و بيان ضخامتها، و عظم خلقتها حتى قالوا: «فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة

الكثيب الضخم، فأتيناه، فإذا هو دابة تدعى العنبر، فأقمنا عليها شهرا، و نحن ثلاثمائة حتى سمنّا.

و لقد رأيتنا نغترف من وقب عينيه بالقلال الدهن، و نقتطع منه القدر كالثور.

و لقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم فى وقب عينها، و أخذ ضلعا من أضلاعه فأقامها، ثم رحل أعظم بعير معنا، ثم ركبه أطول رجل منا (و هو قيس بن سعد) فجاز من تحتها، و تزودنا من لحمه الوسائق.

فلما قدمنا المدينة أتينا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فذكرنا ذلك له فقال: هو رزق أخرجه اللّه تعالى لكم.

فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۲۱

فأرسلنا إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» منه فأكله» «۱».

و نقول:

إننا نشك فى كثير مما ذكروه هنا .. و ذلك لما يلى:

هل للعنبر فلس؟!

إن أول سؤال يرد على الأذهان هو:

هل صحيح أن لحم هذه الدابة العظيمة مما يحل أكله؟! من حيث أن لها فلسا يكون علامة على ذلك، أو ليس لها فلس، فتكون حراما. كما هو مذهب أهل الحق ..

مقدار وقب عينها:

ثم إن هناك تناقضات حتى فى مبالغاتهم، فبينما يظهر من بعضها أن شخصا واحدا قد جلس فى وقب عينها نجد نصا آخر يقول: إن أبا عبيدة قد أجلس فى وقب عينها، ثلاثة عشر رجلا!!

فأى ذلك هو الصحيح؟!

---

(۱) راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۲ و ۱۹۳ و المحلى ج ۷ ص ۳۹۵ و عن مسند أحمد ج ۳ ص ۳۱۲ و عن صحيح مسلم ج ۶ ص ۶۱ و سنن أبى داود ج ۲ ص ۲۱۶ و شرح مسلم للنووى ج ۱۲ ص ۸۶ و مسند ابن الجعد ص ۳۸۷ و رياض الصالحين للنووى ص ۲۸۱ و الجامع لأحكام القرآن ج ۶ ص ۳۱۹ و عن تفسير القرآن العظيم ج ۲ ص ۱۰۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۲۲

الأعجوبة التى لم يهتم لها أحد!!

إن هذه الدابة إذا كانت بهذا الوصف فهى أعجوبة الدهر، فلماذا لم يقصدها الناس للتفرج على حجم أضلاعها من جميع البلاد؟ و لماذا لم يحتفظ أحد منهم بوقب عينها؟! أو بضلع من أضلاعها، ليفاخر به؟!

لا نظير لهذه الدابة فى المحيطات:

و إذا كان هذا هو حجم وقب عينها، و ارتفاع أضلاعها، فإن طولها لا بد أن يكون مئة متر، أو أكثر بكثير. فهل وجد فى محيطات هذا

العالم حيوان بهذا الحجم؟!

إنهم يقولون: إن أكبر حيوان بحرى يعرف فى العالم كله، لا يزيد طوله على ثلاثة و ثلاثين مترا، و لعل هناك من يحتمل أن يصل طول واحد منها إلى أربعين مترا ..

مع أن وقب عين الدابة التى يتحدث هؤلاء عنها يبلغ مساحة غرفة طولها ثلاثة أمتار بعرض ثلاثة، أو أقل بقليل، فإذا أضفنا إلى ذلك مساحة العين الأخرى، ثم المساحة الواقعة بينهما ..

فإن مساحة وجه تلك الدابة، ستكون ما بين عشرة أمتار إلى خمسة عشر مترا على أقل تقدير .. فما بالك بطول هذه الدابة التى عبرت عنها الروايات بالكثيب الضخم ..

هل هذا ميتة؟!

و فى حين يقولون: إنهم حين وجدوا الدابة التى تدعى العنبر، قال أبو

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۲۳

عبيدة: ميتة.

ثم قال: اضطررتم إليها، فكلوا، فأقمنا عليها شهرا و نحن ثلاث مائة حتى سمنا «۱».

ثم يقولون فى مناقضة ذلك: «فلما قدمنا المدينة، ذكرنا ذلك لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أمر العنبر، فقال: أخرجه اللّه تعالى لكم، لعل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟!.

فأرسلنا إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» منه فأكله.

أى و لم يكن أروح، بدليل أنه «صلى اللّه عليه و آله»، قال: لو نعلم أننا ندركه لم يروح لأحببنا لو كان عندنا منه.

قال ذلك ازديادا منه «۲».

فكيف يكون ميتة أولا، و لم يحل لهم إلا لأنهم اضطروا إليه، ثم يطلب النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن يأتوه منه بشيء، ثم يأكله و هو لم يكن مضطرا

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۲ و مسند ابن الجعد ص ۳۸۷ و الجامع لأحكام القرآن ج ۲ ص ۲۲۸ و المحلى ج ۷ ص ۳۹۵ و نيل الأوطار ج ۹ ص ۲۷ و عن مسند أحمد ج ۳ ص ۳۱۱ و عن صحيح مسلم ج ۶ ص ۶۱ و السنن الكبرى ج ۹ ص ۲۵۱ و شرح مسلم للنووى ج ۱۳ ص ۸۵ و عن فتح البارى ج ۹ ص ۵۰۸ و صحيح ابن حبان ج ۱۲ ص ۶۵ و رياض الصالحين للنووى ص ۲۸۱ و عن نصب الراية ج ۶ ص ۷۰ و الفصول من الأصول للجصاص ج ۴ ص ۴۱ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۱۵ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۲۲.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۹۳ و راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۶ ص ۱۸ و عن فتح البارى ج ۸ ص ۶۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۲۴

إليه؟!

إن لم يكن أروح:

و أما الحديث عن الرائحة، فلست أدرى ما أقول فيه!! و كيف يمكن أن يبقى هذا اللحم طيلة ما يقرب من أربعين يوما، و فى بلاد

الحجاز بالذات، التى تمتاز بارتفاع درجات الحرارة فيها، ثم لا تظهر له رائحة كريهة، و لا يعرض عليه ما يوجب التحفظ من الاستفادة منه فى الطعام؟!

على أن كلمة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «لو نعلم: أننا ندركه لم يروح لأحببنا الخ ..» تشير إلى أنه «صلى اللّه عليه و آله» كان يتوقع فيه ذلك، و أن القضية فى ذلك لا تخضع للمعجزة و الكرامة، و التصرف الإلهى، بل هى جارية وفق السنن و الأوضاع الطبيعية، فلا مجال لأى ادعاء فى غير هذا السياق.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۲۵

الفصل التاسع: حنين الجذع .. و منبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۲۷

إتخاذ المنبر:

و زعموا: أن المنبر قد اتخذ لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى سنة ثمان من الهجرة، فصار «صلى اللّه عليه و آله» يخطب عليه و كان قبل ذلك إذا خطب يقوم و يستند إلى أحد جذوع النخل التى كانت فى المسجد، لأنه «صلى اللّه عليه و آله» قد بنى مسجده مسقوفا على جذوع النخل.

و قد اختلفوا فى كثير من الأمور التى يرتبط بهذا الأمر، مما يمكن أن يعطى صورة غير مرضية عن مدى الخلل فى رسمهم لصورة كثير من الوقائع و الأحداث، ثم هو يشير إلى مدى الجهد الذى ينبغى أن يبذل للتعرف على الصورة الحقيقية، أو المقاربة لها فى كل ملامحها، و سماتها، كبيرة كانت، أو صغيرة، و كمثال على ذلك نشير إلى الاختلافات التالية:

۱- هل صنع المنبر فى السنة السابعة، أو الثامنة، أو التاسعة.

۲- هل صنع المنبر من أثل (شجر)، أو من طرفاء.

۳- و هل صنعه (باقوم) بانى الكعبة لقريش، أو باقوم، أو ميمون، أو رجل رومى، أو صباح، غلام العباس، أو كلاب غلامه، أو مينا، غلام امرأة أنصارية، اسمها: غلاثة.

۴- و هل هو درجتان و مجلس، كما عن الواقدى .. أو هو ثلاث مراقى،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۲۸

أو أربع.

۵- و هل الذى اقترح على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» صنع المنبر امرأة أنصارية اسمها عائشة أو علاثة، فعمله غلامها باقوم الرومى. أو أن رجلا سأله «صلى اللّه عليه و آله» عن ذلك فأجابه إليه «۱».

و نحن نذكر هنا بعض الروايات التى تضمنت شيئا مما تقدم.

قال الصالحى الشامى:

«و فيها: اتخذ المنبر و حنين الجذع، و هو أول منبر عمل فى الإسلام، كما جزم به ابن النجار و غير واحد.

قال الحافظ: و فيه نظر، لما ورد فى حديث الإفك فى الصحيحين عن عائشة، قالت: فثار الأوس و الخزرج حتى كادوا أن يقتتلوا، و رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على المنبر، فنزل يخفضهم حتى سكنوا.

فإن حمل على التجوز فى ذكر المنبر و إلا فهو أصح مما مضى» «۲».

---

(۱) راجع هـذه الاختلافات فى: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۶۸ و ۶۹ و البحار ج ۲۱ ص ۴۷ عن المنتقى للكازرونى. و راجع: المصـنف للصنعانى ج ۷ ص ۴۳۳ و تاريخ مدينة دمشق ج ۴ ص ۳۹۳ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۲ ص ۶۹ و عن مسند أحمد ج ۳ ص ۳۰۰ و عن صحيح البخارى ج ۱ ص ۱۱۶ و ج ۳ ص ۱۴ و (ط دار الكتب العلميـة) ج ۲ ص ۱۱۴ و ج ۵ ص ۴۳ و شرح مسلم للنووى ج ۵ ص ۳۴ و (ط دار الفكر) ج ۵ ص ۲۸ و عن المصنف لابن أبى شيبة ج ۷ ص ۴۳۳ و سير أعلام النبلاء ج ۱۲ ص ۲۳۸ و عن البداية و النهاية ج ۶ ص ۱۴۰ و عمدة القارى ج ۴ ص ۱۰۱ و ۲۱۰ و ج ۱۱ ص ۲۱۲.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۱۲ ص ۶۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۲۹

لكننا قدمنا فى الجزء الثالث عشر من هذا الكتاب: أن حديث الإفك موهون جدا، و قد تواردت عليه العلل و الأسقام من كل جانب و مكان.

فلا يصح الإعتماد عليه فى رد ما عداه.

هذا .. و قد روى عن سهل بن سعد: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أرسل إلى علاثة، امرأة قد سماها سهل: أن مرى غلامك النجار أن يعمل لى أعواد المنبر أجلس عليهن إذا كلمت الناس، فأمرته، فعملها من طرفاء الغابة.

و فى رواية: فعمل هذه الثلاث درجات، ثم جاء بها، فأرسلته إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فأمر بها فوضعت هاهنا «۱».

و عن أبى بن كعب قال: كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يصلى إلى جذع إذ كان المسجد عريشا، و كان يخطب إلى ذلك الجذع، فقال رجل من أصحابه: يا رسول اللّه، هل لك أن تجعل لك منبرا تقوم عليه يوم الجمعة، حتى يراك و تسمع الناس خطبتك؟

قال: نعم، فصنع له ثلاث درجات، هى التى أعلى المنبر، فلما صنع وضعه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» موضعه الذى هو فيه، فكان إذا بدأ الرسول «صلى اللّه عليه و آله» أن يخطب عليه تجاوز الجذع الذى كان يخطب إليه أولا.

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۸ ص ۱۸۲ و ۱۸۳ و ج ۱۲ ص ۶۹ عن البخارى، و مسلم، و البيهقى و راجع: صحيح مسلم ج ۲ ص ۷۴ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۳ ص ۱۹۵ و شرح مسلم للنووى ج ۵ ص ۳۴ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۱ ص ۲۵۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۳۰

ثم إن الجذع خار حتى تصدّع و انشق، فنزل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فلما سمع صوت الجذع مسحه بيده حتى سكن، ثم رجع إلى المنبر، و كان إذا صلى صلى إليه.

فلما هدم المسجد أخذ ذلك الجذع أبى بن كعب، فكان عنده حتى بلى [فأكلته الأرض و عاد رفاتا] «۱».

و روى عن أنس أنه قال: كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يوم الجمعة يسند ظهره إلى جذع منصوب فى المسجد، فخطب الناس، فجاءه رومى، فقال: ألا أصنع لك شيئا تقعد عليه كأنك قائم، فصنع له منبرا له درجان و مقعد على الثالثة، فما قعد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على المنبر خار الجذع «۲».

و قد تقدم فى حديث الإفك: أن بعض الروايات قد صرحت: بأن تميم

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۱۲ ص ۶۹، عن الشافعى، و أحمد، و ابن ماجة، و راجع:

مستدرک سفينة البحار جج ۲ ص ۴۲ و عن مسند أحمد ج ۵ ص ۱۳۷ و سنن الدارمی ج ۱ ص ۱۸ و فتح البارى (ط دار المعرف) ج ۶ ص ۴۴۴ و (ط دار الكتب العلميـة) ج ۷ ص ۲۷۷ و البدايـة و النهايـة (ط دار إحيـاء الـتراث العربى) ج ۶ ص ۱۳۸ و (ط مكتبة المعارف) ج ۳ ص ۱۲۵ و عن دلائـل النبوة للبيهقى ج ۶ ص ۶۷ و عن سـنن ابن ماجة فى إقامة الصلاة ح ۱۴۱۴ و عمدة القارى (ط دار الفكر) ج ۱۶ ص ۱۱۷.

(۲) سـبل الهدى و الرشاد ج ۱۲ ص ۶۹ و راجع: سـنن الدارمى ج ۱ ص ۱۹ و صـحيح ابن خزيمة ج ۳ ص ۱۴۰ و البحار ج ۱۷ ص ۱۷۰ و عن البداية و النهاية ج ۶ ص ۱۳۹ و قصص الأنبياء للراوندى ص ۳۱۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۳۱

الدارى هو الذى صنع المنبر.

و بعضها يقول: إن غلاما للعباس اسمه كلاب هو الذى صنع المنبر.

و فى نص آخر: أن غلام العباس الذى صنع المنبر اسمه صباح ..

و بملاحظة هذه الروايات كلها يتضح مدى التلاعب و التصرف الذى نال هذه القضية، التى قد لا يخطر على بال أحد أن تكون مسرحا للأهواء، و أن يخبط فيها الرواة خبط عشواء. و لا نريد أن نقول أكثر من ذلك.

و نحن بدورنا لا نرى ضرورة لصرف العمر فى تحقيق هذا الأمر، فنكتفى بالإشارة إلى ما يلى:

حنين الجذع:

و يقولون: إن الروايات قد تواترت فى أن ذلك الجذع الذى كان يستند إليه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، قد اضطرب، و سمع له حنين كحنين الناقة التى انتزع ولدها.

و قد روى هذا الحديث بضعة عشر صحابيا.

و فى رواية أنس: حتى ارتج المسجد لخواره، و كثر بكاء الناس لما رأوا به «۱».

و فى رواية عن أبى بن كعب: أنه تصدع و انشق حتى جاء النبى «صلى

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۶۹ و راجع فى حنين الجـذع: البحار ج ۱۷ ص ۳۶۵ و ۳۲۶ و ۳۲۷ و الخرائـج الجرايح ج ۱ ص ۱۶۵ و عن الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ۱ ص ۳۰۴ و عن عيون الأثر ج ۱ ص ۲۱۸ و سنن الدارمى ج ۱ ص ۱۹ و صحيح ابن خزيمة ج ۳ ص ۱۴۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۳۲

اللّه عليه و آله»، (فاحتضنه أو) فوضع يده عليه فسكن «۱».

لكن فى نص آخر: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» دعاه إليه، فجاء يخرق الأرض، ثم أمره فعاد إلى مكانه «۲».

و فى رواية عنه «صلى اللّه عليه و آله» قال: هذا بكى لما فقد من الذكر «۳».

---

(۱) راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۶۹ و البحار ج ۱۷ ص ۳۶۵ و ج ۲۱ ص ۴۷ و الخرائج ج ۱ ص ۱۶۵ و كتاب المسند للشافعى ص ۶۵ و عن مسند أحمد ج ۵ ص ۱۳۷ و ۱۳۸ و سنن الدارمى ج ۱ ص ۱۸ و سنن ابن ماجة ج ۱ ص ۴۵۴ و كنز العمال ج ۱۲ ص ۴۱۱ و الطبقات الكبرى ج ۱ ص ۲۵۲ و تاريخ مدينة دمشق ج ۴ ص ۲۹۲ و عن البداية و النهاية ج ۶ ص ۱۳۸ و عن فتح البارى ج ۶ ص ۴۴۴ و الشـفا بتعريـف حقوق المصـطفى ج ۱ ص ۳۰۴ و عن عيـون الأـثر ج ۱ ص ۳۱۸ و مصـباح الزجاجـة ج ۱ ص ۲۵۲ و جامع

الأحاديث و المراسيل ج ۱۸ ص ۲۵۳ و عمدة القارى ج ۶ ص ۲۱۴ و ج ۱۶ ص ۱۱۷ و سبل الهدى و الرشاد ج ۹ ص ۳۹۴ و ج ۱۲ ص ۶۹ عن الشافعى، و أحمد، و ابن ماجة.

(۲) راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۶۹ و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ۲ ص ۳۵۲ و الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ۱ ص ۳۰۴.

(۳) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۶۹ و البحار ج ۲۱ ص ۴۷ و عن مسند أحمد ج ۳ ص ۳۰۰ و المصنف لابن أبى شيبة ج ۷ ص ۴۳۳ و صحيح ابن خزيمة ج ۳ ص ۱۴۰ و كنز العمال ج ۱۱ ص ۳۷۱ و تاريخ مدينة دمشق ج ۴ ص ۳۹۳ و عن البداية و النهاية ج ۶ ص ۱۴۰ و عن الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ۱ ص ۳۰۴ و عن عيون الأثر ج ۱ ص ۳۱۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۳۳

دفن الجذع:

و قالوا: فأمر به النبى «صلى اللّه عليه و آله» فدفن تحت المنبر «۱».

و لكن روى الراوندى: أن الجذع بقى إلى أن هدم بنو أمية المسجد فقلعوا الجذع «۲».

و فى حديث أبى بن كعب: «فكان إذا صلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» صلى إليه، فلما هدم المسجد و غير أخذ أبى ذلك الجذع، و كان عنده فى تلك الدار إلى أن بلى، و أكلته الأرضة (الأرض)، و عاد رفاتا» «۳».

عبرة .. و مناسبة:

و فى رواية: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قال: معاشر المسلمين، هذا الجذع

---

(۱) راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۶۹ و عن الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ۱ ص ۳۰۴ و عن عيون الأثر ج ۱ ص ۳۱۸.

(۲) البحار ج ۱۷ ص ۳۶۵ عن الخرائج و الجرائح ج ۱ ص ۱۶۵ و درر الأخبار ص ۱۶۰.

(۳) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۶۹ و البحار ج ۱۷ ص ۳۸۰ و ج ۲۱ ص ۴۷ عن المنتقى للكازرونى، و مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۸۰ و مستدرك سفينة البحار ج ۲ ص ۴۲ و كتاب المسند للشافعى ص ۶۵ و عن مسند أحمد ج ۵ ص ۱۳۷ و ۱۳۸ و سنن الدارمى ج ۱ ص ۱۸ و سنن ابن ماجة ج ۱ ص ۴۵۴ و عن فتح البارى ج ۶ ص ۴۴۴ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۱ ص ۲۵۲ و تاريخ مدينة دمشق ج ۴ ص ۳۹۲ و ۳۹۳ و عن البداية و النهاية ج ۶ ص ۱۳۸ و عن الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ۱ ص ۳۰۴ و عن عيون الأثر ج ۱ ص ۳۲۰ و سبل الهدى و الرشاد ج ۱۲ ص ۶۹ عن الشافعى، و أحمد، و ابن ماجة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۳۴

يحن إلى رسول رب العالمين، و يحزن لبعده عنه.

ففى عباد اللّه الظالمين أنفسهم من لا يبالى: قرب من رسول اللّه أم بعد، و لولا أنى احتضنت هذا الجذع، و مسحت يدى عليه، ما هدأ حنينه إلى يوم القيامة.

و إن من عباد اللّه و إمائه لمن يحن إلى محمد رسول اللّه، و إلى على ولى اللّه، كحنين هذا الجذع، و حسب المؤمن أن يكون قلبه على موالاة محمد و على و آلهما الطيبين منطويا.

أرأيتم شدة حنين هذا الجذع إلى محمد رسول اللّه؟ و كيف هدأ لما احتضنه محمد رسول اللّه، و مسح يده عليه؟

قالوا: بلى يا رسول اللّه.

قال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: و الذى بعثنى بالحق نبيا، إن حنين خزّان الجنان، و حور عينها، و سائر قصورها و منازلها إلى من يوالى محمدا و عليا و آلهما الطيبين، و يبرأ من أعدائهما لأشد من حنين هذا الجذع، الذى رأيتموه إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

و إن الذى يسكّن حنينهم و أنينهم، ما يرد عليهم من صلاة أحدكم معاشر شيعتنا على محمد و آله الطيبين، أو صلاة نافلة، أو صوم، أو صدقة.

و إن من عظيم ما يسكن حنينهم إلى شيعة محمد و على، ما يتصل بهم من إحسانهم إلى إخوانهم المؤمنين، و معونتهم لهم على دهرهم.

يقول أهل الجنان بعضهم لبعض: لا تستعجلوا صاحبكم، فما يبطئ عنكم إلا للزيادة فى الدرجات العاليات فى هذه الجنان، بإسداء المعروف إلى إخوانه المؤمنين.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۳۵

و أعظم من ذلك مما يسكّن حنين سكان الجنان و حورها إلى شيعتنا ما يعرّفهم اللّه من صبر شيعتنا على التقية، و استعمالهم التورية، ليسلموا من كفرة عباد اللّه و فسقتهم، فحينئذ تقول خزان الجنان و حورها: لنصبرن على شوقنا إليهم كما يصبرون على سماع المكروه فى ساداتهم و أئمتهم، و كما يتجرعون الغيظ، و يسكتون عن إظهار الحق لما يشاهدون من ظلم من لا يقدرون على دفع مضرته.

فعند ذلك يناديهم ربنا عز و جل: يا سكان جناتى، و يا خزّان رحمتى، ما لبخل أخرت عنكم أزواجكم و ساداتكم، و لكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتى، بمواساتهم إخوانهم المؤمنين، و الأخذ بأيدى الملهوفين، و التنفيس عن المكروبين، و بالصبر على التقية من الفاسقين الكافرين، حتى إذا استكملوا أجزل كراماتى، نقلتهم إليكم على أسر الأحوال و أغبطها، فأبشروا.

فعند ذلك يسكن حنينهم و أنينهم «۱».

التبرک بمنبر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:

و فى حديث عن أبى عبد اللّه الصادق «عليه السلام» فى بيان آداب زيارة النبى «صلى اللّه عليه و آله» قال: «فإذا فرغت من الدعاء عند القبر، فأت المنبر، و امسح بيدك، و خذ برمانتيه، و هما السفلاوات، و امسح عينيك، و وجهك به، فإنه يقال: إنه شفاء للعين.

و قم عنده فاحمد اللّه، و اثنى عليه، و سل حاجتك، فإن رسول اللّه «صلى

---

(۱) البحار ج ۱۷ ص ۳۲۷ و ۳۲۸ و ج ۶۲ ص ۳۳ و ۳۴ و ج ۶۸ ص ۳۳ ج ۸ ص ۱۶۳ و ۱۶۴ عن التفسير المنسوب للإمام العسكرى «عليه السلام» ص ۱۸۸- ۱۹۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۳۶

اللّه عليه و آله» قال: ما بين منبرى و بيتى روضة من رياض الجنة، و إن منبرى على ترعة من ترع الجنة، و قوائم المنبر رتب فى الجنة».

و الترعة: هى الباب الصغير «۱».

و قد أشرنا أكثر من مرة إلى مشروعية التبرك و الاستشفاء بآثار الأنبياء «عليهم السلام»، و أن ما يدّعيه بعض الجهلة من حرمة ذلك، لا أساس له فى دين الإسلام.

و يمكن مراجعة كتاب: «التبرك بآثار الأنبياء و الصالحين» للعلامة الشيخ الأحمدى الميانجى «رحمه اللّه» .. ففيه ما ينقع الغلة، و يشفى الغليل ..

إنزل عن منبر أبى:

و مما يناسب ذكره هنا: موقف هام جدا للإمام الحسن «عليه السلام» فى مقابل أبى بكر، حيث جاء إليه يوما و هو يخطب على المنبر، فقال له: نزل عن منبر أبى.

فأجابه أبو بكر: صدقت. و اللّه، إنه لمنبر أبيك، لا منبر أبى.

---

(۱) البحار ج ۹۷ ص ۱۵۱ عن كامل الزيارات، و سفينة البحار ج ۸ ص ۱۷۲ و من لا يحضره الفقيه ج ۲ ص ۵۶۸ و تهذيب الأحكام ج ۶ ص ۷۷ و الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ۱۴ ص ۳۴۵ و (ط دار الإسلامية) ج ۱۰ ص ۲۷۰ و مستدرك سفينة البحار ج ۹ ص ۵۲۷ و المزار لابن المشهدى ص ۷۶ و مستدرك الوسائل ج ۱۰ ص ۱۹۵ و منتقى الجمان ج ۳ ص ۴۶۵ و الكافى ج ۴ ص ۵۵۳ و جواهر الكلام ج ۲۰ ص ۸۴ و الحدائق الناضرة ج ۱۷ ص ۴۱۵ و مدارك الأحكام ج ۸ ص ۴۷۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۳۷

فبعث على «عليه السلام» إلى أبى بكر: إنّه غلام حدث، و إنّا لم نأمره.

فقال أبو بكر: إنا لم نتهمك «۱».

و ليتأمل قوله «عليه السلام»: إنّا لم نأمره، فإنه لا يتضمن إنكارا على الإمام الحسن «عليه السلام»، و لا إدانة لموقفه.

و لقد صدق أمير المؤمنين صلوات اللّه و سلامه عليه؛ فلم يكن الإمام الحسن «عليه السلام» يحتاج إلى أمر، فلقد أدرك خطة الخصوم بما آتاه اللّه من فضله، و بإحساسه المرهف، و فكره الثاقب. و هو الذى عايش الأحداث عن كثب، بل كان فى صميمها.

و إذن .. فمن الطبيعى أن يدرك: أن عليه مسؤولية العمل على إفشال تلك الخطة، و إبقاء حق أهل البيت «عليهم السلام» و قضيتهم على حيويتها

---

(۱) راجع: تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۸۰ و ۱۴۳ و تاريخ بغداد ج ۱ ص ۱۴۱ عن أبى نعيم و غيره، و أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودى) ج ۲ ص ۲۶ و ۲۷ بسند صحيح عندهم، و الصواعق المحرقة ص ۱۷۵ عن الدار قطنى، و المناقب لابن شهر اشوب ج ۴ ص ۴۰ عن فضائل السمعانى، و أبى السعادات، و تاريخ الخطيب، و سيرة الأئمة الاثنى عشر ج ۱ ص ۵۲۹ و إسعاف الراغبين (بهامش نور الأبصار) ص ۱۲۳ عن الدار قطنى، و شرح النهج للمعتزلى ج ۶ ص ۴۲ و ۴۳ و مقتل الحسين للخوارزمى ج ۱ ص ۹۳ و ينابيع المودة ص ۳۰۶ و حياة الصحابة ج ۲ ص ۴۹۴ عن الكنز، و أبى سعد، و أبى نعيم، و الجابرى فى جزئه، و الغدير ج ۷ ص ۱۲۶ عن السيوطى، و عن الرياض النضرة ج ۱ ص ۱۳۹ و عن كنز العمال ج ۳ ص ۱۳۲ و حياة الإمام الحسن «عليه السلام» للقرشى البحار ج ۱ ص ۸۴ عن بعض من تقدم، و الإتحاف بحب الأشراف ص ۲۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۳۸

فى ضمير و وجدان الأمة.

و كان على وصى النبى «صلى اللّه عليه و آله» يحتاط للأمر، حتى لا تحدث تشنجات حادة، ليس من مصلحة القضية، و لا من مصلحة الإسلام المساهمة فى حدوثها فى تلك الظروف.

و الإمام الحسين عليه السّلام أيضا:

و لا عجب إذا رأينا للإمام السبط الشهيد الحسين «عليه السلام» موقفا مماثلا تماما لموقف أخيه مع الخليفة الثانى عمر بن الخطاب ..

و نجد: أن عمر قد أخذه إلى بيته، و حاول تقريره: إن كان أبوه أمره بهذا، أو لا. فأجابه عن ذلك بالنفى.

و بعض الروايات تقول: إنه سأله عن ذلك فى نفس ذلك الموقف أيضا، فنفى ذلك، فقال عمر: منبر أبيك و اللّه، و هل أنبت على رؤوسنا الشعر إلا أنتم «۱».

---

(۱) راجع: مقتل الحسين للخوارزمى ج ۱ ص ۱۴۵ و الإصابة ج ۱ ص ۳۳۳ و قال: سنده صحيح، و أمالى الطوسى ج ۲ ص ۳۱۳ و ۳۱۴ و إسعاف الراغبين (بهامش نور الأبصار) ص ۱۲۳ و حياة الصحابة ج ۲ ص ۴۹۵ عن كنز العمال ج ۷ ص ۱۰۵ عن ابن كثير، و ابن عساكر، و ابن سعد، و ابن راهويه، و الخطيب، و الصواعق المحرقة ص ۱۷۵ عن ابن سعد و غيره، و الإحتجاج للطبرسى ج ۲ ص ۱۳ و المناقب لابن شهر اشوب ج ۴ ص ۴۰ و تاريخ بغداد ج ۱ ص ۱۴۱ و كشف الغمة للأربلى ج ۲ ص ۴۲ و حياة الحسن للقرشى ج ۱ ص ۸۴ و الإمام الحسن للعلايلى ص ۳۰۵ عن الإصابة، و صححه، و ينابيع المودة ص ۱۶۸ و تذكرة الخواص ۲۳۵ و سيرة الأئمة- الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۳۳۹

فأبو بكر لم يكن يرى: أن اتهام أمير المؤمنين فى قضية الإمام الحسن «عليه السلام» من صالحه ..

أما عمر، الذى رأى أنه قد أصبح قويا فى الحكم، و قد تكرس الموقف لصالح غير أهل البيت «عليهم السلام» على الصعيد السياسى ..

نعم، إن عمر هذا، يهتم بالتعرف على مصدر هذه الإرهاصات، ليعمل على القضاء عليها قبل فوات الأوان، ما دام يملك القدرة على ذلك بنظره.

لقد كانت مواقف الحسنين «عليهما السلام» هذه تعتبر تحديا عميقا للسلطة، فى أدقّ و أخطر قضية عملت هذه الجهة من أجل حسم الأمور فيها لصالحها، و رأت أنها قد وفقت فى مقاصدها تلك إلى حد بعيد ..

فجاءت هذه المواقف لتهز من الأعماق ما كاد يعتبر، أو قد اعتبر بالفعل من الثوابت الراسخة.

و الحسنان «عليهما السلام» هما ذانك الفرعان من دوحة الإمامة، و غرس الرسالة، اللذان يفهمان الظروف التى تحيط بهما، و يقيّمانها التقييم الصحيح و السليم، ليتخذا مواقفهما على أساس أنها وظيفة شرعية، و مسؤولية إلهية.

- الاثنى عشر للحسنى ج ۲ ص ۱۵ و كفاية الطالب ص ۲۲۴ عن مسند أحمد، و ابن سعد و تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ۴ ص ۳۲۴ و تهذيب التهذيب ج ۲ ص ۳۴۶ و صححه، و فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ۳ ص ۳۶۹ و هامش أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودى) ج ۳ ص ۲۷ عن تاريخ دمشق ج ۱۳ ص ۱۵ و ۱۱۰ بعدة أسانيد، و ترجمة الإمام الحسين من تاريخ دمشق بتحقيق المحمودى ص ۱۴۱ و ۱۴۲ و فى هامشه عن ابن سعد ج ۸ فى ترجمة الإمام الحسين و عن كنز العمال ج ۷ ص ۱۰۵ عن ابن راهويه و غيره، و الغدير ج ۷ ص ۱۲۶ عن ابن عساكر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۰،ص:۳۴۰

أما التكليف الشرعى، و الموقف الذى لأبيهما، فهو و إن كان فى ظاهره يبدو هنا مختلفا، إلا أنه و لا شك يخدم نفس الهدف، و يسير فى نفس الاتجاه.

أول قود فى الإسلام:

قالوا: و فى هذه السنة أقاد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» رجلا من هذيل برجل من بنى ليث، و هو أول قود كان فى الإسلام «۱».

و من الواضح: أن هذا القود مهم جدا فى توجه الناس نحو الانقياد لأحكام الشرع فى أكثر الأمور حساسية و أهمية فى حياتهم، وفقا

لقاعدة:

وَ لَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِي الْأَلْبابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ «۲»، و قاعدة: مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً «۳».

فإن من الواضح: أن من يستحل قتل الناس، فإنه يكون قد تجاوز جميع الحدود، و أعفى نفسه من الالتزام بجميع الحقوق، و سمح لنفسه بهتك جميع الحرمات الإنسانية. فلا سبيل إلى عقد أى التزام مع إنسان من هذا القبيل، إذ لا يمكن الاطمينان إليه، بأن يفى بأى عهد أو عقد، أو أن يقف عند أية حرمة إنسانية ..

و عل كل حال، فإن لهذا الموضوع جهات كثيرة من البحث، نسأل اللّه التوفيق للتعرض لها بالمعالجة فى فرصة أخرى إن شاء اللّه تعالى ..

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۷۰ و عن أسد الغابة ج ۱ ص ۲۳ و راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۳۸۲ و عن عيون الأثر ج ۲ ص ۳۵۸.

(۲) الآية ۱۷۹ من سورة البقرة.

(۳) الآية ۳۲ من سورة المائدة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۲۰،ص:۳۴۱

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ– فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّـلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی" القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹